من أناس ليس من أخلاقهم ... عاجل الفحش ولا سوء الجزع (2)
ولم يرد أنّ فى أخلاقهم فحشا آجلا (3) ولا جزعا (4)؛ وإنما أراد نفى الفحش والجزع عن أخلاقهم. ومثل ذلك قولهم: فلان غير سريع إلى الخنا، وهم يريدون أنّه لا يقرب الخنا، لا نفى الإسراع حسب. وقال الفرزدق وهو يهجو ابنى جعفر بن كلاب، ويعيّرهم بقتلى منهم أصيبوا فى حروبهم، فحملت النساء هؤلاء القتلى حتى أتين بهم الحىّ (5):
ولم تأت عير أهلها بالذّي (6) أتت ... به جعفرا يوم الهضيبات عيرها (7)
أتتهم بعير لم تكن هجرية ... ولا حنطة الشام المزيت خميرها
يعنى أنّ العير إنما تحمل التمر أو الطعام إلى الحى، فحملت عير هؤلاء القوم القتلى، وقوله: «لم تكن هجرية»؛ أى لم تحمل التمر، وذلك لكثرة التمر بهجر، ثم قال: «ولا حنطة الشام المزيت خميرها»، ولم يرد أن هناك حنطة ليس فى خميرها زيت؛ لكنه أراد أنها لم لم تحمل تمرا ولا حنطة، ثم وصف الحنطة وما يجعل فى خميرها من الزيت.

---

(1) كذا فى جميع الأصول؛ وهو يوافق ما فى اللآلئ: 75، والكامل- بشرح المرصفى 8: 212؛ ورواية جمهرة الأشعار 282؛ وفى ملحقات ديوان الأعشى 268:
لا يتأرّى لما فى القدر يرقبه ... ولا يعضّ على شرسوفه الصّفر
لا يغمز السّاق من أين ولا وصب ... ولا يزال أمام القوم يقتفر
وهى توافق رواية المؤلف فيما بعد. والتأرى: التحبس والمكث، والصفر: حية فى البطن تعض الشرسوف إذا جاع صاحبه. ولا يغمز الساق: لا يحنيها والاقتفار: أن يؤكل الخبز قفارا.
(2) المفضليات: 195.
(3) ت، د: «فحشا عاجلا ولا آجلا».
(4) ت، د، ف: «ولا جزعا غير سيئ».
(5) ديوانه 2: 459.
(6) ت، د، ونسخة بحاشيتى الأصل، ف: «كالذى».
(7) الهضيبات: موضع كان فيه يوم من أيام العرب؛ هو يوم طخفة؛ ذكره البكرى فى معجم ما استعجم: 1354، وأورد البيت.

وعلى هذا يقع تأويل (1) الآيات التى وقع السؤال عنها، لأنه تعالى لما قال: وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ دلّ على أن قتلهم لا يكون إلّا بغير حق، ثم وصف (2) القتل بما لا بد أن يكون عليه من الصفة، وهى وقوعه على خلاف الحقّ؛ وكذلك: وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ لا بُرْهانَ لَهُ بِهِ، إنما [هو وصف لهذا الدعاء، وأنه لا يكون إلا عن غير برهان] (3). وقوله تعالى: اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّماواتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها وجهه أيضا أنه لو كان هناك عمد لرأيتموه، فإذا نفى رؤية العمد نفى وجود العمد؛ كما قال: «لا يهتدى بمناره»، أى لا منار له من حيث علم أنه لو كان له

منار لاهتدى به، فصار نفى الاهتداء بالمنار نفيا لوجود المنار. وقوله تعالى: وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كافِرٍ بِهِ تغليظ وتأكيد فى تحذيرهم الكفر، وهو أبلغ من أن يقول: «ولا تكفروا به»، ويجرى مجرى قولهم: فلان لا يسرع إلى الخنا؛ وقلّما رأيت مثله إذا أرادوا به تأكيد نفى الخنا ونفى رؤية مثل المذكور. وكذلك قوله: لا يَسْئَلُونَ النَّاسَ إِلْحافاً، معناه لا مسألة تقع منهم، ومثل الأول: وَلا تَشْتَرُوا بِآياتِي ثَمَناً قَلِيلًا؛ والفائدة أن كل ثمن لها لا يكون إلا قليلا، فصار نفى الثمن القليل نفيا لكل ثمن، وهذا واضح بحمد الله ومنّه.

(1) حاشية ت (من نسخة): «تأول».
(2) حاشية ت (من نسخة): «وإنما وصف».
(3) ساقط من م.

باب فى ذكر شيء من أخبار المعمّرين وأشعارهم ومستحسن كلامهم

[أخبار الحارث بن كعب المذحجيّ ووصيته حين الموت وشرح ما ورد فى ذلك:]

أحد المعمّرين الحارث بن كعب بن عمرو بن وعلة بن خالد (1) بن مالك بن أدد (2) المذحجيّ، ومذحج (3) هى أم مالك بن أدد، نسب ولد مالك إليها، وإنما سمّيت مذحجا (4) لأنها ولدت على أكمة تسمى مذحجا، واسمها مدلّة بنت ذى منجشان (5).

قال أبو حاتم السجستانىّ: جمع الحارث (6) بن كعب بنيه لما حضرته الوفاة فقال:

«يا بنى، قد أتى علىّ ستون ومائة سنة، ما صافحت بيمينى (7) يمين غادر، ولا قنّعت (8) نفسى بخلّة فاجر، ولا صبوت بابنة عمّ ولا كنّة، ولا طرحت عندى مومسة قناعها، ولا بحت لصديقى بسرّ، وإنى لعلى دين شعيب النبي عليه السلام، وما عليه أحد من العرب غيرى، وغير أسد بن خزيمة، وتميم بن مرّة، فاحفظوا وصيّتى، وموتوا على شريعتى: إلهكم فاتقوه يكفكم المهمّ من أموركم، ويصلح لكم أعمالكم؛ وإياكم ومعصيته (9)، لا يحلّ بكم الدّمار، ويوحش منكم الدّيار. يا بنيّ، كونوا جميعا ولا تفرقوا فتكونوا شيعا، وإنّ موتا فى عزّ خير من حياة فى ذلّ وعجز، وكلّ ما هو كائن كائن، وكلّ جميع إلى تباين.

الدهر [صرفان: فصرف رخاء، وصرف بلاء] (10)، واليوم يومان: فيوم حبرة، ويوم

(1) كذا فى جميع الأصول، وفى حاشية الأصل: «ذكر س: هذا سهو، وهو كعب بن عمرو ابن علبة بن جلد بن مالك. وو علة وخالد تصحيف وغلط».
(2) فى حاشية الأصل، ت: «صرفت العرب «أددا»، ولم يجعلوه من باب عمر وزفر».
(3) حاشية الأصل: «ذكر س: قال أبو جعفر محمد بن حبيب: مذحج هى أخت مدلة، واسمها مدلة بنت منجشان بن كلة بن زدمان، من حمير».
(4) حاشية ت: «بخط ش: الصواب ألا تصرف مذحج للتأنيث والتعريف».

(5) س: «مهجشان»، ت: «همنجشان».
(6) لم يذكر فيما طبع من أخبار المعمرين لأبى حاتم.
(7) حاشية ت (من نسخة):
«ما صافحت يمينى».
(8) حاشية ت (من نسخة): «قعت»، بإسكان التاء.
(9) ت: «ومعصية الله».
(10) ش: «والدهر ضربان: فضرب رخاء، وضرب بلاء».

عبرة، والناس رجلان: فرجل معك ورجل عليك، وتزوّجوا الأكفاء، وليستعملن فى فى طيبهن الماء، وتجنّبوا/ الحمقاء؛ فإن ولدها إلى أفن ما يكون، إلا أنه لا راحة لقاطع القرابة، وإذا اختلف القوم أمكنوا عدوّهم منهم، وآفة العدد اختلاف الكلمة؛ والتفضّل بالحسنة يقى السيئة، والمكافأة بالسيئة الدخول فيها. العمل السوء يزيل النّعماء، وقطيعة الرّحم تورث الهمّ، وانتهاك الحرمة يزيل النعمة، وعقوق الوالدين يعقب النّكد، ويمحق العدد، ويخرب البلد، والنصيحة تجر الفضيحة، والحقد يمنع الرّفد، ولزوم الخطيئة يعقب البلية، وسوء الرّعة يقطع أسباب المنفعة، والضغائن تدعو إلى التباين»؛ ثم أنشأ يقول:

أكلت شبابى فأفنيته ... وأفنيت بعد دهور دهورا
ثلاثة أهلين صاحبتهم ... فبادوا وأصبحت شيخا كبيرا
قليل الطّعام عسير القيام ... قد ترك الدّهر خطوى قصيرا
أبيت أراعى نجوم السّماء ... أقلّب أمرى بطونا ظهورا

قوله: «ولا صبوت بابنة عم ولا كنّة»، الصّبوة هى رقّة الحبّ، [والكنّة. امرأة أخى الرجل وامرأة ابن أخيه] (1).

فأما المومسة، فهى الفاجرة البغىّ، وأراد بقوله: «إنها لم تطرح عنده قناعها» أى لم تتبذّل (2) عنده وتتبسّط، كما تفعل مع من يريد الفجور بها.

وقوله: «فيوم حبرة ويوم عبرة»، فالحبرة: الفرح والسرور، والعبرة تكون من ضدّ ذلك؛ لأنّ العبرة لا تكون إلّا من أمر محزن مؤلم.

وأما الأفن، فهو الحمق؛ يقال: رجل أفين؛ إذا كان أحمق؛ ومثل من أمثالهم:

«وجدان الرقين؛ يغطّى على أفن الأفين»، أى وجدان المال يغطّى على حمق الاحمق، وواحد الرّقين رقة، وهى الفضة.

---

(1) حاشية الأصل (من نسخة) «والكنة هى امرأة ابن الرجل وامرأة أخيه».
(2) من نسخة بحاشيتى الأصل، ت: «لم تبتذل».

فأما قوله: «النصيحة تجر الفضيحة»، فيشبه أن يكون معناه أنّ النّصيح إذا نصح لمن لا يقبل نصيحته، ولا يصغى إلى موعظته فقد افتضح عنده؛ لأنه أفضى إليه بسرّه، وباح بمكنون صدره.
فأما «سوء الرّعة»، فإنه يقال: فلان حسن الرّعة والتورّع، أى حسن الطريقة.

*** [أخبار عمرو بن ربيعة المستوغر وإيراد بعض أشعاره:]
ومن المعمّرين المستوغر، وهو عمرو بن ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ابن مرّ بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر.
وإنما سمّى المستوغر ببيت قاله، وهو:
/ ينشّ الماء فى الرّبلات منها ... نشيش الرّضف فى اللّبن الوغير (1)
الرّبلات: واحدتها، ربلة، وربلة، بفتح الباء وإسكانها، وهى كلّ لحمة غليظة؛ هكذا ذكر ابن دريد.
والرّضف: الحجارة المحماة، وفى الحديث: «كأنه على الرّضف»؛ واللبن الوغير: لبن تلقى فيه حجارة محماة ثم يشرب، أخذ من وغرة الظهيرة، وهى أشدّ ما يكون من الحرّ؛ ومنه: وغير صدر فلان يوغر وغرا، إذا التهب من غضب أو حقد.
وقال أصحاب الأنساب: عاش المستوغر ثلاثمائة سنة وعشرين، وأدرك الإسلام أو كاد يدرك أوّله.
وقال ابن سلام: كان (2) المستوغر قديما، وبقى بقاء طويلا حتى قال:
ولقد سئمت من الحياة وطولها ... وعمرت (3) من عدد السّنين مئينا
مائة أتت من بعدها مائتان لى ... وازددت من عدد الشّهور سنينا
هل ما بقى (4) إلّا كما قد فاتنا ... يوم يكرّ وليلة تحدونا

---

(1) ت: «ذى الربلات»، د: «بالربلات» والبيت فى اللسان (وغر)، والمعمرين 9 – 10.
(2) طبقات الشعراء: 290 – 30.
(3) فى الطبقات: «وازددت».
(4) بقى؛ بالألف، يريد بقى، بالياء: لغة طائية.

وهو القائل:
إذا (1) ما المرء صمّ فلم يكلّم (2) ... وأودى سمعه إلّا ندايا (3)
ولاعب بالعشىّ بنى بنيه ... كفعل الهرّ يحترش العظايا
يلاعبهم وودّوا لو سقوه ... من الذّيفان مترعة ملايا [4]
فلا ذاق النّعيم ولا شرابا ... ولا يشفى من المرض الشّفايا

أراد بقوله: «صمّ فلم يكلم»، أى لم يسمع ما يكلّم به، فاختصر؛ ويجوز أن يريد أنّه لم يكلّم لليأس من استماعه فأعرض عن خطابه لذلك. وقوله: «وأودى سمعه إلّا ندايا» أراد أنّ سمعه هلك؛ إلّا أنه يسمع الصوت العالى الّذي ينادى به.
وأما قوله: «ولاعب بالعشىّ بنى بنيه»، فإنّه مبالغة فى وصفه بالهرم والخرف، وأنه قد تناهى إلى ملاعبة الصبيان وأنسهم به. ويشبه أن يكون خصّ العشىّ بذلك لأنّه وقت رواح الصبيان إلى بيوتهم واستقرارهم فيها.
وقوله: «يحترش العظايا» / أى يصيدها، والاحتراش أن يقصد الرجل إلى جحر الضّب فيضربه بكفّه ليحسبه الضب أفعى، فيخرج إليه فيأخذه، يقال: حرشت الضّبّ، واحترشته؛ ومن أمثالهم: «هذا أجلّ من الحرش»، يضرب عند الأمر يستعظم، ويتكلم بذلك على لسان الضب. قال ابن دريد: قال الضب لابنه: اتّق الحرش، قال:
وما الحرش؟ قال: إذا سمعت حركة بباب الجحر فلا تخرج؛ فسمع يوما وقع المحفار فقال:
يا أبه، أهذا الحرش؟ فقال: «هذا أجلّ من الحرش»؛ فجعل مثلا للرجل إذا سمع الشيء الّذي هو أشدّ مما كان يتوقّعه.

---

(1) الأبيات فى طبقات الشعراء: 30، وحماسة البحترى 324 (ورواها همزية)، ومعجم الشعراء: 213، وفى حاشية الأصل: «ذكر سر قال: «قرأت س قال: قرأت بخط عبد السلام البصرى رحمه الله أن هذه القطعة: إذا ما المرء ... لعثكلان بن ذى كواهن الحميرى».
(2) فى الطبقات ومعجم الشعراء «فلم يناجى».
(3) فى حاشية الأصل، ت: «إنما قلب الهمزة فى ندايا وشفايا وغيرهما ياء لأنه لو قال: شفاء لكانت تحصل همزة يكتنفها ألفان، والألف قريب من الهمزة، فإذا اجتمع ألفان مع همزة صار كأنه قد حصل قريب من الهمزتين؛ فلما كان كذلك أبدل من الهمزة ياء».

والذّيفان: السّم. والعظايا: جمع عظاية، وهى دويبّة صغيرة معروفة (1).

*** [أخبار دريد بن زيد بن نهد وشرح ما أورده من كلامه:]
وأحد المعمّرين دويد بن زيد بن نهد بن زيد بن ليث بن سود (2) بن أسلم (3) بن ألحاف (4) ابن قضاعة بن مالك بن مرة بن مالك بن حمير.
قال أبو حاتم: عاش دويد بن زيد أربعمائة سنة وستا وخمسين سنة قال ابن دريد:
لما حضرت دويد بن زيد الوفاة– وكان من المعمّرين، قال: ولا تعدّ العرب معمّرا إلا من عاش مائة وعشرين (5) سنة فصاعدا– قال لبنيه: «أوصيكم بالناس شرا، لا ترحموا لهم عبرة، ولا تقيلوهم (6) عثرة، قصّروا الأعنّة، وطوّلوا (7) الأسنّة، واطعنوا (8) شزرا، واضربوا هبرا؛ وإذا أردتم المحاجزة، فقبل المناجزة، والمرء يعجز لا المحالة، بالجدّ لا بالكدّ. التجلّد ولا التبلّد، والمنية ولا الدّنية. لا تأسوا على

فائت وإن عزّ فقده، ولا تحنّوا إلى ظاعن وإن ألف قربه، ولا تطمعوا فتطبعوا، ولا تهنوا فتخرعوا، ولا يكون (9) لكم المثل السوء؛ إنّ الموصّين بنو سهوان. إذا متّ فارحبوا (10) خطّ مضجعى، ولا تضنّوا عليّ برحب الأرض، وما ذلك بمؤدّ إلى روحا (11)؛ ولكن راحة نفس (12) خامرها الإشفاق». ثم مات.

قال أبو بكر بن دريد فى حديث آخر إنه قال:

---

(1) وانظر أخبار المستوغر فى المعمرين: 9، وطبقات الشعراء: 29 – 30، ومعجم الشعراء: 213 – 214.

(2) حاشية ت (من نسخة): «سويد».

(3) حاشية الأصل: «بضم اللام».

(4) حاشية الأصل: «ألحاف، يقطع الألف كأنه جمع لحف؛ كذا وجدته مضبوطا فى النسخة المقروءة على ابن خرزاذ النجيرمى؛ وهو الصحيح، والحاف موصولا أيضا يقال».

(5) حاشية ت (من نسخة): «مائة وستا وعشرين».

(6) ت: «ولا تقبلوا لهم».

(7) ت: «وأطولوا».

(8) حاشية ت: طعن بالرمح يطعن [بضم العين]، وباللسان يطعن [بفتح العين].

(9) ش: «ولا يكن».

(10) حاشية ت: «بخط ش: «فأرحبوا»، بالقطع وكسر الحاء.

(11) حاشية ت (من نسخة): «نفعا».

(12) حاشية الأصل (من نسخة):

«حاجة نفس».

اليوم يبنى (1) لدويد بيته ... يا ربّ نهب (2) صالح حويته

وربّ قرن (3) بطل أرديته ... وربّ غيل حسن لويته

ومعصم مخضّب ثنيته ... لو كان للدّهر بلى أبليته

أو كان قرنى واحدا كفيته

ومن قوله أيضا:

/ ألقى عليّ الدهر رجلا ويدا ... والدّهر ما أصلح يوما أفسدا

يفسد ما أصلحه اليوم غدا

قوله: «اطعنوا شزرا، واضربوا هبرا»، معنى الشّزر أن يطعنه من إحدى ناحيتيه، يقال: فتل الحبل شزرا إذا فتله على الشمال، والنظر الشّزر: نظر بمؤخر العين؛ وقال الأصمعىّ:

نظر إلى شزرا إذا نظر إليه من عن يمينه وشماله، وطعنه شزرا كذلك.

وقوله: «هبرا»، قال ابن دريد: يقال هبرت اللحم أهبره هبرا إذا قطعته قطعا كبارا، والاسم الهبرة والهبرة، وسيف هبّار وهابر، واللحم هبير ومهبور. والمحالة:
الحيلة (4).
وقوله: «بالجدلا بالكدّ»؛ أى يدرك الرجل حاجته وطلبته بالجدّ، وهو الحظ والبخت، ومنه رجل مجدود، فإذا كسرت الجيم فهو الانكماش فى الأمر والمبالغة فيه.
وقوله: «التجلد ولا التبلد»؛ أى تجلّدوا ولا تتبلّدوا.
وقوله: «فتطبعوا»، أى تدنسوا، والطّبع الدنس، ويقال طبع السيف يطبع طبعا، إذا ركبه الصّدأ؛ قال ثابت قطنة (5) العتكىّ:
لا خير فى طمع يدنى إلى طبع ... وغفّة من قوام العيش تكفينى (6)

---

(1) حاشية ف (من نسخة): «يدنى».
(2) النهب: الغنيمة تنتهب.
(3) القرن: الّذي يلقاك ليقاومك.
(4) فى حاشيتى الأصل، ت: «قد قيل إن المحالة يعنى بها الآلة التى يستقى عليها، وهى مثل البكرة».
(5) حاشية ت: «ويقال: قطبة».
(6) الغفة: البلغة من العيش؛ كذا ذكره صاحب اللسان واستشهد بالبيت.

وقوله: «ولا تهنوا فتخرعوا»؛ فالوهن الضّعف، والخرع والخراعة: اللين، ومنه سميت الشجرة الخروع للينها، وقوله: «إنّ الموصّين بنو سهوان»؛ فالموصون جمع موصّى، وبنو سهوان ضربه مثلا، أى لا تكونوا ممن تقدّم إليهم فسهوا وأعرضوا عن الوصية، وقالوا: إنه يضرب هذا المثل للرجل الموثوق به ذمة؛ ومعناه أن الذين يحتاجون أن يوصّوا بحوائج إخوانهم هم الذين يسهون عنه لقلة عنايتهم؛ وأنت غير غافل ولا ساه عن حاجتى.
وقوله: «فارحبوا»؛ أى أوسعوا، والرّحب السعة، والرّوح: الراحة.
وقوله فى الشعر: «ورب غيل»؛ فالغيل الساعد الممتلئ. والمعصم: موضع السّوار من اليد (1).

*** [أخبار زهير بن جناب وإيراد بعض أشعاره:]
ومن المعمّرين زهير بن جناب بن هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن ألحاف بن قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن
مالك بن حمير.
/ قال أبو حاتم: عاش زهير بن جناب مائتى سنة وعشرين سنة، وأوقع مائتى وقعة، وكان سيدا مطاعا شريفا فى قومه، ويقال: كانت فيه عشر خصال لم يجتمعن فى غيره من أهل زمانه، كان سيد قومه،

وشريفهم، وخطيبهم، وشاعرهم، ووافدهم إلى الملوك، وطبيبهم- والطّبّ فى ذلك الزمان شرف- وحازى قومه- والحزاة الكهّان- وكان فارس قومه، وله البيت فيهم، والعدد منهم.
وأوصى بنيه فقال: «يا بنى، قد كبرت سنّى، وبلغت حرسا من دهرى، فأحكمتنى التجارب، والأمور تجربة واحتيال؛ فاحفظوا عنى ما أقول وعوه، إياكم والخور عند المصائب، والتواكل عند النوائب، فإنّ ذلك داعية للغمّ، وشماتة للعدو، وسوء ظن بالرّب.

(1) وانظر ترجمة دويد وأشعاره فى (طبقات الشعراء 27 - 28، والمعمرين 20 - 21، والمختلف والمؤتلف من الشعراء 114 - 115، والاشتقاق 321، والشعر والشعراء لابن قتيبة 51، والقاموس- دود).

وإياكم أن تكونوا بالأحداث مغترين، ولها آمنين، ومنها ساخرين، فإنه ما سخر قوم قطّ إلّا ابتلوا، ولكن توقّعوها، فإنما الإنسان فى الدنيا غرض تعاوره الرّماة، فمقصّر دونه ومجاوز لموضعه، وواقع عن يمينه وشماله؛ ثم لا بدّ أنّه مصيبه».
قوله: «حرسا من دهرى»، يريد طويلا منه، والحرس من الدّهر: الطويل، قال الراجز:
* فى سنبة عشنا بذاك حرسا*
السّنبة: المدة من الدهر. والتواكل: أن يكل القوم أمرهم إلى غيرهم، من قولهم:
رجل وكل، إذا كان لا يكفى نفسه، ويكل أمره إلى غيره؛ ويقال: رجل وكلة تكلة.
والغرض: كلّ ما نصبته للرمى. وتعاوره، أى تداوله.
قال سيدنا الشريف أدام الله علوّه: وقد ضمّن ابن الرومىّ (1) معنى قول زهير بن جناب:
«الإنسان فى الدهر غرض تعاوره الرماة، فمقصّر دونه ومجاوز له، وواقع عن يمينه وشماله، ولا بدّ أن يصيبه» أبياتا، فأحسن كلّ الإحسان؛ والأبيات:
كفى بسراج الشّيب فى الرّأس هاديا ... لمن قد أضلّته (2) المنايا لياليا
أمن بعد إبداء المشيب مقاتلى ... لرامى المنايا تحسبينى ناجيا
غدا الدّهر يرمينى فتدنو سهامه ... لشخصى (3) أخلق أن يصبن سواديا
وكان كرامى اللّيل يرمى ولا يرى ... فلمّا أضاء الشّيب شخصى رمانيا
أما البيت الأخير، فإنه أبدع فيه وغرّب (4)، وما علمت أنّه سبق إلى معناه؛ لأنّه جعل الشباب كالليل الساتر على الإنسان، الحاجز بينه وبين من أراد رميه لظلمته

(1) حاشية الأصل: «كان ابن الرومى متشيعا، وكان مغلقا فى الشعر واللغة؛ بحيث يقول لتلامذته: اعرضوا شعرى، ثعلب، فما أنكر من نحوه فخذوه، وما أنكر من لغته فلا تلفتوا إليه؛ فإنى أعلم منه باللغة».
(2) ش: «إلى من أضلته». حاشية ت (من نسخة): «له من أضلته».

(3) ت، ونسخة بحاشية الأصل: «لشخصى وأخلق».
(4) ت: «وأغرب».

(1/239)

والشيب مبدئا لمقاتله، هاديا إلى إصابته لضوئه وبياضه، وهذا فى نهاية حسن المعنى.
وأراد بقوله: «رمانى» أى أصابنى؛ ومثله قول الشاعر:
فلمّا رمى شخصى رميت سواده ... ولا بدّ أن يرمى سواد الّذي يرمى
وكان زهير بن جناب على عهد كليب وائل، ولم يكن فى العرب أنطق من زهير ولا أوجه عند الملوك، وكان لسداد رأيه يسمى كاهنا، ولم تجمع قضاعة إلّا عليه وعلى رزاح ابن ربيعة.
وسمع زهير بعض نسائه تتكلّم بما لا ينبغى لمرأة تتكلم (1) به عند زوجها، فنهاها فقالت له: اسكت عنى وإلّا ضربتك بهذا العمود، فو الله ما كنت أراك تسمع شيئا ولا تعقله، فقال عند ذلك:
ألا لقوم لا أرى النّجم طالعا ... ولا الشّمس إلّا حاجتى بيمينى
معزّبتى عند القفا بعمودها ... يكون نكيرى أن أقول ذريبنى
أمينا على سرّ النّساء وربّما ... أكون على الأسرار غير أمين
فللموت خير من حداج (2) موطّأ ... مع الظّعن لا يأتى المحلّ لحينى
وهو القائل:
أبنيّ إن أهلك فقد ... أورثتكم مجدا بنيّة
وتركتكم أرباب سا ... دات زنادكم وريّه
من كلّ ما نال الفتى ... قد نلته إلّا التّحيّة
ولقد رحلت البازل ال ... كوماء ليس لها وليّه
وخطبت خطبة حازم ... غير الضّعيف (3) ولا العييّة

(1) ت: «أن تتكلمه».
(2) فى حاشيتى الأصل، ت: «الحدج: مركب من مراكب النساء؛ كالمحفة؛ وجمعه أحداج وحدوج؛ والحداجة لغة فيه؛ عن يعقوب، والجمع الحدائج».
(3) حاشية ت (من نسخة): «لا بالضعيف».

(1/240)

فالموت خير للفتى ... فليهلكن وبه بقيّه
من أن يرى الشّيخ البجا ... ل وقد يهادى بالعشيّه
/ وهو القائل:

ليت شعرى والدهر ذو حدثان ... أىّ حين منيّتى تلقانى!
أسبات على الفراش خفات ... أم بكفّى مفجّع حرّان (1)!
وقال حين مضت له مائتا سنة من عمره:
لقد عمّرت حتى ما أبالى ... أحتفى فى صباحى أم مسائى!
وحقّ لمن أتت مائتان عاما ... عليه أن يملّ من الثّواء
قوله: «معزبتى» يعنى امرأته، يقال: معزّبة الرجل وطلّته وحنّته؛ كل ذلك امرأته.
وقوله: «أمينا على سرّ النساء»، السرّ: خلاف العلانية، والسرّ أيضا: النكاح، قال الحطيئة:
ويحرم سرّ جارهم عليهم ... ويأكل جارهم أنف القصاع (2)
وقال امرؤ القيس:
ألا زعمت بسباسة اليوم أننى ... كبرت وألّا يحسن السّرّ أمثالى (3)

---

(1) حاشية الأصل: «السبات، أصله النوم، ويريد به الموت، وقد قيل: النوم موت خفيف، والموت نوم ثقيل؛ يقول: ليت شعرى: ألموت حتف أنفى على فراشى، أم يقتلنى متأثر عطشان إلى دمى! ».
(2) ديوانه: 93؛ وفى حاشية الأصل: «أنف القصاع أول ما يعرف من القدر فيكون أدسم»، وفى شرح الديوان: «يقول: يؤثرون جارهم بالطعام على أنفسهم، فيأكل صفوة طعامهم قبلهم، وأنف كل شيء أوله.
(3) ديوانه: 53، وقد ضبط قوله: «لا يحسن»، بالضمة والفتحة معا، فى الأصل، ت، وفى حاشيتيهما: «الرفع على إضمار الهاء، والنصب على اللفظ»، وفى حاشية الأصل (من نسخة): «وألا يشهد».

وكلاء زهير يحتمل الوجهين جميعا، لأنه إذا كبر وهرم لم تهيّبه النساء أن [يتحدّثن بحضرته بأسرارهن] (1)، تهاونا به، أو تعويلا على ثقل سمعه، وكذلك هرمه وكبره يوجبان كونه أمينا على نكاح النساء لعجزه عنه.
وقوله: «حداج موطّأ»، الحداج (2): مركب من مراكب النساء، والجمع أحداج وحدوج.
والظعن والأظعان: الهوادج، والظعينة المرأة فى الهودج؛ ولا تسمّى ظعينة حتى تكون فى هودج، والجمع ظعائن؛ وإنما خبّر عن هرمه، وأن موته خير من كونه مع الظّعن فى جملة النساء.
وقوله: «زنادكم وريّه»؛ الزّناد: جمع زند وزندة، وهما عودان يقدح بهما النار، وفى أحدهما فروض، وهى ثقب؛ فالتى فيها الفروض هى الأنثى، والّذي يقدح بطرفه هو الذّكر، ويسمى الزّند الأب، والزّندة الأم. وكنّى «بزنادكم وريّه» عن بلوغهم مأربهم؛ تقول العرب: وريت بك زنادى؛ أى نلت بك ما أحب من النّجح والنجاة، ويقال للرجل الكريم: وارى الزّناد.
/ فأما التحية، فهى الملك، فكأنه قال: من كلّ ما نال الفتى قد نلته إلا الملك؛ وقيل التحية هاهنا: الخلود والبقاء.

والبازل: النّاقة التى بلغت تسع سنين، فهى أشدّ ما تكون، ولفظ البازل فى الناقة والجمل سواء.
والكوماء: العظيمة السّنام. والوليّة: برذعة تطرح على ظهر البعير تلى جلده.
والبجال: الّذي يبجّله قومه ويعظّمونه. وقوله: «يهادى بالعشية»، أى يماشيه الرجال فيسندونه لضعفه. والتهادى: المشى الضعيف.

---

(1) ت: «تتحدث بحضرته بأسرارها».
(2) فى حاشيتى الأصل، ت: «القياس حدج [بضمتين] فى جمع حداج؛ إلا أن يكون نادرا؛ كظروف فى جمع ظريف».

وقوله: «أسبات»، فالسّبات: سكون الحركة، ورجل مسبوت، والخفات: الضعف أيضا، يقال: خفت (1) الرجل إذا
أصابه ضعف من مرض أو جوع.
والمفجّع: الّذي فجع بولد له أو قرابة. والحرّان: العطشان الملتهب (2)، وهو هاهنا المحزون على قتلاه.
ومما يروى لزهير بن جناب:
إذا ما شئت أن تسلى حبيبا ... فأكثر دونه عدد اللّيالى
فما سلّى حبيبك مثل نأى ... وما أبلى جديدك كابتذال (3)

---

(1) ش: «خفت»؛ بالبناء للمجهول.
(2) ش: «المحترق».
(3) وانظر ترجمة زهير بن جناب وأشعاره وأخباره فى (أخبار المعمرين 24 – 29، والمؤتلف والمختلف من أسماء الشعراء 130، وطبقات الشعراء: 30، والأغانى 21: 63 – 68، والشعر والشعراء 339 – 342، وتاريخ ابن الاثير 1: 299 – 301).

17 مجلس آخر [المجلس السابع عشر:]

[أخبار ذى الإصبع العدوانى وحديثه مع بناته الأربع:]

ومن المعمّرين ذو الإصبع العدوانىّ، واسمه حرثان بن محرّث بن الحارث بن ربيعة ابن وهب بن ثعلبة بن ظرب بن عمرو بن عياذ (1) بن يشكر بن عدوان. وهو الحارث بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر (2).

وإنما سمى الحارث عدوان، لأنه عدا على أخيه؛ فهمّ (3) بقتله، وقيل: بل فقأ عينه، وقيل: إن اسم ذو الإصبع محرّث بن حرثان، وقيل: حرثان بن حويرث، وقيل: حرثان ابن حارثة، ويكنّى أبا عدوان.
وسبب لقبه بذى الإصبع أنّ حية نهشته على إصبعه فشلّت، فسمى بذلك. ويقال:
إنه عاش مائة وسبعين سنة. وقال أبو حاتم: إنه عاش ثلاثمائة سنة.
وهو أحد حكّام العرب فى الجاهلية. وذكر الجاحظ أنه كان أثرم (4) وروى عنه:
لا يبعدن عهد الشباب ولا ... لذّاته ونباته النضر (5)
لولا أولئك ما حفلت متى ... عوليت فى حرج (6) إلى قبرى

---

(1) ش: «عباد بن يشكر».
(2) حاشية الأصل: «قال ش: هو قيس عيلان؛ وليس بقيس بن عيلان، وهو لقب للناس بن مضر، والياس أخو إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وقيل: عيلان اسم فرسه فنسب إليه، وقيل: بل عيلان لقب مضر بن نزار، لأنه يقال قيس بن عيلان؛ قال زفر بن الحارث:
ألا إنّما قيس بن عيلان بقّة ... إذا وجدت ريح العصير تغنّت.
(3) ش: «فهم فقتله».
(4) حاشية الأصل: «الأثرم: الّذي سقطت مقاديم أسنانه».
(5) فى حاشية الأصل، ت: «إن جررت النضر بدلا من الهاء فى «نباته» تخلصت من الإقواء؛ ولك أن تقول: «النضرى» منسوبا كقوله: «والدهر بالإنسان دوارىّ»، ويجوز أن يعطف على الشباب».
(6) حاشية ت (من نسخة): «حرجى» والحرج: سرير الموتى.

/ هزئت أثيلة أن رأت هرمى ... وأن انحنى لتقادم ظهرى
وكان (1) لذى الإصبع بنات أربع، فعرض عليهنّ أن يزوّجهنّ فأبين وقلن: خدمتك وقربك أحبّ إلينا. ثم أشرف عليهنّ يوما من حيث لا يرينه، فقلن: لتقل كلّ واحدة منّا ما فى نفسها، فقالت الكبرى:
ألا هل أراها مرّة وضجيعها ... أشمّ كنصل السّيف عين مهنّد (2)
عليم بأدواء النّساء وأصله ... إذا ما انتمى من سرّ أهلى ومحتدى (3)
ويروى «من أهل سرّى، ومن أصل سرّى ومحتدى».
فقلن لها: أنت تريدين ذا قرابة قد عرفته. ثم قالت الثانية:
ألا ليت زوجي من أناس أولى عدى (4) ... حديث الشّباب طيّب الثّوب (5) والعطر
ويروى: «أولى غنى».
لصوق بأكباد النّساء كأنّه ... خليفة جان لا ينام على وتر (6)
ويروى: «لا ينام على هجرى».
فقلن لها: أنت تريدين فتى ليس من أهلك. ثم قالت الثالثة:

(1) الخبر فى الأغانى 3: 94 – 96 (طبع دار الكتب المصرية)، ومع شرحه فى الكامل– بشرح المرصفى 5: 94 – 111، مع اختلاف فى الرواية ونسبة الأبيات.
(2) حاشية ت (من نسخة):
ألا هل أراها ليلة وضجيعها ... أغرّ كنصل السّيف غير المهنّد
ورواية الأغانى:
ألا هل أراها ليلة وضجيعها ... أشمّ كنصل السّيف غير مبلّد.
(3) رواية الأغانى: «طبيب بأدواء النساء»، ورواية الكامل: «بأدواء النساء كأنّه».
(4) حاشية ت (من نسخة): «ذوى غنى»، وهى رواية الأغانى والكامل.
(5) رواية الكامل: «طيب النشر»، ورواية الأغانى: «طيب الريح».
(6) حاشية ت (من نسخة): «خليفة جان».

ألا ليته يكسى الجمال نديّه (1) ... له جفنة تشقى بها المعز (2) والجزر
له حكمات الدّهر من غير كبرة ... تشين؛ فلا فان ولا ضرع غمر
فقلن لها: أنت تريدين سيدا شريفا.
وقلن للرابعة: قولى، فقالت: لا أقول شيئا، فقلن لها: يا عدوة الله، علمت ما فى أنفسنا ولا تعلميننا ما فى نفسك! فقالت: «زوج من عود خير من قعود»؛ فمضت مثلا.
فزوجهنّ أربعهن، وتركهن حولا، ثم أتى الكبرى فقال: يا بنيّة، كيف ترين زوجك؟
قالت: خير زوج، يكرم الحليلة، ويعطى الوسيلة. قال: فما مالكم؟ قالت: خير مال، الإبل نشرب ألبانها جزعا– ويروى: «جرعا»، بالراء غير المعجمة– ونأكل لحمانها مزعا، وتحملنا وضعيفنا (3) معا؛ فقال: يا بنيّة، زوج كريم، ومال عميم.
ثم أتى الثانية فقال: يا بنيّة، كيف زوجك؟ قالت: خير زوج؛ يكرم أهله، وينسى فضله، قال: وما مالكم؟ قالت: البقر تألف الفناء، وتملأ الإناء، وتودك (4) السقاء، ونساء مع النساء (5)، فقال لها: حظيت وبظيت (6).
ثم أتى الثالثة فقال: يا بنية، كيف زوجك؟ قالت: لا سمح بذر (7)، ولا بخيل حكر (8)

(1) رواية الأغانى:
* ألا ليته يملأ الجفان لضيفه*
ورواية الكامل:
* ألا ليته يعطى الجمال بديئة*
(2) فى الأغانى: «النيب».
(3) حاشية ت (من نسخة): «وضعفتنا».

(4) حاشية ت (من نسخة): «تودك»، بتشديد الدال مكسورة؛ وكذا ضبطت بالقلم فى الكامل.
(5) ش: «مع نساء»، وهى رواية الأغانى والكامل.
(6) حاشية ت (من نسخة): «رضيت».
(7) بذر: يبسط ماله بالبذر؛ وهو وصف للمبالغة.
(8) حكر: هو الّذي لا يزال يحبس سلعته حتى يبيع بالكثير من شدة حكره.

قال: فما مالكم؟ قلت: المعزى، قال: وما هى؟ قلت: لو كنّا نولّدها فطما، ونسلخها أدما- ويروى: «أدما» بالفتح- لم نبغ بها نعما. فقال لها: جذوة (1) مغنية- ويروى:
جدوى (2) مغنية.
ثم أنى الصغرى فقال: كيف زوجك؟ قالت: شرّ زوج؛ يكرم نفسه، ويهين عرسه؛ قال: فما مالكم؟ قالت: شرّ مال، قال: وما هو؟ قالت: الضأن، جوف لا يشبعن، وهيم لا ينقعن، وصمّ لا يسمعن، وأمر مغويتهن يتبعن. فقال أبوها: «أشبه امرؤ (3) بعض بزّه»، فمضت مثلا.
أمّا قول إحدى بناته فى الشعر: «أشمّ»، فالشمم هو ارتفاع أرنبة الأنف وورودها؛ يقال: رجل أشمّ، ، وامرأة شماء، وقوم شمّ، قال حسان بن ثابت:
بيض الوجوه كريمة أحسابهم ... شمّ الأنوف من الطّراز الأوّل (4)
والشّمم: الارتفاع فى كلّ شيء؛ فيحتمل أن يكون حسّان أراد بشمّ الأنوف ما ذكرناه من ورود الأرنبة؛ لأن ذلك عندهم دليل العتق والنجابة. ويجوز أن يريد بذلك الكناية عن نزاهتهم وتباعدهم عن دنايا الأمور ورذائلها؛ وخصّ الأنوف بذلك؛ لأن الحميّة والغضب والأنف (5) فيها؛ ولم يرد طول أنفهم؛ وهذا أشبه بأن يكون مراده؛ لأنه قال: «بيض الوجوه» ولم يرد بياض اللون فى الحقيقة، وإنما كنى بذلك عن نقاء أعراضهم، وجميل أخلاقهم وأفعالهم؛ كما يقول القائل: جاءنى فلان بوجه أبيض، وقد بيّض فلان وجهه بكذا وكذا، وإنما يعنى ما ذكرناه. وقول المرأة: «أشمّ كنصل السيف» يحتمل الوجهين أيضا. وقول حسان «من الطراز الأول»، أى أفعالهم أفعال آبائهم وسلفهم، وأنّهم لم يحدثوا أخلاقا مذمومة لا تشبه نجارهم وأصولهم. وقولها: «عين مهنّد»؛ أى هو المهنّد بعينه، كما يقال: هذا هو بعينه، وعين

---

(1) حاشية ت (من نسخة): «حذوة».
(2) حاشية ت (من نسخة): «حذوى».
(3) حاشية ت (من نسخة): «أشبه امرأ بعض بزه»، والبز فى الأصل: مناع البيت من الثياب خاصة؛ كنى به عن الضأن؛ وهى متاع؛ والمثل يضرب للمتشابهين أخلاقا.
(4) ديوانه: 80.
(5) حاشية ت (من نسخة): «والأنعة».

الشيء نفسه. وعلى الرواية الأخرى: «غير مهنّد» أى ليس هو السيف المنسوب إلى الهند فى الحقيقة، وإنما هو يشبهه فى مضائه. وقولها: «من سرّ أهلى»، أى من أكرمهم وأخلصهم، يقال: فلان فى سرّ قومه، أى فى صميمهم وشرفهم، وسرّ الوادى: أطيبه ترابا.

والمحتد: الأصل.

وقول الثانية: «أولى عدى» / فإنّما معناه أن يكون لهم أعداء، لأنّ من لا عدوّ له هو الفسل الرذل الّذي لا خير عنده، والكريم الفاضل من الناس هو المحسّد المعادى (1).

وقولها: «لصوق بأكباد النساء» تعنى فى المضاجعة، ويحتمل أن تكون أرادت فى المحبة والمودّة، وكنّت بذلك عن شدّة محبتهن له، وميلهن إليه، وهو أشبه. وقولها:

«كأنه خليفة جان» أى كأنه حيّة للصوقه، والجان: جنس من الحيات (2)، فخفّفت لضرورة الشعر.

وقول الثالثة: «يكسى الجمال نديّه» فالندىّ هو المجلس. وقولها: «له حكمات الدهر» تقول: قد أحكمته التجارب، وجعلته حكيما. فأما الضّرع فهو الضعيف. والغمر:

الّذي لم يجرب الأمور.

وقول الكبرى: «ويكرم الحليلة، ويعطى الوسيلة»، فالحليلة هى امرأة الرجل، والوسيلة الحاجة. وقولها: «نشرب ألبانها جزعا» فالجزع جمع جزعة، وهو الماء القليل يبقى فى الإناء، وقولها: «مزعا»، المزعة: البقية من دسم، ويقال: ما له جزعة ولا مزعة، هكذا ذكر ابن دريد، الضمّ فى جزعة، ووجدت غيره يكسرها فيقول جزعة، وإذا كسرت فينبغى

---

(1) حاشية ت: «الأولى أن يكون العدى هاهنا الغرباء؛ لما تقدم من: استدلالهن؛ وهو قولهن «فتى ليس من أهلك».

(2) فى حاشيتى الأصل، ت: «لأن يكون من الجناية أحسن وأقرب إلى الصواب، ويكون من باب قوله:

* إذا لم أجن كنت مجنّ جان*.

أن يكون «نشرب ألبانها جزعا» وتكسر المزعة أيضا ليزدوج الكلام، فتقول:

«ونأكل لحمانها مزعا»، قال: المزعة، بالكسر: هى القطعة من الشحم، والمزعة بالكسر أيضا من الرّيش والقطن وغير ذلك، كالمزقة من الخرق، والتّمزيع: التقطيع والتشقيق؛ يقال إنه ليكاد يتمزّع من الغيظ، ومزع الظّبى فى عدوه يمزع مزعا؛ إذا أسرع، وقوله: «مال عميم»: ، أى كثير.

وقول الثانية: «تودك السّقاء»، من الودك الّذي هو (1) الدّسم.

وقول الثالثة: «نولّدها فطما»، الفطم: جمع فطيم، وهو المقطوع من الرّضاع. وقولها:

«نسلخها أدما»، فالأدم: جمع إدام، وهو الّذي يؤكل؛ تقول: لو أنا فطمناها عند الولادة وسلخناها للأدم من الحاجة لم نبغ بها نعما. وعلى الرواية الأخرى: أدما، من الأديم.
وقوله: «جذوة مغنية»، فالجذوة: القطعة.
وقول الصغرى: «جوف لا يشبعن»، الجوف: جمع جوفاء، وهى العظيمة الجوف.
والهيم: العطاش، ولا ينقعن؛ أى لا يروين، ومعنى قولها: «وأمر مغويتهنّ يتبعن»، لأنّ القطيع من الضأن يمر على قنطرة فتزلّ واحدة فتقع فى الماء، فيقعن كلّهنّ اتباعا لها، والضأن يوصف/ بالبلادة.

[خبر عبد الملك بن مروان مع سعيد بن خالد الجدلىّ:]
أخبرنا أبو الحسن عليّ بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم عن أبى عبيدة عن يونس. قال ابن دريد وأخبرنا به العكلىّ عن أبى خالد (2) عن الهيثم بن عدىّ عن مسعر بن كدام قال حدثنى سعيد بن خالد الجدلىّ قال: لما (3) قدم عبد الملك ابن مروان الكوفة بعد قتل مصعب، دعا الناس على فرائضهم (4)، فأتيناه فقال:

---

(1) حاشية الأصل: «بخط ابن الشجرى على الحاشية: وجدت فى بعض الروايات: «تودل السقاء» باللام مأخوذ من الأدل؛ وهو اللبن الحامض».
(2) حاشية ت (من نسخة): «عن أبى خالد».
(3) الخبر فى الأغانى 3 – 91 – 92؛ (طبع دار الكتب المصرية).
(4) ت: «إلى فرائضهم»، والفرائض: العطايا.

[من القوم؟ فقلنا: جديلة] (1)، فقال: جديلة عدوان؟ قلنا: نعم، فتمثّل عبد الملك:
عذير الحىّ من عدوا ... ن كانوا حيّة الأرض (2)
بغى بعضهم بعضا ... فلم يرعوا على بعض
ومنهم كانت السادا ... ت والموفون بالقرض
ومنهم حكم يقضى ... فلا ينقض ما يقضى
ومنهم من يجيز النا ... س فى السّنّة والفرض (3)
ثم أقبل على رجل كنّا قدّمناه أمامنا جسيم وسيم، فقال: أيّكم يقول هذا الشعر؟
فقال: لا أدرى، فقلت أنا من خلفه: يقوله ذو الإصبع، فتركنى وأقبل على ذاك الجسيم فقال: وما كان اسم ذى الإصبع؟ فقال: لا أدرى، فقلت أنا من خلفه: حرثان، فأقبل عليه وتركنى، فقال: لم سمّى ذا الإصبع؟ فقال: لا أدرى، فقلت: أنا من خلفه نهشته حيّة فى إصبعه، فأقبل عليه وتركنى فقال: من أيّكم كان؟ فقال: لا أدرى، فقلت أنا من خلفه من بنى ناج، فأقبل على الجسيم فقال: كم عطاؤك؟ قال: سبعمائة (4)، ثم أقبل علىّ فقال:
كم عطاؤك؟ قلت: أربعمائة (5) فقال: يا ابن الزّعيزعة، حطّ من عطاء هذا ثلاثمائة، وزدها فى عطاء

هذا، فرحت وعطائى سبعمائة وعطاؤه أربعمائة.
وفى رواية أخرى أنه قال له: من أيّكم كان؟ فقال: لا أدرى، فقلت أنا من خلفه:
من بنى ناج، الّذي يقول فيهم الشاعر:
وأما بنو ناج فلا تذكرنّهم ... ولا تتبعن عينيك من كان هالكا
[إذا قلت معروفا لتصلح بينهم] (6) ... يقول وهيب لا أسالم (7) ذلكا

---

(1) ت: «ممن القوم؟ فقلنا: من جديلة».
(2) حاشية الأصل: «عذير: مصدر يقوم مقام الاستفهام؛ والتقدير: من يعذرهم؟ ».
(3) قال أبو الفرج: «قوله «ومنهم من يجيز الناس»؛ فإن إجازة الحج كانت لخزاعة، فأخذتها منهم عدوان»، وانظر القصيدة فى الأغاني مع
اختلاف الرواية وعدد الأبيات.
(4) حاشية ت (من نسخة): «سبعمائة درهم».
(5) حاشية ت (من نسخة) «أربعمائة درهم».
(6) حاشية ت: «إذا قلت معروفا لأصلح بينهم»، وهى توافق رواية الأغانى.
(7) م: «لا أسلم».

ويروى «لا أحاول ذلكا».
/ فأضحى كظهر العود (1) جبّ سنامه ... تحوم عليه الطير أحدب باركا

[إيراد شعر لذى الإصبع وشرح ما ورد فى ذلك من الغريب:]
وقد رويت هذه الأبيات لذى الإصبع أيضا:
ومن أبيات ذى الإصبع السائرة قوله:
أكاشر ذا الضّغن المبيّن منهم ... وأضحك حتّى يبدو النّاب أجمع (2)
وأهدنه بالقول هدنا ولو يرى ... سريرة ما أخفى لبات يفزّع
ومعنى «أهدنه» أسكّنه.
ومن قوله أيضا:
إذا ما الدّهر جرّ على أناس ... شراشره أناخ بآخرينا (3)
فقل للشّامتين بنا أفيقوا ... سيلقى الشّامتون كما لقينا
ومعنى «الشراشر» هاهنا الثّقل، يقال ألقى عليه شراشره وجراميزه، أى ثقله.
ومن قوله:
ذهب الّذين إذا رأونى مقبلا ... هشّوا إلى ورحّبوا بالمقبل
وهم الّذين إذا حملت حمالة (4) ... ولقيتهم فكأنّنى لم أحمل

ومن قوله وهى مشهورة (5):

(1) العود هنا: المسن من الإبل، ورواية للأغانى: «الفحل». ورواية أخرى: «فأضحوا كظهر العود»، وبعده:
فإن تك عدوان بن عمرو تفرّقت ... فقد غنيت دهرا ملوكا هنالكا.
(2) البيتان فى حماسة البحترى 140، ونسبهما إلى معن بن أوس.
(3) نسب البيتان فى الشعر والشعراء: 450، والحماسة 3: 191، وعيون الأخبار 3: 114، للفرزدق؛ وفى حماسة البحترى: 149 نسبا إلى مالك بن عمرو الأسدى.
(4) الحمالة: الدية.
(5) القصيدة فى المفضليات- بشرح ابن الأنبارى 321 – 327، والأمالى 1: 254 – 257، والخزانة 3: 226 – 228، وشرح شواهد المغنى: 147 – 148، وأبيات منها فى الشعر والشعراء 689؛ مع اختلاف فى الرواية وعدد الأبيات.

لى ابن عمّ على ما كان من خلق ... مختلفان فأقليه ويقلينى (1)
أزرى بنا أنّنا شالت نعامتنا ... فخالنى دونه بل خلته (2) دونى
لاه ابن عمّك لا أفضلت فى حسب ... عنّى ولا أنت ديانى فتخزونى (3)
إنى لعمرك ما بابى بذى غلق ... عن الضيوف ولا خيرى بممنون (4)
ولا لسانى على الأدنى بمنطلق ... بالفاحشات ولا أغضى على الهون
ماذا عليّ وإن كنتم ذوى رحمى (5) ... ألّا أحبّكم إذ (6) لم تحبّونى
يا عمرو إلّا تدع (7) شتمى ومنقصتى ... أضربك حيث (8) تقول الهامة اسقونى
وأنتم معشر زيد (9) على مائة ... فأجمعوا أمركم طرّا فكيدونى
لا يخرج القسر منى غير مأبية ... ولا ألين لمن لا يبتغى لينى (10)
/ قوله «شالت نعامتنا»، معناه تنافرنا [، فضرب النعام مثلا؛ أى لا أطمئن إليه] (11)، ولا يطمئن إلى، يقال: شالت نعامة القوم إذا جلوا (12) عن الموضع.
وقوله: «لاه ابن عمك»؛ قال قوم: أراد لله ابن عمك. وقال ابن دريد: أقسم وأراد الله ابن عمك.
وقوله: «عنّى» أى علىّ (13)، والدّيّان: الّذي يلى أمره. ومعنى: «فتخزونى» أى تسوسونى. والهون: الهوان.

(1) حاشية الأصل: «أى نحن مختلفان».
(2) ت، حاشية الأصل (من نسخة): «وخلته»؛ وهى رواية الأمالى وأزرى بنا: قصر بنا.
(3) لا أفضلت؛ أى ما جئت بفضل.
(4) من نسخة بحاشيتى الأصل، ت: «عن الصديق»، وممنون: منقطع؛ أى لا أقطع عنه فضلى.

(5) حاشية ت (من نسخة): «رحم».
(6) ش: «إن».
(7) حاشية الأصل (من نسخة): «إن لم تدع».
(8) م: «حتى».
(9) زيد: زيادة.
(10) حاشية الأصل (من نسخة) بعد هذا البيت:
كلّ امرئ صائر يوما لشيمته ... وإن تخلّق أخلاقا إلى حين.
(11) ت: «فصرت لا أطمئن إليه».
(12) حاشية ت (من نسخة): «أجلوا».
(13) فى حاشيتى الأصل، ت: «الأحسن أن يقدر هاهنا قبل يتعلق «عن» به؛ هكذا هو عند المحققين».

وقوله: «أضربك حيث تقول الهامة اسقونى»، قال الأصمعىّ: العطش فى الهامة، فأراد أضربك فى ذلك الموضع، أى على الهامة حتى تعطش. وقال آخرون: العرب تقول:
إن الرجل إذا قتل خرجت من رأسه هامة تدور حول قبره، وتقول: اسقونى، اسقونى! فلا تزال كذلك حتى يؤخذ بثأره؛ وهذا باطل؛ ويجوز أن يعنيه ذو الإصبع على مذاهب العرب.
وقوله: «لا يخرج القسر منّى غير مأبية»، فالقمر: القهر، أى إن أخذت قسرا لم أزدد إلّا إباء (1).

*** [ذكر معديكرب الحميرى وبعض شعره:]
ومن المعمّرين معديكرب الحميرىّ؛ من آل ذى رعين «قال ابن سلّام: وقال معديكرب (2) الجميرىّ- وقد طال عمره:
أرانى كلّما أفنيت يوما ... أتانى بعده يوم جديد
يعود بياضه (3) فى كلّ فجر ... ويأبى لى شبابى ما يعود

*** [أخبار الربيع بن ضبع الفزارىّ:]
ومن المعمّرين الربيع بن ضبع (4) الفزارىّ، ويقال إنه بقى إلى أيام بنى أمية. وروى أنّه دخل على عبد الملك بن
مروان فقال له: يا ربيع، أخبرنى عمّا أدركت من العمر والمدى، ورأيت من الخطوب الماضية، قال: أنا الّذي أقول:
ها أنا ذا آمل الخلود وقد ... أدرك عقلى ومولدى حجرا (5)
فقال عبد الملك: قد رويت هذا من شعرك وأنا صبى، قال: وأنا القائل:

(1) وانظر ترجمة ذى الإصبع وأخباره وأشعاره فى (الاشتقاق 163، والمعمرين 90، والأغانى 3: 2 – 11، واللآلئ 289 – 290، والخزانة 2: 406 – 409 والشعر والشعراء 688 – 690).
(2) حاشية الأصل: «معديكرب، بالفتح، ويكون معدى مضافا إلى كرب».
(3) ت، وحاشية الأصل (من نسخة): «ضياؤه».
(4) ت: «ضبع، بالتنوين، وفى حاشية الأصل: «فى نسخة مقروءة من كتاب سيبويه– وقد قرئ على أبى على الفارسى رحمه الله– وفى أخرى مقروءة على ابن أخنه أبى الحسين: الربيع بن ضبع، منونا بآخره».
(5) حاشية الأصل:
«حجر أبو امرئ القيس».

إذا عاش الفتى مائتين عاما ... فقد ذهب اللّذاذة والفتاء (1)
قال: قد رويت هذا من شعرك وأنا غلام، وأبيك يا ربيع، لقد طلبك (2) جدّ غير عاثر، ففصّل لى عمرك، قال: عشت مائتى سنة فى فترة عيسى عليه السلام، وعشرين ومائة فى الجاهلية، وستين سنة/ فى الإسلام. قال: أخبرنى عن فتية من قريش متواطئى الأسماء، قال: سل عن أيّهم شئت، قال: أخبرنى عن عبد الله بن العباس، قال: فهم وعلم، وعطاء جذم (3)، ومقرى ضخم. قال: فأخبرنى عن عبد الله بن عمر قال: حلم وعلم، وطول كظم، وبعد من الظّلم. قال: فأخبرنى عن عبد الله بن جعفر، قال: ريحانة طيّب ريحها، ليّن مسّها، قليل على المسلمين ضرّها. قال: فأخبرنى عن عبد الله بن الزّبير، قال: جبل وعر، ينحدر (4) منه الصّخر. قال: لله درّك يا ربيع! ما أعرفك بهم! قال: قرب جوارى، وكثر استخبارى.
قال سيدنا الشريف الأجلّ المرتضى أدام الله علوّه: إن كان هذا الخبر صحيحا فيشبه أن يكون سؤال عبد الملك له إنما كان فى أيام معاوية، لا فى أيام ولايته، لأن الربيع يقول فى الخبر:
«عشت فى الإسلام ستين سنة» (5)، وعبد الملك ولى فى سنة خمس وستين من الهجرة، فإن كان صحيحا فلا بد مما ذكرناه؛ فقد روى أن الرّبيع أدرك أيام معاوية؛ ويقال: إن الربيع لما بلغ مائتى سنة قال:

---

(1) البيت من شواهد الرضى على الكافية، وهو فى (الخزانة 3: 306)، أورده شاهدا على أنه قد يفرد مميز المائة وينصب؛ وأورده سيبويه فى موضعين: الأول فى باب الصفة المشبهة بالفاعل وذكر أسماء العدد وعملها فى الأسماء؛ (الكتاب 1: 106)، والثانى فى باب كم (1: 306).
وأورده ابن قتيبة فى (أدب الكاتب: 295)، فى باب «أسماء يتفق لفظها وتختلف معانيها»، قال: «والفتاء من السن ممدود، وروى البيت، وذكره البطليوسى فى الاقتضاب: 369، وأورد بيتين بعده.
(2) من نسخة بحاشيتى الأصل، ت: «لقد طار بك».
(3) من نسخة بحاشيتى الأصل، ت: «حذم»، بالحاء، وأصل الحذم الإسراع.

(4) حاشية الأصل (من نسخة): «يتحدر منه»، وفى حاشية ت (من نسخة): «ينحدر عنه.
(5) ت: «حجة».

ألا أبلغ بنيّ بنى ربيع ... فأشرار البنين لكم فداء (1)
بأنّى قد كبرت ودقّ عظمى ... فلا تشغلكم عنّى النّساء
وإنّ كنائنى لنساء صدق ... وما آلى بنيّ ولا أساءوا (2)
إذا كان (3) الشّتاء فأدفئونى ... فإنّ الشيخ يهدمه الشّتاء
وأمّا حين يذهب كلّ قرّ ... فسربال خفيف أو رداء
إذا عاش الفتى مائتين عاما ... فقد ذهب اللّذاذة (4) والفتاء
وقال حين بلغ مائتين وأربعين سنة:
أصبح منّى الشّباب قد حسرا (5) ... إن ينا (6) عنّى فقد ثوى عصرا
ودّعنا قبل أن نودّعه ... لمّا قضى من جماعنا وطرا
ها أنا ذا آمل الخلود وقد ... أدرك عقلى (7) ومولدى حجرا
أبا امرئ القيس هل سمعت به! ... هيهات هيهات طال ذا عمرا
/ أصبحت لا أحمل السّلاح ولا ... أملك رأس البعير إن نفرا

---

(1) المقطوعة فى (شرح أدب الكاتب للجواليقى 266، والمعمرين 6 – 7، وذيل الأمالى: 214، والخزانة 3: 306). قال الجواليقى: «قوله: «فأشرار البنين لكم فداء»، وصفهم بالبر»، وفى الخزانة: «أنذال البنين».
(2) الكائن: جمع كنة؛ بالفتح والتشديد؛ وهى امرأة الابن والأخ؛ يريد أنهن نعم النساء، وفى حاشية ت (من نسخة): «ألى»، بتشديد اللام قال: «وهو الصحيح؛ ومعنى «ألى»، قصر فى قول بعضهم، واللغة الأخرى «ألا»، مخففا؛ يقال: ألا الرجل يألو؛ إذا قصر وفتر؛ فأما «آلى» فى البيت فلا وجه له؛ لأنه بمعنى حلف، ولا معنى له هاهنا».
وفى المعمرين لأبى حاتم: «ويروى: «وما ألى»، والتألية: التقصير، ومن قال: «وما آلى» فالمعنى ما أقسموا ألا يبرونى»، وروى عن أبى عمرو الشيبانى قال: سألنى القاسم بن معن عن قوله:
* وما ألّى بنيّ وما أساءوا*
قلت: أبطئوا، قال: ما تدع شيئا! وانظر اللسان (ألا).
(3) كان هاهنا تامة، لا اسم لها ولا خبر، وفى المعمرين: «جاء».
(4) فى الاقتضاب: «النخيل»، وقال فى شرحه: النخيل:
الخيلاء، ويروى: «المسرة»، ويروى: «المروءة»، .
(5) فى حاشيتى الأصل، ت: «يقال:
حسر البعير يحسر إذا أعيا، وتحسر واستحسر كذلك، وحسرته أنا، يتعدى ولا يتعدى».

(6) ت: «بان عنى».
(7) ش: «سنى»، وفى م: «عقلى».

(1/255)

والذّئب أخشاه إن مررت به ... وحدى وأحشى الرّياح والمطرا
من بعد ما قوّة أسرّ (1) بها ... أصبحت شيخا أعالج الكبرا (2)
قوله: «عطاء جذم» أى سريع، وكلّ شيء تسرّعت فيه فقد جذمته، وفى الحديث:
«إذا أذّنت فترسّل، وإذا أقمت فاجذم»، أى أسرع. والمقرى: الإناء الّذي يقرى فيه.
وقوله: «فما آلى بنيّ ولا أساءوا»، أى لم يقصّروا، والآلى: المقصّر (3).

---

(1) حاشية ت من نسخة: «أنوء».
(2) وردت هذه الأبيات فى حماسة البحترى: 322، ونوادر أبى زيد 158؛ ونقل صاحب الخزانة (3: 309) عن ابن السيد فى شرح الجمل قال: «روى الرواة أن الربيع بن ضبع عاش حتى أدرك الإسلام، وأنه قدم الشام على معاوية بن أبى سفيان ومعه حفدته، ودخل حفيده على معاوية فقال له: اقعد يا شيخ؛ فقال له: وكيف يقعد من جده بالباب؟ فقال له معاوية:
لعلك من ولد الربيع بن ضبع، فقال: أجل؛ فأمره بالدخول، فلما دخل سأله معاوية عن سنه فقال:
أقفر من ميّة الجريب إلى الزّ ... جين إلّا الظباء والبقرا
كأنّها درّة منعّمة ... من نسوة كنّ قبلها دررا
أصبح منّى الشباب مبتكرا ... إن ينأ عنى فقد ثوى عصرا
إلى آخر الأبيات المتقدمة؛ فقرأ معاوية، وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ.
(3) وانظر ترجمة الربيع بن ضبع وأخباره وأشعاره فى (المعمرين 6 – 7، واللآلئ 802، والخزانة 3: 306 – 309، والإصابة، 2: 209).

(1/256)

18 مجلس آخر [المجلس الثامن عشر:]

[أخبار أبى الطمحان القينىّ وإيراد طائفة من شعره:]

ومن المعمّرين أبو الطّمحان القينىّ، واسمه حنظلة بن الشّرقىّ، من بنى (1) كنانة ابن القين؛ قال أبو حاتم: عاش مائتى سنة، فقال فى ذلك:
حنتنى حانيات الدّهر حتّى ... كأنى خاتل (2) أدنو لصيد
قصير الخطو يحسب من رآنى ... – ولست مقيّدا– أنّى بقيد
ويروى: «قريب الخطو».

قال أبو حاتم: حدثنى عدّة من أصحابنا أنهم سمعوا يونس بن حبيب ينشد هذين البيتين، وينشد أيضا:

تقارب خطو رجلك يا سويد (3) ... وقيّدك الزّمان بشرّ قيد

وهو القائل:

وإنّى من القوم الذين هم هم ... إذا مات منهم ميّت قام صاحبه (4)

نجوم سماء كلّما غاب كوكب ... بدا كوكب تأوى إليه كواكبه

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم ... دجى اللّيل حتّى نظّم الجزع ثاقبه

وما زال منهم حيث كان مسوّد (5) ... تسير المنايا حيث سارت كتائبه (6)

ومعنى البيتين الأوّلين يشبه قول أوس بن حجر:

---

(1) حاشية ت (من نسخة): «من كنانة».

(2) من نسخة بحاشيتى الأصل، ت: «حابل».

(3) ت، ش: «يادويد».

(4) ش: «منهم سيد».

(5) من نسخة بحاشيتى الأصل، ت: «حيث كانوا متوج».

(6) من نسخة بحاشيتى الأصل، ت: «ركائبه».

إذا مقرم منّا ذرا حدّ نابه ... تخمّط فينا ناب آخر مقرم (1)

/ ولطفيل الغنوىّ مثل هذا، وهو:

كواكب دجن كلّما انقضّ كوكب ... بدا وانجلت عنه الدّجنّة كوكب (2)

وقد أخذ الخريمىّ هذا المعنى فقال:

إذا قمر منّا تغوّر أو خبا ... بدا قمر فى جانب الأفق يلمع

ومثل ذلك:

خلافة أهل الأرض فينا وراثة ... إذا مات منا سيّد قام صاحبه

ومثله:

إذا سيّد منا مضى لسبيله ... أقام عمود الملك (3) آخر سيّد

وكأنّ مزاحما العقيلىّ نظر إلى قول أبى الطمحان:

* أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم*

فى قوله:

وجوه لو أنّ المدلجين اعتشوا بها ... صدعن الدّجى حتّى ترى الليل ينجلى (4)

ويقارب ذلك قول حجيّة بن المضرّب الكندىّ:

أضاءت لهم أحسابهم فتضاءلت ... لنورهم الشّمس المضيئة والبدر (5)

وأنشد محمد بن يحيى الصوليّ فى معنى بيتى أبى الطّمحان:

(1) ديوانه: 27، واللسان (خمط) وفى حاشيتى الأصل، ت: «ذرا الشيء: سقط، وذروته: طيرته. وتخمط الفحل؛ إذا انتفخ عند الهيام».
(2) ديوانه: 19.
(3) حاشية ت (من نسخة) «الدين».
(4) ديوانه: 6، مجالس ثعلب: 277.
(5) من أبيات ذكرها القالى فى (الأمالى 1: 53 – 54)، وقال: «يمدح فيها يعفر بن زرعة، أحد الأملوك أملوك ردمان»؛ وأولها:
إذا كنت سائلا عن المجد والعلى ... وأين العطاء الجزل والنّائل الغمر
فنقّب عن الأملوك واهتف لحمير ... وعش جار ظلّ لا يغالبه الدّهر
والأملوك: قبيلة من حمير، وردمان: مدينة باليمن».

من البيض الوجوه بنى سنان ... لو أنّك تستضيء بهم أضاءوا (1)
هم حلّوا من الشّرف المعلّى ... ومن كرم العشيرة حيث شاءوا (2)
فلو أنّ السّماء دنت لمجد ... ومكرمة دنت لهم السّماء (3)
وأبو الطمحان القائل:
إذا كان فى صدر ابن عمّك إحنة ... فلا تستثرها سوف يبدو دفينها (4)
وهو القائل:
إذا شاء راعيها استقى من وقيعة ... كعين الغراب صفوها لم يكدّر (5)
ويروى: «صفيّه لم يكدّر»، والوقيعة: المستنقع فى الصخرة للماء، ويقال للماء إذا زل (6) من صخرة فوقع/ فى بطن أخرى ماء الوقائع، وأنشدوا لذى الرّمة:
ونلنا سقاطا من حديث كأنه ... جنى النّحل ممزوجا بماء الوقائع (7)
ويقال للماء الّذي يجرى على الصخر ماء الحشرج، وللماء الّذي يجرى بين الحصى والرمل ماء المفاصل، وأنشدوا لأبى ذؤيب:

(1) من أبيات ثمانية، نسبها أبو تمام إلى أبى البرج القاسم بن حنبل المرىّ؛ يقولها فى زفر بن أبى هاشم ابن مسعود بن سنان؛ وأولها:
أرى الخلّان بعد أبى حبيب ... وحجر فى جنابهم جفاء
وهى فى الحماسة– بشرح التبريزى 1: 197 – 198، وأبيات منها فى الحيوان 2: 1 – 2، والمؤتلف والمختلف 62، ومعجم المرزباني 323.
(2) فى الحماسة: «حسب العشيرة».

(3) فى الحماسة: «لكم السماء».
(4) البيت فى اللسان (أحن)، نسبه إلى الأقيبل القينى؛ وذكر قبله:
متى ما يسؤ ظنّ امرئ بصديقه ... يصدّق بلاغات يجئه يقينها
وهو أيضا بهذه النسبة فى المؤتلف والمختلف: 23؛ وفى الفائق 1: 16؛ من غير عزو.
(5) ت: «كعين العذاب»، قال: وذكر فوقها: «وهو اسم موضع» وعين الغراب يضرب بها المثل فى الصفاء.
(6) ت: «عن صخرة».
(7) ديوانه: 358.

مطافيل أبكار حديث نتاجها ... يشاب بماء مثل ماء المفاصل (1)
وأنشد أبو محلّم السعدىّ لأبى الطّمحان:
بنيّ إذا ما سامك الذّلّ قاهر ... عزيز فبعض الذّلّ أبقى وأحرز (2)
ولا تحم (3) من بعض الأمور تعزّزا ... فقد يورث الذّلّ الطويل التّعزّز
وهذان البيتان يرويان لعبد الله بن معاوية الجعفرىّ.
وروى لأبى الطّمحان أيضا فى مثل هذا المعنى:
يا ربّ مظلمة (4) يوما لطيت لها ... تمضى عليّ إذا ما غاب نصّارى (5)
حتّى إذا ما انجلت عنّى غيابتها ... وثبت فيها وثوب المخدر الضّارى (6)

*** [أخبار عبد المسيح بن بقيلة الغسانىّ:]
ومن المعمّرين عبد المسيح بن بقيلة الغسّانىّ، وهو عبد المسيح بن عمرو بن قيس ابن حيان بن بقيلة، وبقيلة اسمه ثعلبة، وقيل الحارث؛ وإنما سمّى بقيلة لانه خرج فى بردين أخضرين على قومه، فقالوا له: ما أنت إلا بقيلة، فسمى لذلك.
وذكر الكلبىّ وأبو مخنف وغيرهما أنه عاش ثلاثمائة سنة وخمسين سنة، وأدرك الإسلام فلم يسلم، وكان نصرانيّا.
وروى أن خالد بن الوليد لما نزل على الحيرة، وتحصّن منه أهلها أرسل إليهم: ابعثوا إلى رجلا من عقلائكم، وذوى أسنانكم (7). فبعثوا إليه بعبد المسيح بن بقيلة، فأقبل يمشى

---

(1) حاشية الأصل: «قبله:
وإنّ حديثا منك لو تبذلينه ... جنى النّحل فى ألبان عوذ مطافل
«مطافيل أبكار»، بدل من قوله: «عوذ مطافل»، ومطافل: جمع مطفل؛ وهى التى معها ولدها».
وانظر ديوان الهذليين 1: 140.
(2) حاشية ت (من نسخة): «أتقى وأحرز».

(3) من نسخة بحاشيتى الأصل، ت: «ولا تجن».
(4) حاشية الأصل (من نسخة):
«مظلمة»، بضم الميم.
(5) ش: «أنصارى».
(6) الغياية: كل ما أظل الإنسان فوق رأسه. وانظر ترجمة أبى الطمحان وأخباره وأشعاره فى (الشعر والشعراء 348 – 349، والمعمرين 57، والاشتقاق 317، والمؤتلف والمختلف 149 – 150، والأغانى 11: 125 – 128، واللآلى 332، والإصابة 2: 66، والخزانة 3: 426).
(7) من نسخة بحاشيتى الأصل، ت: «أنسابكم».

حتى دنا من خالد، فقال له: انعم صباحا أيها الملك! قال: قد أغنانا الله عن تحيّتك هذه، فمن أين أقصى أثرك أيها الشيخ؟ قال: من ظهر أبى، قال: فمن أين خرجت؟ قال من بطن أمى، قال: فعلام أنت؟ قال: على الأرض، قال: ففيم أنت؟ قال: فى ثيابى، قال:
أتعقل– لا عقلت؟ قال: إي والله/ وأقيّد، قال: ابن كم أنت؟ قال: ابن رجل واحد، قال خالد: ما رأيت كاليوم قطّ، إنى أسأله عن الشيء [وينحو فى غيره] (1)، قال: ما أجبتك إلّا عما سألت، فسل عمّا بدا لك.
قال: أعرب أنتم أم نبيط (2)؟ قال: عرب استنبطنا، ونبيط استعربنا، قال: أفحرب أنتم أم سلم؟ قال: بل سلم، قال: فما هذى الحصون؟ قال: بنيناها للسّفيه (3) نحذر منه حتّى يجيء الحليم فينهاه، قال: كم أتى لك؟ قال: ستون وثلاثمائة سنة، قال: فما أدركت؟
قال: أدركت سفن البحر ترفأ (4) فى هذا الجرف، ورأيت المرأة تخرج من الحيرة، وتضع مكتلها على رأسها، لا تزوّد إلّا رغيفا واحدا حتى تأتى الشام، ثم قد أصبحت خرابا يبابا، وذلك دأب الله فى البلاد والعباد.
قال– ومعه سمّ ساعة يقلّبه فى كفّه–: فقال له خالد: ما هذا فى كفّك؟ قال: هذا السّم، قال: ما تصنع به؟ قال: إن كان عندك ما يوافق قومى وأهل بلدى حمدت الله وقبلته، وإن كانت الأخرى لم أكن أول من ساق إليهم ذلّا وبلاء،
أشربه فأستريح من الدنيا، فإنما بقى من عمرى اليسير، قال خالد: هاته، فأخذه ثم قال: بسم الله وبالله رب الأرض والسماء، الّذي لا يضر مع اسمه شيء، ثم أكله، فتجللته غشية، ثم ضرب بذقنه فى صدره طويلا، ثم عرق فأفاق، كأنما أنشط من عقال.
فرجع ابن بقيلة إلى قومه فقال: جئتكم من عند شيطان، أكل سمّ ساعة فلم يضرّه،

---

(1) حاشية ت (من نسخة): «وينحو بى إلى غيره».
(2) ش: «نبط»، وهو بمعنى النبيط: «وفى حاشية الأصل: «أصل النبط قوم كانوا يستنبطون الماء ويحتفرون الآبار للعرب؛ فقيل لأهل السواد النبيط».

(3) حاشية ت (من نسخة):
«لسفيه».
(4) فى حاشية الأصل، ت: «أرفأت السفينة: قربتها من الشط، وذلك الموضع مرفأ».

صانعوا القوم وأخرجوهم عنكم، فإن هذا أمر مصنوع (1) لهم، فصالحوهم (2) على مائة ألف درهم، وأنشأ ابن بقيلة يقول:

أبعد المنذرين أرى سواما ... تروّح بالخورنق والسّدير! (3)
[أبعد فوارس النّعمان أرعى ... مراعى نهر مرّه فالحفير!] (4)
تحاماه فوارس كلّ قوم ... مخافة ضيغم عالى الزّئير
وصرنا بعد هلك أبى قبيس ... كمثل الشّاء فى اليوم المطير

– يريد أبا قابوس، فصغر، ويروى «كمثل المعز» –

تقسّمنا القبائل من معدّ ... علانية كأيسار الجزور (5)
نؤدّى الخرج بعد خراج كسرى ... وخرج من قريظة والنّضير
كذاك الدّهر دولته سجال ... فيوم من مساة (6) أو سرور

/ ويقال إن عبد المسيح لما بنى بالحيرة قصره المعروف بقصر بنى بقيلة قال:

لقد بنيت للحدثان حصنا ... لو أنّ المرء تنفعه الحصون
طويل الرّأس أقعس مشمخرّا ... لأنواع الرّياح به حنين (7)

ومما يروى لعبد المسيح بن بقيلة:

والنّاس أبناء علّات فمن علموا ... أن قد أقلّ فمجفوّ ومهجور (8)
وهم بنون لأمّ إن رأوا نشبا ... فذاك بالغيب محفوظ ومخفور

وهذا يشبه قول أوس بن حجر:

---

(1) حاشية الأصل: «أى كأن الله صنعه لهم».
(2) ت، د: «فصانعوهم».
(3) الأبيات فى معجم البلدان: 3: 485، وفى حاشية ت (من نسخة) «تروح»، بفتح الحاء، والخورنق والسدير: موضعان بالحيرة.
(4) تكملة من ت.
(5) معجم البلدان: «كأنا بعض أجزاء الجزور».
(6) حاشية الأصل (من نسخة): «من مساءة أو سرور».
(7) م: «أنين».
(8) قال فى اللسان (علل): «أبناء علات، يستعمل فى الجماعة المختلفين»، واستشهد بالبيتين؛

وأصله فى الأولاد تختلف أمهاتهن. وفى حاشية الأصل: «بنو العلات: بنو الضرائر»، وفى م: «فمجفوّ ومحقور»؛ وهى رواية اللسان.

(1/262)

بنى أمّ ذى المال الكثير يرونه ... – وإن كان عبدا– سيّد الأمر جحفلا (1)
وهم لمقلّ المال أولاد علّة ... وإن كان محضا فى العمومة مخولا
وذكر أنّ بعض مشايخ أهل الحيرة خرج إلى ظهرها يختط ديرا (2)، فلما احتفر موضع الأساس، وأمعن فى الاحتفار أصاب كهيئة البيت (3)، فدخله فإذا رجل على سرير من رخام (4)، وعند رأسه كتابة: «أنا عبد المسيح بن بقيلة.
حلبت الدهر أشطره حياتى ... ونلت من المنى بلغ المزيد (5)
وكافحت الأمور وكافحتنى ... فلم أحفل بمعضلة كئود
وكدت أنال فى الشّرف الثّريّا ... ولكن لا سبيل إلى الخلود (6)

*** [أخبار النابغة الجعدى وإيراد طائفة من أشعاره:]
ومن المعمّرين النابغة الجعدىّ، واسمه قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر
بن صعصعة، ويكنى أبا ليلى.
وروى أبو حاتم السجستانىّ قال: كان النابغة الجعدىّ أسنّ من النابغة الذّبيانىّ، والدليل على ذلك قوله:
تذكّرت والذّكرى نهيج على الهوى ... ومن حاجة المحزون أن يتذكّرا (7)
نداماى عند المنذر بن محرّق ... أرى اليوم منهم ظاهر الأرض أقفرا
/ كهول وفتيان كأنّ وجوههم ... دنانير ممّا شيف فى أرض قيصرا

---

(1) ديوانه: 22، ومن نسخة بحاشيتى الأصل، ت: «سيد الملك». ويقال: رجل جحفل؛ أى سيد عظيم القدر؛ ذكره صاحب اللسان، واستشهد بالبيت. وفى حاشيتى الأصل، ت: «قبله:
وإنى وجدت الناس إلّا أقلّهم ... خفاف العهود يكثرون التنقّلا.
(2) حاشية الأصل (من نسخة): «دارا».
(3) حاشية ت (من نسخة): «الكهف».
(4) ش: «زجاج».
(5) حاشية الأصل: «أى البلغ من المزيد».
(6) وانظر ترجمة عبد المسيح بن بقيلة أيضا فى المعمرين 37 – 38.
(7) من قصيدة طويلة، 76 بيتا، ذكرها صاحب جمهرة الأشعار فى 301 – 307.

فهذا يدلّ على أنه كان مع المنذر بن محرّق، والنابغة الذّبيانىّ كان مع النعمان بن المنذر ابن محرق.
قوله: «شيف» يعنى جليّ، والمشوف المجلوّ.
ويقال: إن النابغة غبر ثلاثين سنة لا يتكلّم (1)، ثم تكلم بالشعر ومات وهو ابن عشرين ومائة سنة بأصبهان، وكان ديوانه بها، وهو الّذي يقول:
فمن يك سائلا عنّى فإنى ... من الفتيان أيام الخنان
- وأيام الخنان: أيام كانت للعرب قديمة، هاج بها فيهم مرض فى أنوفهم وحلوقهم-
مضت مائة لعام ولدت فيه ... وعشر بعد ذاك وحجّتان (2)
فأبقى الدّهر والأيام منّى ... كما أبقى من السّيف اليمانى
تفلّل وهو مأثور جراز ... إذا جمعت بقائمه اليدان (3)
وقال أيضا فى طول عمره:
لبست أناسا فأفنيتهم ... وأفنيت بعد أناس أناسا
ثلاثة أهلين أفنيتهم ... وكان الإله هو المستآسا

---

(1) حاشية الأصل: «أى لا يتكلم بالشعر، وسميت القصيدة كلمة».
(2) فى حاشيتى الأصل، ت: «ذكر المبرد فى قول النابغة:
على حين عاتبت المشيب على الصّبا ... وقلت ألمّا أصح والشيب وازع
أنه يجوز فى «حين» النصب والجر. وذكر بعض المتأخرين أنه إذا أضيف الظرف إلى المبنى لم يجز فيه إلا النصب، وإنما يجوز الجر إذا أضيف إلى المعرب؛ كقوله تعالى: هذا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ، وهذا يَوْمُ لا يَنْطِقُونَ، وقول النابغة: «لعام ولدت فيه» لا يحتاج إلى «فيه» بل هو كالزيادة المستغنى عنها؛ لأنه إذا أضيف «العام» إلى «ولدت» كان المضاف إليه مع المضاف فى حكم الشيء الواحد؛ فلا يحتاج إلى العائد؛ بخلاف أن تكون الجملة صفة؛ كقوله تعالى: وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ؛ وكأنه للبيان والتحقيق، على تقدير: «لعام ولدت»، ثم أضمر:
«ولدت»، أخرى، والجار والمجرور يتعلق بولدت المضمر». وانظر الكامل- بشرح المرصفى 2: 220.
(3) مأثور: باق أثره. والجراز: الماضى النافذ فى الضريبة، وانظر طبقات الشعراء: 104.

معنى المستآس: المعتاض (1).
وروى عن هشام بن محمد الكلبىّ أنه عاش مائة وثمانين سنة.
وروى ابن دريد عن أبى حاتم فى موضع آخر أن النابغة الجعدىّ عاش مائتى سنة، وأدرك الإسلام،

وروى له:
قالت أمامة كم عمرت زمانة ... وذبحت من عتر على الأوثان!
– العتيرة (2): شاة تذبح لأصنامهم فى رجب فى الجاهلية–
ولقد شهدت عكاظ قبل محلّها ... عنها وكنت أعدّ مل فتيان (3)
والمنذر بن محرّق فى ملكه ... وشهدت يوم هجائن النّعمان (4)

---

(1) ت، وحاشية الأصل (من نسخة): «المستعاض»، وهو من العوض.
(2) حاشية الأصل: «العتر والعتيرة كالذبح والذبيحة».
(3) ش: «فيها»، وفى حاشية الأصل: «محلها فيها؛ أى نزولها فى عكاظ، ومحلها عنها، أى نزولها فيما عدا عكاظ، و «عن» لما عدا الشيء وجاوزه».
(4) حواشى الأصل، ت، ف: «هو المنذر بن امرئ القيس بن عمرو ابن عدى بن ربيعة بن نصر اللخمى. وعمرو بن عدى هو ابن أخت جذيمة بن مالك الأبرش؛ وقيل له الأبرش والوضاح لبرص به؛ وكان يقال لامرئ القيس أبى المنذر محرق؛ وفيهم يقول الأسود بن يعفر:
ماذا أؤمل بعد آل محرّق ... – تركوا منازلهم– وبعد إياد
والنعمان بن امرئ القيس هو النعمان الأكبر؛ ويقال إن أنوشروان بن قباذ هو الّذي ملكه؛ وقيل ملكه قباذ. والنعمان هذا هو الّذي بنى الخورنق؛ وهو الّذي لبس المسوح وتزهد وساح فى الأرض، ثم ملك أخوه المنذر بن امرئ القيس؛ ملكه أنوشروان، وأمه من النمر بن قاسط؛ ويقال لها ماء السماء لجمالها، وأبوها عوف بن جشم. ومن الأزد رجل يقال له ماء السماء أيضا؛ وهو عامر أبو عمرو بن عامر، وعمرو هو الّذي يقال له مزيقياء ثم ملك المنذر بن المنذر بن امرئ القيس، ثم ملك عمرو بن هند مضرط الحجارة؛ وهو محرق أيضا لأنه أحرق من بنى دارم ثمانية وتسعين رجلا، وكملهم مائة برجل من البراجم وبامرأة نهشلية؛ ولذلك قيل: «إن الشقى وافد البراجم». ثم ملك بعده النعمان بن المنذر بن المنذر ابن امرئ القيس؛ وكان يكنى أبا قابوس؛ وهو صاحب النابغة الذبيانى؛ وكان له يومان: يوم نعيم ويوم بؤس، ومحرق أيضا لقب الحارث بن عمرو، ملك الشام من آل جفنة؛ وهو أول من حرق العرب فى ديارهم. وامرأة هجان؛ أى حرة كريمة لم يعرفها الإماء، من نسوة هجان؛ قال أبو زيد: والهجان من الإبل: البيض؛ يوصف به الواحد والجمع؛ فإذا كان واحدا فهو مثل كتاب، وإذا كان جمعا فهو مثل كلاب؛ ويقال ناقة هجان وبعير هجان، والجمع على هجائن أيضا. وهجائن النعمان معروفة؛ وهى نجائبه؛ –

وعمرت حتى جاء أحمد بالهدى ... وقوارع تتلى من القرآن (1)
/ ولبست مل إسلام ثوبا واسعا ... من سيب لا حرم ولا منّان (2)
وله أيضا فى طول عمره:
المرء يهوى أن يعيش وطول عيش ما يضرّه (3)

تفنى بشاشته ويبقى بعد حلو العيش مرّه
وتتابع الأيام حتّى لا يرى شيئا يسرّه
كم شامت بى إن هلكت وقائل لله درّه!
ويروى أن النابغة الجعدىّ كان يفتخر ويقول: أتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأنشدته:
بلغنا السّماء مجدنا وجدودنا ... وإنّا لنرجو فوق ذلك مظهرا
فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أين المظهر يا أبا ليلى؟ » قلت: الجنة يا رسول الله، فقال: «أجل إن شاء الله»، ثم أنشدته:
فلا خير فى حلم إذا لم تكن له ... بوادر تحمى صفوه أن يكدّرا
ولا خير فى جهل إذا لم يكن له ... حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا
فقال صلى الله عليه وآله: «لا يفضض الله فاك! »، وفى رواية أخرى: «لا يفضض فوك! » فيقال: إن النابغة عاش عشرين ومائة سنة، لم تسقط له سنّ ولا ضرس. وفى رواية أخرى عن بعضهم قال: فرأيته وقد بلغ الثمانين ترفّ غروبه، وكان كلّما سقطت له ثنيّة نبتت له أخرى مكانها، وهو أحسن الناس ثغرا.
معنى ترفّ تبرق، وكأن الماء يقطر منها.

– وكان يقال لها عصافير النعمان لحقتها فى سيرها. وفى كلام حسان بن ثابت: فما حسدت أحدا حسدى النابغة حين أمر له النعمان بن المنذر بمائة ناقة بريشها من نوق عصافيره، وجام وآنية من فضة، وكانوا إذا حبا الملك بعضهم بنوق يغمزون فى أسنمتها ريش النعام؛ ليعلم أنها حباء الملك».
(1) القوارع من القرآن: آيات الوعد والوعيد.
(2) الرجل الحرم: المانع.
(3) ش: «قد يضره».

قال المرتضى أدام الله علوّه: ومما يشاكل قوله: «إلى الجنة» فى جواب قول النبي صلى الله عليه وآله: «أين المظهر يا أبا ليلى» – وإن كان يتضمّن العكس من معناه– ما روى من دخول الأخطل على عبد الملك بن مروان، مستغيثا من فعل الجحّاف السّلمىّ، وأنه أنشده:
لقد أوقع الجحّاف بالبشر وقعة ... إلى الله منها المشتكى والمعوّل (1)
/ فإن لم تغيّرها قريش بملكها ... يكن عن قريش مستماز ومزحل (2)
فقال عبد الملك له: إلى أين يا ابن اللّخناء؟ فقال: إلى النار، قال: لو قلت غيرها لقطعت لسانك.
فقوله: «النار» تخلّص مليح على البديهة، كما تخلّص الجعدىّ بقوله: «إلى الجنة».
وأول قصيدة الجعدىّ الّذي ذكرنا منها الأبيات:
خليلىّ غضّا ساعة وتهجّرا (3) ... ولوما على ما أحدث الدهر أو ذرا
ولا تسألا، إنّ الحياة قصيرة ... فطيرا لروعات الحوادث أوقرا

وإن كان أمر لا تطيقان دفعه ... فلا تجزعا مما قضى الله واصبرا
ألم تعلما أنّ الملامة نفعها ... قليل إذا ما الشّيء ولى فأدبرا (4)
لوى الله علم الغيب عمّن سواءه ... ويعلم منه ما مضى وتأخّرا
وفيها يقول:
وجاهدت حتّى ما أحسّ ومن معى ... سهيلا إذا ما لاح ثمّ تغوّرا
- يريد: إنى كنت بالشام، وسهيل لا يكاد يرى هناك، وهذا بيت معنى- وفيها يقول:
ونحن أناس لا نعوّد خيلنا ... إذا ما التقينا أن تحيد وتنفرا

---

(1) ديوانه: 10 والطبقات: 412، والبشر: جبل بالجزيرة، يمتد من عرض الفرات إلى أرض الشام، وهو الجحاف بن حكيم السلمى، وانظر خبره وقصة يوم البشر فى الأغانى 11: 55 - 60.
(2) يقال: امتاز القوم إذا تنحى عصابة منهم ناحية، وكذلك استماز؛ ذكره صاحب اللسان واستشهد بالبيت. والمزحل: الموضع: الّذي ينزحل إليه؛ أى يتنحى ويتباعد. وانظر اللسان (ميز- زحل).
(3) التهجر: السير فى الهاجرة.
(4) حاشية ت: «بعده:
يهيج اللحاء والملامة ثم ما ... يقرّب منّا غير ما كان قدّرا.

وننكر (1) يوم الرّوع ألوان خيلنا ... من الطّعن حتّى تحسب (2) الجون أشقرا
وليس بمعروف لنا أن نردّها ... صحاحا ولا مستنكر (3) أن تعقّرا
وأخبرنا المرزبانىّ قال أنشدنا عليّ بن سليمان الأخفش قال أنشدنا أحمد بن يحيى قال:
أنشدنا محمد بن سلّام وغيره للنابغة الجعدىّ:
تلوم على هلك البعير ظعينتى ... وكنت على لوم العواذل زاريا (4)
ألم تعلمى أنى رزئت محاربا (5) ... فمالك منه اليوم شيء ولا ليا
ومن قبله ما قد رزئت بوحوح (6) ... وكان ابن أمّى والخليل المصافيا
فتى كملت أخلاقه غير أنه ... جواد فما يبقى من المال باقيا (7)
فتى تمّ فيه ما يسرّ صديقه ... على أنّ فيه ما يسوء الأعاديا
- ويروى: «فتى كان فيه ما يسرّ» -
أشمّ طويل (8) السّاعدين سميدع ... إذا لم يرح للمجد أصبح غاديا
السميدع: السيد.
ومما يروى للنابغة الجعدىّ:
عقيليّة أو من هلال بن عامر ... بذى الرّمث من وادى المنار خيامها (9)
إذا ابتسمت فى اللّيل واللّيل دونها ... أضاء دجى الليل البهيم ابتسامها

(1) حاشية ت (من نسخة): «وتنكر»، بالبناء للمجهول.
(2) حاشية ت (من نسخة) «ويحسب الجون»، بالبناء للمجهول.
(3) حاشية ت (من نسخة): «ولا مستنكرا» بالعطف على المعنى.
(4) من أبيات يرثى فيها أخاه لأمه، وقد ذكرت متفرقة فى ديوان الحماسة 3: 19، والخزانة 2: 12 – 13، وشرح شواهد المغنى: 209 والأمالى 2: 2، واللآلئ: 637).
(5) هو محارب بن قيس بن عدس؛ كان من أشراف قومه.
(6) هو وحوح بن عبد الله؛ قال أبو عبيد البكرى: «هو أخو النابغة لأمه».
(7) رواية البيت فى ت:
فتى كملت أخلاقه غير أنّه ... جواد فما بقي من المال باقيا.
(8) حاشية ت (من نسخة): «طوال الساعدين».
(9) ش: «وادى المياه».

(1/268)

وذكر الأصمعىّ عن أبى عمرو بن العلاء قال: سئل الفرزدق بن غالب عن الجعدىّ فقال: صاحب خلقان؛ يكون عنده مطرف بألف دينار، وخمار بواف (1).
قال الأصمعىّ: وصدق الفرزدق، بينا (2) النابغة فى كلام أسهل من الزلال وأشد من الصخر إذ لان فذهب، ثم أنشد له:
سما لك همّ ولم تطرب ... وبتّ ببثّ ولم تنصب
وقالت سليمى أرى رأسه ... كناصية الفرس الأشهب
وذلك من وقعات المنون ... ففيئى إليك ولا تعجبى
أتين على إخوتى سبعة (3) ... وعدن على ربعى الأقرب
ثم يقول فيها بعدها (4):
فأدخلك الله برد الجنا ... ن جذلان فى مدخل طيّب
فلان كلامه؛ حتى لو كان أبو الشمقمق قال هذا البيت كان رديئا ضعيفا.
قال الأصمعىّ: وطريق الشعر إذا أدخلته فى باب الخير لان، ألا ترى أنّ حسان بن ثابت كان علا فى الجاهلية والإسلام، فلما أدخل شعره فى باب الخير من مراثى النبي صلى الله عليه وآله وحمزة وجعفر (5) عليهما السلام/ وغيرهما لان شعره!

(1) حاشية ت (من نسخة): «من كلامهم: مطرف بآلاف، وخمار بواف؛ أى بدرهم واف».
(2) حاشية ت: «بينا وبينما يتلقيان بالفعل؛ ولا يتلقيان بإذا؛ هذا هو الفصيح العالى، كقوله:
* فبيناه يشرى رحله قال قائل*
وكقوله:

بينما نحن بالبلاكث فالقا ... ع سراعا والعيس تهوى هويّا
خطرت خطرة على القلب من ذكراك ... وهنا فما استطعت مضيا.
(3) ش: «إخوة سبعة»، بالجر والتنوين فيهما.
(4) ش: «فيها».
(5) وانظر ترجمة النابغة الجعدى وأخباره وأشعاره فى (الشعر والشعراء 247 - 255، والاستيعاب 320 - 325، وأسد الغابة 5: - 2 - 4، والإصابة 6: 218 - 221، والمعمرين 64 - 66، والأغانى 4: 127 - 139، والخزانة 1: 59 - 515، والمؤتلف والمختلف: 191، ومعجم الشعراء: 321، واللآلئ: 247).

19 مجلس آخر [المجلس التاسع عشر:]
مسألة [تتضمن الرد على منكرى تطاول الأعمار وامتدادها:]
تتعلق بما ذكرناه. إن سأل سائل فقال: كيف يصحّ ما أوردتموه، من تطاول الأعمار وامتدادها، وقد علمتم أنّ كثيرا من الناس ينكر ذلك ويحيله ويقول: إنه لا قدرة عليه، ولا سبيل إليه؛ وفيهم (1) من ينزل فى إنكاره درجة فيقول:
إنه- وإن كان جائزا من طريق القدرة والإمكان- فإنه مما يقطع على انتفائه؛ لكونه خارقا للعادات؛ وإنّ العادات (2) إذا وثّق الدليل بأنّها لا تنخرق إلّا على سبيل الآية (3) والدّلالة على صدق نبى من الأنبياء عليهم السلام علم أن ما روى من زيادة الأعمار على العادة باطل مصنوع لا يلتفت إلى مثله.
الجواب، قيل له: أما من أبطل تطاول الأعمار من حيث الإحالة، أو أخرجه عن (4) باب الإمكان فقوله ظاهر الفساد، لأنه لو علم ما العمر فى الحقيقة، وما المقتضى لدوامه إذا دام، وانقطاعه إذا (5) انقطع لعلم من جواز امتداده ما علمناه. والعمر هو استمرار كون من يجوز أن يكون حيّا وغير حىّ حيا. وإن شئت أن تقول: هو استمرار كون الحىّ الّذي لكونه على هذه الصفة (6) ابتداء حيا. وإنما شرطنا الاستمرار؛ لأنه يبعد أن يوصف من كان حالة واحدة حيّا بأنّ له عمرا؛ بل لا بدّ من أن يراعوا فى ذلك ضربا من الامتداد والاستمرار، وإن قلّ.
وشرطنا أن يكون ممّن يجوز أن يكون غير حىّ، أو يكون لكونه حيا ابتداء لئلا (7) يلزم عليه القديم (8) تعالى؛ لأنه تعالى جلّت عظمته ممن لا يوصف بالعمر؛ وإن استمر كونه

---

(1) ت: «منهم».
(2) ت: «ولأن العادات».
(3) ت، وحاشية الأصل (من نسخة): «الإبانة»، .
(4) ت: «جميع ما روى».
(5) م: «من باب الإمكان».

(6) ت: «متى انقطع».
(7) م: «الصفات».
(8) حاشية ت (من نسخة):
«احترازا من أن يلزم عليه القديم تعالى».

(1/270)

حيّا؛ وقد علمنا أن المختصّ بفعل الحياة هو القديم تعالى، وفيما تحتاج إليه الحياة من البنية والمعانى ما يختص به عز وجل، ولا يدخل إلّا تحت مقدوره؛ كالرّطوبة وما يجرى مجراها؛ فمتى فعل القديم تعالى الحياة وما تحتاج
إليه من البنية- وهى مما يجوز عليه البقاء- وكذلك ما تحتاج إليه فليست (1) تنتفى إلا بضد يطرأ عليها، أو بضدّ ينفى ما تحتاج إليه؛ والأقوى أنه لا ضدّ لها فى الحقيقة (2)؛ وإنما ادّعى قوم أنّه ما يحتاج إليه، ولو كان للحياة ضدّ على الحقيقة لم يخلّ بما نقصده/ فى هذا الباب.
فمهما لم يفعل القديم تعالى ضدّها، أو ضدّ ما تحتاج إليه، ولا نقض ناقض بنية الحى استمرّ كون الحى حيا. ولو كانت الحياة لا تبقى على مذهب من رأى ذلك لكان ما قصدناه صحيحا، لأنه تعالى قادر على أن يفعلها حالا فحالا، ويوالى بين فعلها وفعل ما تحتاج إليه، فيستمرّ كون الحىّ حيا.
فأما ما يعرض من الهرم بامتداد الزمان وعلوّ السن وتناقص بنية الإنسان، فليس مما لا بدّ منه، وإنما أجرى الله تعالى العادة بأن يفعل ذلك عند تطاول الزمان ولا إيجاب هناك، ولا تأثير للزمان على وجه من الوجوه، وهو تعالى قادر على أن يفعل ما أجرى العادة بفعله، وإذا ثبتت هذه الجملة ثبت أنّ تطاول العمر ممكن غير مستحيل، وإنما أتى من أحال ذلك من حيث اعتقد أنّ استمرار كون الحى حيّا موجب عن طبيعة وقوّة لهما مبلغ من المادة، متى انتهتا إليه [انقطعتا، واستحال أن تدوما] (3).
ولو أضافوا ذلك إلى فاعل مختار متصرّف لخرج عندهم من باب الإحالة.
فأما الكلام فى (4) دخول ذلك فى العادة أو خروجه عنها، فلا شكّ فى أن العادة قد جرت فى الأعمار بأقدار متقاربة يعدّ الزائد عليها خارقا للعادة؛ إلّا أنّه قد ثبت أنّ العادة قد تختلف فى الأوقات وفى الأماكن أيضا، ويجب أن يراعى فى العادة إضافتها إلى من هى عادة له فى المكان والوقت.

---

(1) حاشية ت (من نسخة): «فليس ينتقى».
(2) ت: «وربما».
(3) ت: «بطل واستحال أن تدوما».
(4) حاشية ت (من نسخة): «على ذلك».

(1/271)

وليس يمتنع أن يقلّ ما كانت العادة جارية به على تدريج؛ حتى يصير حدوثه خارقا للعادة بغير خلاف، ولا يكثر (1) الخارق للعادة، حتى يصير حدوثه غير خارق لها على خلاف فيه.
وإذا صح ذلك لم يمتنع أن تكون العادات فى الزمان الغابر كانت جارية بتطاول الأعمار وامتدادها، ثم تناقص ذلك على تدريج، حتى صارت عادتنا الآن جارية بخلافه، وصار ما بلغ مبلغ تلك الأعمار خارقا للعادة؛ وهذه جملة
فيما أردناه كافية.

(1) ش: «وأن يكثر».

باب فى الجوابات الحاضرة المستحسنة التى يسمّيها قوم المسكتة
/ اعلم أنّ أجوبة المحاورة والمناظرة إنّما تستحسن وتؤثر إذا جمعت مع الصواب سرعة الحضور؛ فكم من جواب أتى بعد لأى، وورد بعد تقاعس، فلم يكن له فى النفوس وقع، ولا حلّ من القلوب محل الحاضر السريع؛ وإن كان المتثاقل أعرق فى نسب الإصابة، وآخذ بأطراف الحجّة، ولهذا قيل: أحسن النّاس جوابا وأحضرهم قريش، ثم العرب، وإنّ الموالى تأتى أجوبتها بعد فكرة ورويّة.
وقد مدح الجواب الحاضر بكل لسان، فقال صحار العبدىّ لمعاوية بن أبى سفيان- وقد سأله عن البلاغة- فقال: أن تصيب فلا تخطئ، وتسرع ولا تبطئ، ثم اختصر ذلك فقال: لا تخطئ ولا تبطئ.
ولطول الفكرة والإغراق فى الرويّة مذهب وأوان لا يحمد فيهما (1) التسرّع والتعجل، كما لا يحمد فى أوان السرعة التثاقل والتأيّد؛ وإنما تحمد السرعة فى أجوبة المحاورة والمناظرة، وتراد الفكرة والرويّة للآراء المستخرجة والأمور المستنبطة؛ التى على الإنسان فيها مهلة، وله فى تأملها فسحة، ولا عيب عليه معها فى إطالة التأمل، وإعادة التصفّح؛ ولهذا قال الأحنف ابن قيس بصفّين: أغبّوا الرأى، فإن ذلك يكشف لكم عن محضه.
وقال عبد الله بن وهب الراسبىّ لما أراده الخوارج على الكلام حين عقدوا له: لا خير فى الرأى الفطير، والكلام القضيب.
وشوور ابن التوأم الرّقاشىّ (2) فأمسك عن الجواب وقال: ما أحبّ الخبز إلّا بائتا.

(1) حاشية ت (من نسخة): «فيه».
(2) حاشية ت (من نسخة): «الرؤاسىّ».

فأما قولهم: ثلاث يعرفن فى الأحمق: سرعة الجواب، وكثرة الالتفات، والثّقة بكل أحد؛ فمحمول على إسراعه بالجواب عند الرأى والمشاورة، والأحوال التى يستحب فيها التأيّد والتثبّت، أو على الإسراع من غير تحصيل ولا
ضبط؛ وذلك مذموم لا إشكال فيه.
ثم نعود إلى ما قصدناه.
روى أنّ بعض أزواج النبي صلى الله عليه وآله سألته: متى يعرف الإنسان ربّه فقال:
«إذا عرف نفسه». وقال له صلى الله عليه وآله رجل: إنى أكره الموت، فقال: «ألك مال؟ »، قال:
نعم، قال: «قدّم مالك؛ فإن قلب كلّ امرئ عند ماله».
وقال يهودىّ لأمير المؤمنين عليه السلام: ما دفنتم نبيّكم حتى اختلفتم فيه، فقال عليه السلام: إنا اختلفنا عنه، لا فيه (1)؛ ولكنكم ما جفّت أقدامكم من البحر حتى قلتم لنبيكم:
اجعل لنا إلها كما لهم آلهة، قال: إنكم قوم تجهلون.
وروى أنه لما فرغ عليه السلام من دفن الرسول صلوات الله عليه وآله، سأل عن خبر السّقيفة فقيل له: إنّ الأنصار قالت: منّا أمير ومنكم أمير، فقال عليه السلام: فهلّا ذكرت الأنصار قول النبي صلى الله عليه وآله: «نقبل من محسنهم، ونتجاوز عن مسيئهم»! فكيف يكون الأمر فيهم والوصاة بهم!
وقال له عليه السلام ابن الكوّاء: يا أمير المؤمنين، كم بين السماء والأرض؟ فقال:
دعوة مستجابة. وقيل له: ما طعم الماء؟ فقال: طعم الحياة. وقيل له: كم بين المشرق والمغرب؟
فقال: مسيرة يوم للشمس. وأثنى عليه رجل- وكان له متّهما- فقال: أنا دون ما تقول، وفوق ما فى نفسك. وكان عليه السلام إذا أطراه رجل قال: اللهم إنك أعلم بى منه، وأنا أعلم منه بنفسى، فاغفر لي ما لا يعلم.
أخبرنا أبو عبيد الله المرزبانىّ قال: حدّثني عبد الواحد بن محمد الخصيبيّ قال: حدّثني

---

(1) حاشية ت (من نسخة) «ولم تختلف فيه».

أبو عليّ أحمد بن إسماعيل قال: حدثنى أيوب بن الحسين الهاشميّ قال: قدم على الرشيد رجل من الأنصار، يقال له نفيع- وكان عرّيضا- قال: فحضر باب الرشيد، ومعه عبد العزيز ابن عمر بن عبد العزيز، وحضر موسى بن جعفر عليهما السلام على حمار له، فتلقّاه الحاجب بالبرّ (1) والإكرام، وأعظمه من كان هناك، وعجّل له الإذن، فقال نفيع لعبد العزيز: من هذا الشيخ؟ قال: أوما تعرفه؟ قال: لا، قال: هذا شيخ آل أبي طالب، هذا موسى بن جعفر، قال: ما رأيت أعجز من هؤلاء القوم! يفعلون هذا برجل [يقدّر أن يزيلهم] (2) عن السّرير! أما لئن خرج لأسوءنّه، فقال له عبد العزيز: لا تفعل، فإن هؤلاء أهل بيت قلّما تعرّض لهم أحد فى خطاب إلّا وسموه بالجواب [سمة يبقى عارها] (3) عليه مدى الدهر.

قال: وخرج موسى بن جعفر عليهما السلام، فقام إليه نفيع الأنصارىّ، فأخذ بلجام حماره ثم قال له: من أنت؟ فقال له: يا هذا، إن كنت تريد النّسب فأنا ابن محمد حبيب الله ابن إسماعيل ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله، وإن كنت تريد البلد، فهو الّذي فرض الله على المسلمين وعليك- إن كنت منهم- الحج إليه، وإن كنت تريد المفاخرة، فو الله ما رضى مشركو قومى (4) / مسلمى قومك أكفاء لهم حتى قالوا: يا محمد، أخرج إلينا أكفاءنا من قريش (5)؛ خلّ عن الحمار، قال: فخلّى عنه ويده ترعد، وانصرف بخزى، فقال له عبد العزيز: ألم أقل لك! .

ويقال إن معاوية استشار الأحنف بن قيس فى عقد البيعة لابنه يزيد، فقال له: أنت أعلم بليله ونهاره.

وقال أحمد بن يوسف لأبى يعقوب الخريمىّ: مدحك لمحمد بن منصور أجود من مراثيك

---

(1) حواشى الأصل، ت، ف: «بالبشر».

(2) حاشية ت (من نسخة): يقدر أن يزيلهم».

(3) حاشية ت (من نسخة): «وسما يبقى عاره».

(4) حاشية ط: «يعنى يقوله: «مشركو قومى» شيبة وعتبة وعمرو بن عبد ود.

(5) ورد بعد هذه العبارة فى م، ومن نسخة بحاشيتى ت، ف: «وإن كنت تريد الصيت والاسم فنحن الذين أمر الله تعالى بالصلاة علينا فى الصلوات المفروضة بقوله: اللهم صل على محمد وآل محمد، فنحن آل محمد».

فيه، فقال: كنّا نعمل للرّجاء، واليوم للوفاء، وبينهما بون.

ودخل مطيع بن إياس على الهادى فى حياة المهدىّ فدهش وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فقيل له: مه! فقال: بعد أمير المؤمنين.

وقال معاوية لعقيل بن أبى طالب- وكان جيّد الجواب حاضره-: أنا خير لك من أخيك، فقال عقيل: إن أخى آثر دينه على دنياه، وأنت آثرت دنياك على دينك؛ فأخى خير لنفسه منك، وأنت خير لى منه. وقال له يوما: إنّ فيكم لشبقا يا بنى هاشم، فقال:

هو منّا فى الرّجال، ومنكم فى النساء. وقال له يوما وقد دخل عليه: هذا عقيل، عمّه أبو لهب، فقال عقيل: هذا معاوية، عمّته حمّالة الحطب. وعمة معاوية أمّ جميل (1) بنت حرب بن أميّة، وكانت امرأة أبى لهب. وقال له يوما: يا أبا يزيد، أين ترى عمّك أبا لهب؟ فقال له عقيل:

إذا دخلت النار فانظر عن يسارك تجده مفترشا عمّتك، فانظر أيّهما أسوأ حالا، الناكح أم المنكوح!

وقال له ليلة الهرير بصفّين: يا أبا يزيد، أنت معنا الليلة، قال:

ويوم بدر كنت معكم.

وقيل لسعيد بن المسيّب- وقد كفّ بصره: ألا تقدح (2) عينك؟ قال: حتى أفتحها على من!

ودخل معن بن زائدة على المنصور فقال له: كبرت يا معن، قال: فى طاعتك، قال: وإنك لتتجلّد،

قال: على أعدائك، قال: وإنّ فيك لبقية، قال: هى لك.
وقال عبيد الله بن زياد لمسلم بن عقيل: والله لأقتلنك قتلة يتحدّث بها بعدك، فقال مسلم: أشهد أنّك لا تدع سوء القتلة ولؤم القدرة لأحد أولى بهما منك.
وقال رجل لعمرو بن العاص: لأتفرّغنّ لك، قال: إذا وقعت (3) فى الشّغل.

---

(1) حواشى الأصل، ت، ف: «أم جميل هى ابنة حرب، أخت أبى سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس».
(2) حاشية الأصل (من نسخة): «ألا تفتح عينك؟ ».
(3) حاشية ت (من نسخة): «إذا تقع».

وقال معاوية لعمرو بن سعيد بن العاص الملقّب بالأشدق: إلى من أوصى بك أبوك؟
فقال: إنّ أبى أوصى إلى ولم يوص بى.
وقال عبيد الله بن زياد بن ظبيان لابنه وقد حضرته/ الوفاة: قد أوصيت بك فلانا فالقه بعدى،
فقال: يا أبه، إذا لم يكن للحىّ إلا وصية الميت، فالحىّ هو الميت.
وقال الوليد بن يزيد لابن الرّقاع العاملىّ: أنشدنى بعض قولك فى الخمر، فأنشده:
كميت إذا شجّت وفى الكأس وردة ... لها فى عظام الشّاربين دبيب
فقال له: شربتها وربّ الكعبة! فقال ابن الرّقاع: لئن كان نعتى لها بذلك رابك، لقد رابنى معرفتك بها.
ولما أتى معاوية نعى الحسن بن علىّ عليهما السلام بعث إلى ابن عبّاس رضى الله عنه- وهو لا يعلم الخبر- فقال له: هل عندك خبر من المدينة (1)؟ قال: لا، قال: أتانا (2) نعى الحسن- وأظهر سرورا- فقال ابن عباس: إذا لا ينسأ (3) فى أجلك، ولا تسدّ حفرتك، قال: أحسبه قد ترك صبية صغارا، قال: كلّنا كان صغيرا وكبر، قال: وأحسبه قد كان بلغ سنّا، قال: مثل مولده لا يجهل، قال معاوية: وقال قائل إنك أصبحت سيّد قومك، قال: أما وأبو عبد الله
الحسين بن علىّ حىّ فلا؛ فلما كان من غد أتى يزيد بن معاوية ابن عباس، وهو فى المسجد يعزّى (4)، فجلس بين يديه جلسة المعزّى، وأظهر حزنا (5) وغمّا، فلما انصرف أتبعه ابن عباس بصره وقال: إذا ذهب آل حرب ذهب حلم قريش.
وروى أنّ وفودا دخلت على عمر بن عبد العزيز، فأراد فتى منهم الكلام، فقال عمر:
ليتكلم أكبركم، فقال الفتى: إنّ قريشا لترى فيها من هو أسنّ منك، فقال له:
تكلّم يا فتى.

---

(1) ت، وحاشية الأصل (من نسخة): «ما جاءك من المدينة خبر؟ ».
(2) حاشية ت (من نسخة): «أتى ناعى الحسن».

(3) حاشية ت (من نسخة):
«إذا لا ينسئ أجلك».
(4) حواشى الأصل، ت، ف: «كان ذلك بالشام؛ وروى أن ابن عباس رضى الله عنه عقد بالشام عزاء على الحسن صلوات الله عليه».
(5) ت: «تحزنا».

وروى محمد بن سلّام الجمحىّ قال: أنشد (1) كثيّر عبد الملك بن مروان شعرا:
على ابن أبي العاصى دلاص حصينة ... أجاد المسدّى نسجها فأذالها (2)
فقال له: هلّا قلت كما قال الأعشى:
وإذا تكون كتيبة ملمومة ... شهباء يخشى الذّائدون نهالها (3)
كنت المقدّم غير لابس جنّة ... بالسّيف تضرب معلما أبطالها (4)
فقال له: إنّه وصفه بالخرق ووصفتك بالحزم (5).
ويشبه ذلك ما روى (6) عن أبي عمرو بن العلاء أنه لقى ذا الرّمة، فقال له: أنشدنى قصيدتك:
* ما بال عينك منها الماء ينسكب (7) *

---

(1) طبقات الشعراء 458 – 459؛ ورواه المرزبانىّ فى الموشح: 145؛ مع اختلاف فى الرواية.
(2) ابن أبي العاصى هو عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاصى بن أمية، ودلاص: وصف للدرع اللينة. والحصينة: المحكمة المتدانية
الحلق؛ يكون صاحبها فى حصن مما يصيبه. وسدى الدرع:
نسجها. ويقال أذال الدرع؛ إذا أطال ذيلها وأطرافها.
(3) ديوانه: 27. الكتيبة: القطعة العظيمة من الجيش، وكتيبة ملمومة: مجتمعة مضموم بعضها إلى بعض: وشهباء: بيضاء صافية الحديد. والذائد: الّذي يحمى الحرم ويذود عنها، والنهال: العطاش.
(4) المقدم: شديد الإقدام على العدو. والجنة هنا: الدرع تستر لابسها. والمعلم: من يعلم مكانه فى الحرب بعلامة أعلم بها نفسه.
(5) رواية المرزباني: «فقال: يا أمير المؤمنين؛ وصف الأعشى صاحبه بالطيش والخرق والتغرير؛ ووصفتك بالحزم والعزم، فأرضاه»؛ وقد فاضل المرزباني بين هذين الشعرين فقال: «رأيت أهل العلم بالشعر يفضلون قول الأعشى فى هذا المعنى على قول كثير؛ لأن المبالغة أحسن عندهم من الاقتصار على الأمر الأوسط؛ والأعشى بالغ فى وصف الشجاعة حتى جعل الشجاع شديد الإقدام بغير جنة؛ على أنه وإن كان لبس الجنة أولى بالحزم وأحق بالصواب؛ ففى وصف الأعشى دليل قوى على شدة شجاعة صاحبه».
(6) الخبر فى الموشح 174 – 175، والشعر والشعراء 517 – 518، والأغانى 16: 118؛ واللآلئ: 898؛ مع اختلاف فى الرواية والشعر.

(7) بقيته:
* كأنّه من كلى مفريّة سرب*
والكلى: جمع كلية؛ وهى رقعة تكون فى أصل عروة المزادة ومفرية: مقطوعة. وسرب: سائل؛ والقصيدة فى ديوانه 1 – 35.

/ فأنشده إياها، فلما بلغ إلى قوله:
تصغى إذا شدّها بالكور جانحة ... حتّى إذا ما استوى فى غرزها تثب
فقال له أبو عمرو بن العلاء: قول الراعى أحسن مما قلت
تراها إذا قام فى غرزها ... كمثل السّفينة أو أوقر
ولا تعجل المرء عند الورو ... ك وهى بركبته أبصر (1)
فقال ذو الرّمة: إنّ الراعى وصف ناقة ملك، وأنا وصفت ناقة سوقة.
وحكى الصّولىّ أنه سمع أعرابيا ينشد بيته الّذي حكيناه، فقال: سقط والله الرجل.
فأما الغرز فهو للناقة مثل الرّكاب للدابة، وهو نسع مضفور. وقوله: «تصغى» يريد تميل رأسها، كأنها تسمع، لأنها ليست بنفور، بل مؤدّبة مقوّمة. والكور: الرحل.
وقد أخذ هذا المعنى أبو نواس فأحسن غاية الإحسان، فقال يصف الناقة فى مدحه الخصيب بن عبد الحميد:
فكأنّها مصغ لتسمعه ... بعض الحديث، بأذنه وقر
فلم يرض بأن وصفها بالإصغاء حتى وصفها بالوقر، وهو الثّقل فى الأذن، لأن الثّقيل السمع يكون إصغاؤه وميله إلى جهة الحديث أشدّ وأكدّ (2).

*** [قصيدة لأبى نواس وشرح ما ورد فيها من الغريب:]
قال سيدنا الشريف أدام الله علوّه: وإنى لأستحسن القصيدة التى من جملتها البيت الّذي أوردناه لأبى نواس؛ لأنها دون العشرين بيتا، وقد نسب فى أولها، ثم وصف النّاقة بأحسن وصف، ثم مدح الرجل الّذي قصد مدحه واقتضاه حاجته؛ كلّ ذلك بطبع يتدفّق، ورونق يترقرق، وسهولة مع جزالة؛ والقصيدة (3):

(1) البيتان فى اللآلئ: 898. الوروك: أن يثنى الرجل إحدى وركيه لينزل من فوق السرج، والبيت الثانى فى اللسان (ورك)، وفى ت: «الركوب»، ومن نسخة بحاشيتى الأصل، ت: «النزول».
(2) من نسخة بحاشية ت: «وأوكد».
(3) ديوانه: 101.

يا منّة امتنّها السّكر ... ما ينقضى منّى لها الشّكر
أعطتك فوق مناك من قبل ... قد كنّ قبل، مرامها وعر
يثنى إليك بها سوالفه ... رشأ صناعة عينه السّحر
ظلّت حميّا الكأس تبسطنا (1) ... حتّى تهتّك بيننا السّتر
/ فى مجلس ضحك السّرور به ... عن ناجذيه وحلّت الخمر

أما قوله: «حلّت الخمر» فيحتمل أن يريد به أنّ ما وصفه من طيب الموضع وتكامل السرور به وحضور (2) المأمول فيه صار مقتضيا لشرب الخمر، وملجئا إلى تناولها، ورافعا للحرج فيها؛ على مذهب الشعراء فى المبالغة؛ وتكون فائدة وصفها بأنها «حلّت» المبالغة فى وصف الحال بالحسن والطّيب. ويحتمل أن يكون عقد على نفسه، وآلى ألّا يتناول الخمر إلّا بعد الاجتماع مع محبوبه، وكان الاجتماع معه مخرجا له عن يمينه، على مذهب العرب فى تحريم الخمر على نفوسهم، إلى أن يأخذوا بثأرهم؛ ويجرى ذلك مجرى قول الشّنفرى:

حلّت الخمر وكانت حراما ... وبلأى ما ألمّت تحلّ (3)

ويحتمل أن يريد «بحلّت» نزلت وأقامت؛ من الحلول الّذي هو المقام؛ لا من الحلال؛ فكأنه وصف بلوغ جميع آرابه وحضور فنون لذّاته، وأنها تكاملت بحلول الخمر؛ التى فيها جميع اللذات؛ وهذا الوجه وإن لم يشر إليه أحد ممّن تقدم فى تفسير هذا البيت؛ فالقول يحتمله، ولا مانع من أن يكون مرادا. وقد قيل إنه أراد استحللنا الخمر لسكرنا، وفقدنا العقول التى كنا نمتنع لها من الحرام؛ والوجوه المتقدمة أشبه وأقرب إلى الصواب.

---

(1) د: «تنشطنا».

(2) د، ف: «وحصول».

(3) من قصيدة مطلعها:

إنّ بالشّعب الّذي دون سلع ... لقتيلا دمه ما يطلّ

وفى نسبتها خلاف كبير؛ نسبها أبو تمام فى الحماسة 2: 313 – 319 إلى تأبط شرا، وقال التبريزى:

«إنها لخلف الأحمر؛ وقيل إنها لابن أخت تأبط شرا»؛ ونسبها ابن قتيبة فى الشعر والشعراء إلى خلف؛ وقال: «إنه نحلها ابن أخت تأبط شرا؛ وكان يقول الشعر وينحله المتقدمين»، وممن نسبها إلى الشنفرى صاحب الأغانى (5: 162).

ولقد تجوب بى الفلاة إذا ... صام النّهار وقالت العفر

أراد «بصام»، وقف، وذلك وصف له بالامتداد والطول. والعفر: الظّباء اللواتى (1) فى ألوانهنّ حمرة يخالطها كدرة (2). و «قالت» من القائلة، وهى وقت نصف النهار؛ لا من القول.

شدنيّة رعت الحمى فأتت ... ملء الحبال كأنّها قصر
شدنيّة: منسوبة إلى شدن، وهو موضع باليمن؛ يقال لملكه: ذو شدن.
تثنى على الحاذين ذا خصل ... تعماله الشّذران والخطر
الحاذ: مؤخّر الفخذ. والشّذران: رفع الناقة ذنبها من المرح (3). والخطران، معروف من خطر يخطر/. وتعماله، أى عمله.
أمّا إذا رفعته شامذة ... فتقول رنّق فوقها نسر
يعنى بشامذة، أى مبالغة فى رفع ذنبها. ويقال، رنّق الطائر؛ إذا نشر جناحه (4) طائرا من غير تحريك.
أمّا إذا وضعته خافضة ... فتقول أرخى خلفها ستر
وتسفّ أحيانا فتحسبها ... مترسّما يقتاده أثر (5)
معنى «تسفّ»، أى تدنى رأسها من الأرض. والمترسّم: الّذي يتتبع الرّسم ويتأمّله؛ ومعنى «يقتاده أثر»، أى هو معنى بطلب الأثر وموكّل بتتبّعه. ويقال: أثر وأثر وإثر؛

---

(1) حاشية ت (من نسخة): «التى».
(2) حاشية ت (من نسخة): «كدورة».
(3) فى حواشى الأصل، ت، ف: «فى كتاب ابن فارس: تشذرت الناقة إذا رفعت رأسها من النشاط».
(4) ت، ش، ف: «جناحيه».
(5) فى حاشيتى الأصل، ت: «الأثر [بضم الهمزة والثاء]، والأثر [بفتح الهمزة والثاء] سواء؛ قال امرؤ القيس:
وإن أدبرت قلت أثفيّة ... ململمة ليس فيها أثر.

ثلاث لغات؛ وقد وهم الصّولىّ فى تفسير هذا البيت؛ لأنّه قال: إن أبا نواس جمع الأثر آثارا، ثم جمع الآثار أثرا، ثم خفّف فقال: «أثر». وليس يحتاج إلى ما ذكره مع ما أوردناه؛ وإنما ذهب عليه أنه يقال فى الأثر: أثر.
فإذا قصرت لها الزّمام سما ... فوق المقادم ملطم حرّ (1)
فكأنّها مصغ لتسمعه ... بعض الحديث، بأذنه وقر
تبرى لأنقاض أضرّ بها ... جذب البرى فخدودها صعر
معنى تبرى، تنبرى، أى تعرض لهذه الأنقاض، والأنقاض: جمع نقض؛ وهو البعير الّذي قد هزله السفر والكدّ. والبرى: جمع برة؛ وهى الحلقة التى تكون فى أنف البعير يذلّل بها.
يرمى إليك بها بنو أمل ... عتبوا فأعتبهم (2) بك الدّهر
أنت الخصيب وهذه مصر ... فتدفّقا فكلاكما بحر

لا تقعدا بي عن مدى أملي ... شيئا فما لكما به عذر
ويحقّ لي إذ صرت بينكما ... ألّا يحلّ بساحتي فقر (3)

(1) الملطم: صفحة العنق.
(2) أعتبهم: أرضاهم.
(3) حاشية ت (من نسخة): «الفقر».

20 مجلس آخر [المجلس العشرون:]

[عود إلى ذكر الجوابات المستحسنة:]

قال سيدنا أدام الله علوّه: ثم نعود إلى ما كنّا آخذين فيه من ذكر مستحسن الجوابات.

روى أن رجلا نظر إلى كثيّر الشاعر راكبا/ وأبو جعفر محمد بن عليّ عليهما السلام يمشي، فقيل له: أتركب وأبو جعفر يمشي! فقال: هو أمرني بذلك، وأنا بطاعته في الركوب أفضل مني في عصياني إياه بالمشي (1).

وروى أن دعاة خراسان صاروا إلى أبي عبد الله الصادق عليه (2) السلام فقالوا له: أردنا ولد محمد بن عليّ (3)، فقال: أولئك بالسّراة ولست بصاحبكم، فقالوا له: لو أراد الله بنا خيرا كنت صاحبنا، فقال المنصور بعد ذلك لأبي عبد الله: أردت الخروج علينا، فقال: نحن ندلّ عليكم في دولة غيركم، فكيف نخرج عليكم في دولتكم!

وقال عبد الملك بن مروان لنصيب: هل لك في الشراب؟ فقال له نصيب: الشعر مفلفل، واللون مرمّد (4)، وإنما قرّبني إليك عقلي، فهبه لي.

وقال مروان الملقّب بالحمار لحاجبه- وقد ولى منهزما-: كرّ عليهم بالسيف، فقال: لا طاقة لي بذلك، فقال: والله لئن لم تفعل لأسوءنّك، فقال: وددت أنك تقدر على ذلك.

وقال يحيى بن خالد لشريك: علّمنا مما علّمك الله يا أبا عبد الله، فقال له شريك: إذا عملتم بما تعلمون، علّمناكم ما تجهلون.

(1) حاشية ت (من نسخة): «في المشي».
(2) ت: «أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام».
(3) هو محمد بن علي بن عبد الله بن العباس؛ جد الخلفاء العباسيين؛ وهو الّذي ابتدأت الدعوة على يديه؛ وكان ذلك في حياة أبيه؛ (وانظر تاريخ ابن الأثير حوادث سنة 118).
(4) الرمدة: لون إلى الغبرة؛ ومن نسخة بحاشيتي ت، ف: «مربد».

وقال المأمون لمحمد بن عمران: بلغنى أنك بخيل، فقال: ما أجمد فى حقّ، ولا أذوب فى باطل (1).
وقيل لأبى دؤاد الإيادىّ- ونظر إلى بنته تسوس فرسه: أهنتها يا أبا دؤاد! فقال:
أهنتها بكرامتى، كما أكرمتها بهوانى؛ ومثل ذلك قول أعرابىّ لحقه ذلّ على باب السلطان:
أهين لهم نفسى لأكرمها بهم ... ولن تكرم النّفس التى لا تهينها
ودخل عمارة بن حمزة على المنصور، فجلس مجلسه الّذي كان يجلس فيه، فقام رجل إلى المنصور فقال: مظلوم يا أمير المؤمنين، فقال: من ظلمك؟ فقال: عمارة غصبنى ضيعتى، فقال المنصور: قم يا عمارة، فاقعد مع خصمك، فقال عمارة: ما هو لى بخصم؛ فقال له: كيف؟
قال: إن كانت الضيعة له فلست أنازعه فيها؛ وإن كانت لى فهى له، ولا أقوم من مجلس شرّفنى به أمير المؤمنين لأقعد فى أدنى منه بسبب ضيعة.
وقال هشام بن عبد الملك لرجل فى الكعبة: سلنى حاجتك، فقال: لا أسأل فى بيت الله غير الله.
وهرب سليمان بن عبد الملك من الطّاعون فقيل له: إن الله تعالى/ يقول: قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذاً لا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا؛ [الأحزاب: 16]، فقال: ذلك القليل نطلب.
وقيل إنّ الجعد بن درهم جعل فى قارورة ترابا وماء، فاستحال دودا وهوامّ، فقال لأصحابه:
أنا خلقت ذلك، لأنى كنت سبب كونه. فبلغ ذلك جعفر بن محمد عليهما السلام، فقال: إن كان خلقه فليقل: كم هو؟ وكم الذّكران منه والإناث؟ وكم وزن كل واحدة منهن؟ وليأمر الّذي يسعى إلى هذا الوجه أن يرجع إلى غيره. فانقطع وهرب.

---

(1) حاشية ف: «فى كتاب آخر: «ولا أتدفق فى باطل».

وقال المأمون للفضل بن سهل: إنى أخاف عليك أقواما يعادونك، فلا تركب إلى إلّا فى جيش، فقال الفضل: ما أخاف غيرك، فإن أمّنتنى من (1) نفسك لم يضرّنى إنسان.
وقيل لأبى ثور: ما تقول فى حمّاد بن زيد بن درهم، وحمّاد بن سلمة بن دينار؟ فقال:
بينهما فى العلم كقيمة ما بين أبويهما فى الصرف.
وأراد المأمون تقبيل السّواد (2)، وجلس يناظر العمّال على ذلك، فقام إليه رجل من الدّهاقين فقال: يا أمير المؤمنين، إنّ الله عز وجل ولّاك علينا بالأمانة، فلا تقبّلنا، فأضرب عن ذلك.
وقال رجل لابن عبّاس: زوّجنى من فلانة (3) – وكانت يتيمة فى حجره- فقال:
لا أرضاها لك، لأنها تتشرّف، فقال الرجل: قد رضيت أنا، فقال ابن عباس: الآن لا أرضاك لها.
[ويشبه هذا الخبر من وجه ما رواه] (4) المدائنىّ قال: أرسل عمر بن عبد العزيز رجلا من أهل الشام وأمره أن يجمع بين إياس بن معاوية المزنىّ (5) وبين القاسم بن ربيعة الحوشىّ (6) من بنى عبد الله بن غطفان، فيولّى القضاء أقدمهما (7)، فقدم الرجل البصرة، فجمع بينهما، فقال إياس للشامىّ:
أيّها الرجل، سل عنّى وعن القاسم فقيهى المصر: الحسن وابن سيرين، فمن أشارا عليك

(1) من نسخة بحاشيتى ت، ف: «فإن أمنتنى نفسك».
(2) السواد؛ يراد به رستاق العراق وضياعها مما افتتحه المسلمون؛ سمى بذلك لسواده بالزروع والنخيل والأشجار والتقبيل؛ من القبالة؛ وهى الكفالة، قال فى اللسان: «يقال قبلت العامل تقبيلا؛ والاسم القبالة؛ وفى حديث ابن عباس: «إياكم والقبالات؛ فإنها صغار وفضلها ربا؛ وهو أن يتقبل بخراج أو جباية أكثر مما أعطى؛ فذلك الفضل ربا؛ فإن تقبل وزرع فلا بأس».
(3) ت، وحاشية الأصل (من نسخة): «زوجنى فلانة».
(4) من نسخة بحاشيتى الأصل، ت: «ويشبه هذا الخبر من وجه بخبر رواه».
(5) من نسخة بحواشى الأصل، ت، ف: «المزنىّ» وفى حاشية الأصل أيضا: «وهم، هو إياس بن معاوية بن قرة المزنى».
(6) من نسخة بحاشيتى الأصل، ت: «الجوشنى».
(7) حاشية ت (من نسخة):
«أنفذهما».

بتوليته فولّه؛ وكان القاسم يأتى الحسن وابن سيرين، ولم يكن إياس يأتيهما، فعلم القاسم أنه إن سألهما أشارا به، فقال للشامىّ: لا تسل عنّى ولا عنه، فو الّذي لا إله إلا هو إن إياسا أفضل منى وأفقه، وأعلم بالقضاء، فإن كنت عندك ممّن يصدّق إنه لينبغى أن تقبل منى، وإن كنت كاذبا فما يحلّ لك أن تولّينى وأنا كاذب؛ فقال إياس للشامىّ: إنك جئت برجل فأقمته على شفير جهنّم، فافتدى نفسه من النار (1) أن تقذفه فيها بيمين حلفها كذب فيها، يستغفر الله منها، وينجو مما يخاف/. فقال الشامىّ: أما إذ فطنت لهذا، فإنى أولّيك، فاستقضاه.
ولما أمضى معاوية بيعة يزيد جعل الناس يقرّظونه، فقال يزيد لأبيه: ما ندرى أنخدع الناس أم يخدعوننا؟ فقال معاوية: يا بنيّ، من خدعته فتخادع لك ليخدعك فقد خدعته.
وسمع عبد الملك بن مروان ليلة قبض وهو يجود بنفسه- وقد سمع صوت قصّار- يقول:
ليتنى كنت غسالا أعيش بما أكسب يوما بيوم، فبلغ ذلك أبا حازم فقال: الحمد لله الّذي جعلهم عند الموت يتمنون ما نحن فيه، ولا نتمنّى فى الحياة ما هم فيه.
وقال الواثق للجاحظ: يا منّانىّ (2)، فقال: لو كان الّذي أضفتنى إليه عبدك ما قدرت على بيعه لكثرة عيوبه؛ فكيف أكون على دينه (3)! .
وقال ابن عباس رضى الله عنه للخوارج- وقد أرسله أمير المؤمنين عليه السلام إليهم:
نشدتكم الله، أيّما أعلم بالتنزيل والتأويل: عليّ أم أنتم؟ قالوا: عليّ، قال: أليس تدرون، لعلّ الّذي حكم به فيكم بفضل علمه على ما تعلمون! فرجع أكثرهم.

(1) حاشية ف: «بدل اشتمال من «نفسه»، أى افتدى قذف نفسه».

(2) من نسخة بحواشى الأصل، ت، ف: «يا مانىّ»؛ ومانىّ: منسوب إلى مانى؛ وهو مانى ابن فاتك الحكيم؛ وأتباعه يعرفون بالمانوية؛ وهم يزعمون أن العالم مركب من أصلين قديمين: نور وظلمة؛ وهما أزليان، (وانظر تفصيل مذهبهم فى الملل والنحل للشهرستانى 143 - 146).
(3) ت: «على ذلك».

وقال عتبة بن أبى سفيان لعبد الله بن عباس: ما منع عليّ بن أبى طالب أن يجعلك أحد الحكمين؟
فقال: أما والله لو بعثنى لاعترضت مدارج (1) أنفاسه، أطير إذا أسفّ وأسفّ (2) إذا طار، ولعقدت له عقدا لا تنتقض مريرته، ولا يدرك طرفاه؛ ولكنه سبق قدر، ومضى أجل، والآخرة خير لأمير المؤمنين من الدنيا.
وقال أبو جعفر محمد بن عليّ عليهما السلام لكثيّر: امتدحت عبد الملك بن مروان؟
فقال: لم أقل له يا إمام الهدى، إنما قلت: يا شجاع، والشجاع حيّة، ويا أسد، والأسد كلب، ويا غيث، والغيث موات! فتبسم أبو جعفر عليه السلام.
وقالت بنت عبد الله بن مطيع لزوجها يحيى بن طلحة: ما رأيت ألأم من أصحابك، إذا أيسرت لزموك، وإذا أعسرت تركوك! فقال: هذا من كرمهم؛ يأتوننا فى حال القوة منّا عليهم، ويفارقوننا فى حال الضعف منّا عنهم.
وقيل لإبراهيم النّخعىّ: متى كنت؟ قال: حيث احتيج إلى.
ورئى رجل يصلى صلاة خفيفة، فقيل له: ما هذه الصلاة؟ فقال: صلاة ليس فيها رياء.

[خبر قتيبة بن مسلم مع الحصين بن المنذر الرقاشىّ:]
وأخبرنا أبو عبيد الله المرزبانىّ قال حدّثني محمد بن أبى الأزهر قال حدثنا محمد بن يزيد النحوىّ قال: تزعم
الرواة أن قتيبة بن مسلم لما فتح سمرقند (3) أفضى إلى أثاث لم ير مثله، وآلات لم يسمع بمثلها، فأراد أن يرى الناس عظيم ما فتح، ويعرّفهم أقدار (4) القوم الذين ظهر عليهم، فأمر بدار ففرشت، وفى صحنها قدور يرتقى إليها بسلاليم، وإذا الحصين بن المنذر بن الحارث (5) بن وعلة الرّقاشىّ قد أقبل، والناس جلوس على مراتبهم، والحصين شيخ كبير، فلما رآه عبد الله بن مسلم أخو قتيبة قال لقتيبة: أتأذن لى فى معاتبته؟

---

(1) المدارج هنا: جمع مدرجة؛ وهى ممر النفس.
(2) يقال: أسف الطائر؛ إذا دنا من الأرض فى طيرانه.
(3) سمرقند: من أكبر مدن ما وراء النهر وحاضرة الصغد؛ فتحها قتيبة بن مسلم الباهلىّ سنة 93.
(4) من نسخة بحاشيتى الأصل؛ ف:

«مقدار».
(5) ت: «المنذر بن الحباب».

قال: لا تردّه، فإنه خبيث الجواب، فأبى عبد الله إلّا أن يأذن له- وكان عبد الله يضعّف- وكان قد تسوّر حائطا إلى امرأة قبل ذلك- فأقبل على الحصين وقال: أمن الباب دخلت يا أبا ساسان؟ فقال: أجل، أسنّ عمّك عن تسوّر الحيطان، قال: رأيت هذه القدور؟ قال:
هى أعظم من ألّا ترى، قال: ما أحسب بكر بن وائل رأى مثلها، قال: أجل، ولا عيلان (1)، ولو رآها سمّى شبعان، ولم يسمّ عيلان، فقال له: يا أبا ساسان، أتعرف الّذي يقول (2):
عزلنا وأمّرنا وبكر بن وائل ... تجرّ خصاها تبتغى من تحالف
قال: أعرفه وأعرف الّذي يقول:
وخيبة من يخيب على غنىّ ... وباهلة بن يعصر والرّباب
قال: أتعرف الّذي يقول (2):
كأنّ فقاح الأزد حول ابن مسمع ... وقد عرقت أفواه بكر بن وائل (3)
قال: أعرفه، وأعرف الّذي يقول:
قوم قتيبة أمّهم وأبوهم ... لولا قتيبة أصبحوا فى مجهل
قال: أمّا الشعر، فأراك ترويه، ولكن هل تقرأ من القرآن شيئا؟ قال: نعم، أقرأ منه الكثير الطيب: هَلْ أَتى عَلَى
الْإِنْسانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً
؛ [الإنسان: 41]، فأغضبه فقال: والله لقد بلغنى أن امرأة الحصين حملت إليه وهى حبلى من غيره، قال: فما تحرّك الشيخ من هيئته الأولى. ثم قال على رسله: وما يكون؟ تلد غلاما على فراشى فيقال: ابن الحصين، كما يقال عبد الله بن مسلم/؛ فأقبل قتيبة على عبد الله فقال. لا يبعد الله غيرك.

---

(1) حاشية ف: «عيلان، بالرفع على أن يكون مبتدأ؛ أى ولا عيلان أدركها؛ والنصب على أن يكون عطفا على بكر بن وائل». وفى حاشية الأصل: «عيلان: قبيلة عبد الله بن مسلم».
(2) ف: «من الّذي يقول؟ ».
(3) حاشية ف: «قوله: «وقد عرفت»، الواو للحال؛ شبه أدبار الأزد فى حال ما عرقت بأفواه بكر بن وائل».

ولقى شريك (1) النّميرىّ رجلا من بنى تميم، فقال له التّميمىّ: يعجبنى من الجوارح البازى، فقال له شريك: وخاصّة إذا صاد القطا؛ أراد التميمىّ بقول البازى قول جرير:

أنا البازى المطلّ على نمير ... أتيح من السّماء لها انصبابا (2)

وأراد شريك بقوله: «إذا صاد القطا» قول الطّرمّاح:

تميم بطرق اللّؤم أهدى من القطا ... ولو سلكت سبل المكارم ضلّت (3)

وساير (4) شريك النّميرىّ عمر بن هبيرة الفزارىّ على بغلة، فجاوزت بغلته برذون عمر، فقال له عمر: اغضض من لجامها، فقال شريك: إنها مكتوبة، فقال عمر: ما أردت ذاك، قال شريك ولا أنا أردته؛ ظن شريك أنّ عمر أراد بقوله: «اغضض من لجامها» قول جرير:

فغضّ الطّرف إنّك من نمير ... فلا كعبا بلغت ولا كلابا (5)

وعنى شريك بقوله: «مكتوبة» قوله (6):

لا تأمننّ فزاريّا خلوت به ... على قلوصك واكتبها (7) بأسيار

يعنى: ب «اكتبها» شدّها.

وأنشد أبو تمام الطائىّ أحمد بن المعتصم قصيدته (8) السينية التى يمدحه فيها، فلما بلغ إلى قوله:

---

(1) الخبر فى اللآلئ 862 – 863؛ مع اختلاف فى الرواية.

(2) ديوانه: 72، وروايته:

«المدل على نمير».

(3) ديوانه: 132، وفى حاشية ت (من نسخة): «طرق المكارم».

(4) الخبر فى الفاضل والمفضول: 50، واللآلئ: 861 – 862، والاقتضاب: 50، وكنايات الجرجانى: 74.

(5) ديوانه: 75.

(6) هو سالم بن دارة، من قصيدة هجا بها زميل ابن أبير الفزارى، وأبيات منها فى الخزانة 1: 557.

(7) ت: «معنى اكتبها: اشددها».

(8) القصيدة فى ديوانه 173 – 175، ومطلعها:

ما فى وقوفك ساعة من بأس ... نقضى ذمام الأربع الأدراس.

فى حلم أحنف فى شجاعة عامر ... فى جود حاتم فى ذكاء إياس (1)

فقال له الكندىّ– وكان حاضرا–: ما صنعت شيئا، قال: وكيف؟ قال: لأنّ شعراء دهرنا قد تجاوزوا بالممدوح من كان قبله، ألا ترى إلى قول أبى العكوّك (2) فى أبى دلف:

رجل أبرّ على شجاعة عامر ... بأسا وغبّر فى محيّا حاتم

فأطرق الطائىّ ثم رفع رأسه وأنشد:

لا تنكروا ضربى له من دونه ... مثلا شرودا فى النّدى والباس

فالله قد ضرب الأقلّ لنوره ... مثلا من المشكاة والنّبراس
وقال ابن هبيرة لأبى دلامة- وكان مولى لبنى أمية لما ظهرت المسوّدة (3): لأتخذنّ لك منهم عبدا صالحا يخدمك، فلما علت كلمتهم، وفشت دعوتهم قال أبو دلامة: ليت الله قيّض لى/ منهم مولى صالحا أخدمه.
وقال يحيى بن خالد لعبد الملك بن صالح الهاشميّ: إنّ خصالك كاملة سوى حقد فيك، فقال: أنا خزانة تحفظ الخير والشر. وقد نظر ابن الرومى إلى هذا المعنى فى قوله:
وما الحقد إلّا توأم الشّكر فى الفتى ... وبعض السّجايا ينتسبن إلى بعض (4)
فحيث ترى حقدا على ذى إساءة ... فثمّ ترى شكرا على حسن القرض
إذا الأرض أدّت ريع ما أنت زارع ... من البذر فيها فهى ناهيك من أرض
وقال الحجاج للحطيط الخارجىّ: ما تقول فى عبد الملك بن مروان؟ قال: ما أقول فى رجل أنت خطيئة من خطاياه!
قال: فهل هممت بي قطّ! قال: نعم، ولكن حال بيننا

---

(1) رواية الديوان:
إقدام عمرو فى سماحة حاتم ... فى حلم أحنف فى ذكاء إياس.
(2) كذا فى الأصول؛ وفى الأغانى ونكت الهميان وابن خلكان: «العكوك»؛ وفى حاشيتى الأصل، ت: «العكوك فى الأصل: القصير السمين مع صلابة»، وهو على بن جبلة الضرير، توفى سنة 213.
(3) حاشية الأصل: «المسودة؛ يعنى بنى العباس أصحاب الرايات السود».
(4) ديوانه: الورقة 154.

بين وقدر، وقد أعطيت الله عهدا إن سألتنى لأصدقنّك، ولئن خلّيت عنى لأطلبنّك، ولئن عذبتنى لأصبرن لك؛ فأمر بقتله.
وأما «البين» فهى الأرض الواسعة، قال ابن مقبل (1):
بسرو حمير أبوال البغال به ... أنّى تسدّيت وهنا ذلك البينا (2)
وقيل لأبى العتاهية لما قال:
عتب (3) ما للخيال ... خبّرينى وما لى
خرجت من العروض، فقال: أنا أكبر من العروض (4).
وقال عبد الملك بن مروان للهيثم بن الأسود: ما مالك؟ قال: قوام من العيش، وغنى من الناس.
فقيل له: لم لم تخبر به؟ فقال: إن كان كثيرا حسدنى، وإن كان قليلا ازدرانى.
واغتاب الأعمش رجلا من أصحابه، فطلع الرجل على هيئة ذلك، فقال له رجل من أصحابه:
قل له ما قلته حتى لا يكون غيبة؛ فقال له: قل له أنت حتى لا تكون نميمة.
وقال معاوية لعمرو بن العاص: هل غششتنى مذ نصحتنى؟ قال: لا، قال: بلى يوم أشرت علىّ

بمبارزة عليّ، وأنت تعلم من هو! فقال عمرو: دعاك رجل عظيم الخطر إلى المبارزة، فكنت من مبارزته على إحدى الحسنيين؛ إمّا إن قتلته فقد قتلت قتّال الأقران، وازددت شرفا إلى شرفك، وخلوت بملكك، وإمّا إن قتلك فتتعجّل مرافقة الشهداء والصديقين

---

(1) من قصيدة فى جمهرة الأشعار: 331 – 335، مطلعها:
طاف الخيال بنا ركبا يمانينا ... ودون ليلى عواد لو تعدّينا.
(2) سرو حمير؛ من منازلهم باليمن. وأبوال البغال يريدون به السراب؛ قال الأصمعىّ: يقال لنطف البغال أبوال البغال؛ ومنه قيل للسراب أبوال البغال على التشبيه؛ وإنما شبه بأبوال البغال؛ لأن بول البغال كاذب لا يلقح، والسراب كذلك. وتسديت؛ يخاطب الطيف، ويجوز أن يقرأ: «تسديت» بكسر التاء يخاطب الحبيبة (وانظر المقاييس 1: 1، 3، واللسان– يبن).
(3) على الترخيم.
(4) حاشية ت: «يريد أن عمل الشعر قبل عمل الخليل للعروض».

والصالحين؛ قال معاوية: لهذه أشد عليّ من الأولى، فقال عمرو: أفكنت من جهادك فى شك فتكون منه الساعة! / قال: دعنى منك الآن.
وقيل للأحنف بن قيس– وقد رأى مسيلمة الكذّاب: كيف هو؟ فقال: ما هو بنبيّ صادق، ولا بمتنبئ حاذق.

[بعض ما يروى من أجوبة أبى الأسود الدؤلى الحاضرة:]
وروى المبرّد قال: قال زياد لأبى الأسود الدّؤليّ: لولا أنّك قد كبرت لاستعنّا بك فى بعض أمورنا، قال: إن كنت تريدنى للصّراع فليس عندى، وإن كنت تريد عقلى ورأيي فهما أوفر ما كانا.
وكان أبو الأسود حاضر الجواب جيّد الكلام مليح النادرة. وروى عن الشّعبيّ أنّه قال: قاتل الله أبا الأسود! ما كان أعفّ أطرافه، وأحضر جوابه! دخل على معاوية بالنّخيلة، فقال له معاوية: أكنت ذكرت للحكومة؟ قال: نعم، قال: فماذا كنت صانعا؟ قال:
كنت أجمع ألفا من المهاجرين وأبنائهم، وألفا من الأنصار وأبنائهم، ثم أقول: يا معشر من حضر؛ أرجل من المهاجرين أحقّ أم رجل من الطلقاء؟ فلعنه معاوية، وقال: الحمد لله الّذي كفاناك.
وقد روى أنّ أبا الأسود طلب بأن يكون فى الحكومة، وقال لأمير المؤمنين عليه السلام فى وقت الحكمين: يا أمير المؤمنين، لا ترض بأبى موسى، فإنى قد عجمت الرجل وبلوته، فحلبت أشطره؛ فوجدته قريب القعر، مع أنه يمان، وما أدرى ما يبلغ نصحه! فابعثنى فإنه لا يحلّ عقدة إلّا عقدت له أشدّ منها، وإنهم قد رموك بحجر الأرض، فإن قيل: إنه لا صحبة لى، فاجعلنى ثانى اثنين، فليس صاحبهم إلّا من تقرّب، وكان فى الخلاف عليهم كالنّجم؛ فأبى عليه السلام.
وروى محمد بن يزيد النحوىّ أنّ أبا الأسود كان [نازلا فى بنى قشير؛ وكانوا يخالفونه فى المذهب لأن

أبا الأسود كان] (1) شيعيا، فكانوا يرمونه بالليل، فإذا أصبح شكا ذلك،

(1) ساقط من م.

فشكا مرة، فقالوا: ما نحن نرميك؛ ولكنّ الله يرميك، فقال: كذبتم، لو كان الله يرمينى ما أخطأنى.
وقال لهم يوما: يا بنى (1) قشير، ما فى العرب أحد أحبّ إلى طول بقاء منكم، قالوا:
ولم ذاك؟ قال: لأنكم إذا ركبتم أمرا علمت أنه غىّ فأجتنبه، وإذا اجتنبتم أمرا علمت أنه رشد، فاتبعته فنازعوه الكلام، فأنشأ يقول:

يقول الأرذلون بنو قشير ... طوال الدّهر لا تنسى عليّا
أحبّ محمّدا حبّا شديدا ... وعبّاسا وحمزة والوصيّا
/ أحبّهم لحبّ الله حتّى ... أجئ إذا بعثت على هويّا
فإن يك حبّهم رشدا أصبه ... ولست بمخطئ إن كان غيّا

فقالوا له: أشككت يا أبا الأسود، فقال: ألم تسمعوا الله تعالى يقول: وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلى هُدىً أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ، أفترون الله شكّ!
أما قوله: «هويّا» فإنه لغة هذيل؛ يقولون ذلك فى كل مقصور (2)؛ مثل الهوى والعصا والتقى والقفا. قال أبو ذؤيب الهذلى:

سبقوا هوىّ وأعنقوا لسبيلهم ... فتخرّموا ولكلّ جنب مصرع (3)

وروى أن أبا الأسود دخل على معاوية فقال له: أصبحت جميلا يا أبا الأسود؛ فلو علّقت تميمة تدفع العين عنك! فقال أبو الأسود:

أفنى الشّباب الّذي ولى وبهجته (4) ... كرّ الجديدين من آت ومنطلق
لم يتركا لى فى طول اختلافهما ... شيئا أخاف عليه لذعة الحدق

(1) الخبر مع الأبيات ورد فى الأغانى 11: 113، ونزهة الألباء 6 – 7، وأخبار النحوين للسيرافى 14 – 215، وإنباه الرواة 1: 17، يزيد وينقص فى بعض الروايات، ويختلف فى بعض الألفاظ وترتيب الأبيات.
(2) وذلك إذا أضيف إلى ياء المتكلم؛ فيقولون: هوىّ؛ أى هواى، وعصىّ؛ أى عصاى؛ وهكذا.
(3) ديوان الهذليين 1: 2، والرواية فيه: «لهواهم».
(4) حاشية الأصل (من نسخة): «فارقت بهجته».

وروى أنه دخل يوما السوق يشترى ثوبا فقال له رجل: هلمّ أقاربك فى هذا الثوب؛ فقال: إن لم تقاربنى باعدتك، ثم قال له: بكم هو؟ قال: قد أعطيت به كذا كذا، قال:
إنما تخبّرنى عما فاتك.
وروى أنّه كان ماشيا فى طريق، فقال له راكب: الطريق الطريق، فقال له: عن الطريق تعدلنى!
ومرض أبو الأسود فقيل له: هو أمر الله، فقال: ذاك أشدّ له!
وقيل إن امرأة أبى الأسود خاصمته إلى زياد فى ولدها، فقالت: أيها الأمير، إن هذا يغلبنى على ولدى، وقد كان بطنى له وعاء، وثدي له سقاء، وحجرى له فناء، فقال أبو الأسود:
[أبهذا تريدين أن تغلبينى على ابنى] (1)! فو الله لقد حملته قبل أن تحمليه، ووضعته قبل أن تضعيه، فقالت: ولا سواء، إنك حملته خفّا، وحملته ثقلا، ووضعته شهوة، ووضعته كرها، فقال له زياد: إنها امرأة عاقلة يا أبا الأسود، فادفع ابنها إليها، فأخلق أن تحسن أدبه.
وقال رجل لأبى الأسود: أنت والله ظريف لفظ، وظرف (2) علم، ووعاء حلم، غير أنّك بخيل؛ فقال: وما خير ظرف لا يمسك ما فيه!
وسلم عليه أعرابىّ يوما، فقال أبو الأسود: كلمة مقولة، فقال: أتأذن فى الدخول؟
قال: / وراءك أوسع لك! قال: فهل عندك شيء؟ قال: نعم، قال: أطعمنى، قال: عيالى أحقّ منك، قال: ما رأيت ألأم منك، قال: نسيت نفسك.
وسأله رجل شيئا فمنعه قال: ما أصبحت حاتميّا (3) قال: بلى، قد أصبحت حاتمكم من حيث لا تدرى، أليس حاتم الّذي يقول:
أماوىّ إمّا مانع فمبيّن ... وإمّا عطاء لا ينهنهه الزّجر (4)

---

(1) ت: «إنها لتريد أن تغلبنى على ابنى».
(2) حاشية ت (من نسخة): «ظريف»، بالبناء للمجهول.
(3) ت: «حاتمنا».
(4) ديوانه: 118.

21 مجلس آخر [المجلس الحادي والعشرون:]

[خبر سليمان بن عبد الملك مع يزيد بن أبي مسلم:]

أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزبانىّ قال: أخبرنا أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة النحوىّ قال: لما ولى سليمان بن عبد الملك أتى بيزيد بن أبى مسلم مولى الحجّاج فى جامعة- وكان رجلا دميما تقتحمه (1) العين- فلما رآه سليمان قال: لعن الله من أجرّك رسنك، وولى مثلك!
فقال: يا أمير المؤمنين، رأيتنى والأمر عنى مدبر، ولو رأيتنى وهو علىّ مقبل لاستعظمت ما استصغرت، ولاستجللت ما استحقرت، فقال له سليمان: أين ترى الحجاج؟
أيهوى فى النار؛ أم قد استقرّ! فقال: يا أمير المؤمنين، لا تقل كذا، فإن الحجاج قمع لكم الأعداء،

ووطّأ لكم المنابر، وزرع لكم الهيبة فى قلوب الناس، وبعد، فإنه يأتى يوم القيامة عن يمين أبيك عبد الملك، وشمال أخيك الوليد، فضعه حيث شئت.

[خبر صفوان بن الأهتم مع رجل من بنى عبد الدار:]

وروى أن خالد بن صفوان فاخر رجلا من بنى عبد الدار، الذين يسكنون اليمامة، فقال له العبدرىّ: من أنت؟ فقال: أنا خالد بن صفوان بن الأهتم، فقال له العبدرىّ: أنت خالد كَمَنْ هُوَ خالِدٌ فِي النَّارِ؛ [محمد: 15]، وأنت ابن صفوان، وقال الله عزّ وجل كَمَثَلِ صَفْوانٍ عَلَيْهِ تُرابٌ؛ [البقرة: 264]، وأنت ابن الأهتم، والصحيح خير من الأهتم. فقال له خالد بن صفوان يا أخا بنى عبد الدار، أتتكلم وقد هشمتك هاشم، وأمّتك بنو أميّة، وخزمتك بنو مخزوم، وجمحتك (2) بنو جمح، فأنت عبد دارهم؛ تفتح إذا دخلوا، وتغلق إذا خرجوا؛ فقام العبدرىّ محموما.

وتقدم الأشعث بن قيس إلى شريح فقال له الأشعث: أتعلمني بك يا ابن أمّ شريح! لقد

---

(1) حاشية ت (من نسخة): «تزدريه».

(2) حواشى الأصل، ت، ف: «يجوز أن يكون أصله: «جمحت بك»؛ فحذف حرف الجر، وأوصل الفعل؛ ذكره ابن دريد فى كتاب الاشتقاق، ويجوز أن يكون من جامحته فجمحته».

عهدتك وإنّ شأنك لشؤين، فقال له شريح: انت امرؤ تعرف النعمة فى غيرك، وتنساها فى نفسك.

[ما دار بين الفرزدق والحطيئة عند سعيد بن العاص:]

وروى أبو العيناء عن العتبىّ قال: دخل الفرزدق إلى سعيد بن العاص، وعنده الحطيئة، فلما مثل بين يديه قال:

/ إليك فررت منك ومن زياد ... ولم أحسب دمى لكما حلالا (1)

فإن يكن الهجاء أحلّ قتلى ... فقد قلنا لشاعركم وقالا (2)

ترى الغرّ الجحاجح من قريش ... إذا ما الأمر فى الحدثان عالا (3)

قياما ينظرون إلى سعيد ... كأنّهم يرون به هلالا (4)

فقال له الحطيئة: هذا والله أيها الأمير الشّعر، لا ما كنّا نعلّل (5) به منذ اليوم، يا غلام أقدمت أمك الحجاز؟ فقال: لا، ولكن قدمه أبى.

أراد الحطيئة بقوله: إن كانت قدمت أمّك الحجاز، فقد وقعت بها (6)، وكنت متّى، وأراد الفرزدق بقوله: «ولكن قدمه أبى» أى وقع بأمك فكنت أنت (7).

ويشبه ذلك ما روى أنّ الفرزدق كان ينشد شعره يوما، والناس حوله، إذ مرّ به الكميت بن زيد، فقال له الفرزدق: كيف ترى شعرى؟ فقال الكميت: حسن بسن، فقال له الفرزدق: أيسرّك أنى أبوك، قال: أمّا أبى فلا أريد به بدلا (8)، ولكن يسرّنى أن لو كنت أمى! فقال له

(1) ديوانه: 617، وبعده:
ولكنّى هجوت وقد هجتنى ... معاشر قد رضخت لهم سجالا.
(2) بعده:
وإن تك فى الهجاء تريد قتلى ... فلم تدرك لمنتصر مقالا.
(3) عال: فدح وأثقل؛ وبعده:
بنى عمّ الرسول ورهط عمرو ... وعثمان الذين علوا فعالا.
(4) حاشية ت (من نسخة): «الهلالا».
(5) حاشية ت (من نسخة): «ما كنت تعلل».
(6) حاشية ت (من نسخة): «وقعت عليها».
(7) ابن الشجرى: «فكنت أنت أخى».
(8) حاشية ت (من نسخة): «بديلا».

الفرزدق: اكتم هذه على عمك يا ابن أخى فما مرّ بى مثلها.
وقيل إنّ عبد الملك بن مروان ظفر برجل من بنى مخزوم زبيرى الرأى، فقال له لما حضر مجلسه: أليس قد ردّك الله على عقبيك! فقال الرجل: أو من ردّ عليك يا أمير المؤمنين فقد ردّ على عقبيه! فوجم عبد الملك،
وقال موسى بن عيسى بن موسى لشريك: يا أبا عبد الله، عزلوك عن القضاء، وما رأينا قاضيا عزل! فقال شريك: هم الملوك يعزلون ويخلعون- يعرّض أن أباه خلع من ولاية العهد.
وذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى أن المفضّل الضبىّ الرواية وهب لبعض جيرانه أيام الأضحى أضحيّة، فلما لقيه قال: كيف وجدت أضحيّتك؟ قال: ما وجدت لها دما، يعرّض بقول الشاعر:
ولو ذبح الضبىّ بالسّيف لم تجد ... من اللّؤم للضّبىّ لحما ولا دما
وروى عن المأمون أنه قال: ما أعيانى جواب أحد قطّ مثل جواب ثلاثة: أحدهم أمّ الفضل بن سهل، فإنى عزّيتها عن ابنها وقلت: لئن جزعت على الفضل لأنه ولدك، فها أنا ذا ابنك مكانه/، فقالت: وكيف لا أجزع على من جعل مثلك لى ولدا. والثانى رجل أحضرته يزعم أنّه نبى الله موسى عليه السلام، فقلت له: إن الله تعالى أخبرنا عن موسى أنّه يدخل يده فى جيبه فيخرجها بيضاء من غير سوء، فقال: متى فعل ذلك موسى؟
أليس بعد أن لقى فرعون! فاعمل كما عمل فرعون، حتى أعمل كما عمل موسى. والثالث أن جماعة من أهل الكوفة اجتمعوا إلى يشكون عاملها، فقلت: ارضوا بواحد أسمع منه، فرضوا برجل منهم، فقال فى العامل وأكثر؛ فقلت له: كذبت! بل هو العفيف الورع العدل؛ فذهب أصحابه يتكلمون فسكّتهم ثم قال: صدقت يا أمير المؤمنين، هو كما ذكرت، فواس بين رعيتك فى العدل، فصرفته

عنهم.
ودخل عدىّ بن حاتم بن عبد الله الطائىّ على معاوية، فقال له معاوية: ما فعل الطّرفات؟

يعنى طريفا (1) وطرافا وطرفة، قال: قتلوا مع عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقال له: ما أنصفك ابن أبي طالب، قدّم بنيك، وأخّر بنيه، فقال عدىّ: ما أنصفته (2) أنا، أن قتل (3) وبقيت.
وكتب رجل إلى صديق له يقترض منه شيئا، فأجابه يشكو ضيق حاله، فكتب إليه: «إن كنت كاذبا فجعلك الله صادقا، وإن كنت صادقا فجعلك الله كاذبا، وإن كنت معذورا فجعلك الله ملوما، وإن كنت ملوما فجعلك الله
معذورا».
وسمع الأحنف رجلا يقول: ما أحلم معاوية! فقال: لو كان حليما ما سفه الحقّ.
ووصفه رجل عند الشعبىّ بالحلم، فقال الشّعبىّ: ويحك! وهل أغمد سيفه وفى قلبه على أحد شيء!
وقال زياد لرجل حضره: أين منزلك؟ فقال: وسط البصرة، قال: فما لك من الولد؟
قال: تسعة، فقيل لزياد إن داره أقصى البصرة عند المقابر، وله ابن واحد، فقال الرجل:
دارى بين أهل الدنيا والآخرة، فهى وسط البصرة، وكان لى عشر بنين فقدّمت تسعة، فهم لى، وبقى واحد لا أدرى؛ أهو لى أم أنا له!
وقال رجل لابن سيرين: إنّى وقعت فيك فاجعلنى فى حلّ، فقال: ما أحبّ أن أحلّك ممّا حرّم الله عليك.
وخطب الحجاج يوم جمعة فأطال، فقال له رجل: إنّ الصلاة لا تنتظرك، وإن الله لا يعذرك، فأمر به فحبس، فجاءه أهله فشهدوا أنّه مجنون، فقال: إن أقرّ بالجنون أطلقته، فقيل له: اعترف بذلك وتخلّص، فقال: والله لا أقول/ إنّه ابتلانى وقد عافانى.
وحدّث الحسن البصرىّ بحديث فقال له رجل: يا أبا سعيد، عمّن؟ فقال: وما تصنع ب «عمّن»؟ أما أنت فقد نالتك عظته، وقامت عليك حجته.

---

(1) من نسخة بحاشيتى الأصل، ت: «طريفا»، بفتح أوله وكسر ثانيه.
(2) حاشية ت (من نسخة): «بل ما أنصفته».
(3) حاشية ت (من نسخة): «إذ قتل».

وقيل لعبد الله بن جعفر– ونظر إليه يماكس فى درهم– فقيل له: أتماكس فى درهم وأنت تجود بما تجود به! فقال: ذاك مالى جدت به، وهذا عقلى بخلت به.

[من أجوبة أبي العيناء المسكتة:]

وروى أنّ أبا العيناء محمد بن القاسم اليمامىّ حدّث بعض الزبيريين (1) بفضائل أهله (2) فقال له: الزّبيرىّ (3): أتجلب التمر إلى هجر (4)! فقال له أبو العيناء: نعم، إذا أجدبت أرضها، وعاوم (5) نخلها؛ وكان أبو العيناء من أحضر الناس جوابا، وأجودهم بديهة، وأملحهم نادرة.

وروى (6) الصولىّ عن أبي العيناء قال: لما دخلت (7) على المتوكل دعوت له، وكلّمته، فاستحسن خطابى، وقال لى: يا محمد، بلغنى أنّ فيك شرّا، فقلت: يا أمير المؤمنين، إن يكن الشرّ ذكر المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، فقد زكّى الله تعالى وذم، فقال فى التزكية: نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ؛ [ص: 30، 44]، وقال فى الذم: هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ. مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ. عُتُلٍّ بَعْدَ ذلِكَ زَنِيمٍ؛ [القلم: 11 – 13]، فذمّه الله تعالى حتى قذفه (8)، وقد قال الشاعر:

إذا أنا بالمعروف لم أثن دائبا ... ولم أذمم الجبس اللّئيم المذمّما (9)

ففيم عرفت الخير والشّرّ باسمه ... وشقّ لى الله المسامع والفما!

وإن كان الشرّ كفعل العقرب يلسع النبيّ والذّمى بطبع لا يتميز؛ فقد صان الله عبدك عن ذلك.

---

(1) حاشية ت (من نسخة): «الزهريين».

(2) ت: «بحديث فى فضائل أهله.

(3) حاشية ت (من نسخة): «الزهرى».

(4) هجر: مدينة واقعة على جبال العارض ببلاد العرب؛ وكانت قاعدة البحرين.

(5) المعاومة: أن تحمل النخلة سنة ولا تحمل أخرى.

(6) ت: «فحكى عن الصولى».

(7) حاشية (من نسخة): «أدخلت».

(8) ت: «قرفه»، والقذف والقرف: ذكر المرء بالسوء.

(9) البيتان فى أمالى القالى 2: 159؛ رواهما عن أبى العالية الرياحى.

[وروى أنه قال له يوما: إلى كم تمدح الناس وتذمّهم؟ فقال: ما أحسنوا وأساءوا] (1).

وروى أن المتوكّل قال له يوما: إنّى لأفرق من لسانك، فقال له: إنّ الشريف فروقة ذو إحجام، وإن اللئيم ذو أمنة وإقدام.

وقال له يوما– وقد دخل عليه: اشتقتك والله يا أبا العيناء، فقال له يا سيّدى؛ إنّما يشتد الشوق على العبد لأنه لا يصل إلى مولاه، فأمّا السّيّد فمتى أراد عبده دعاه.

وروى أنه قال له يوما: ما بقى أحد فى مجلسى إلا اغتابك وذمّك– عند ما جرى من (2) ذكرك–

غيرى، فقال أبو العيناء:
/ إذا رضيت عنّى كرام عشيرتى ... فلا زال غضبانا عليّ لئامها
وذكر أبو العيناء قال: قال لى المتوكل: كيف ترى دارى هذه؟ فقلت: رأيت الناس بنوا دورهم فى الدنيا، وأمير المؤمنين جعل الدّنيا فى داره.
وقال أبو العيناء: قال لى المتوكل: من أسخى من رأيت؟ ومن أبخل من رأيت؟
فقلت: ما رأيت أسخى من أحمد بن أبى دؤاد، ولا أبخل من موسى بن عبد الملك؛ قال: وكيف وقفت على بخله؟ فقلت: رأيته يحرم القريب كما يحرم البعيد، ويعتذر من الإحسان (3)؛ كما يعتذر من الإساءة؛ فقال: أجئت إلى من اطّرحته فسخيته، وإلى من أمسكته فبخّلته! فقلت: يا أمير المؤمنين، إنّ الصدق ما هو فى موضع من المواضع أنفق منه بحضرتك، والناس يغلطون فيمن ينسبونه إلى السخاء؛ فإذا نسب الناس السخاء إلى البرامكة، فإنما ذاك من سخاء أمير المؤمنين الرشيد، وإذا نسب الناس الحسن ابن سهل، والفضل بن سهل إلى السخاء، فإنما ذاك سخاء أمير المؤمنين المأمون، وإذا نسبوا أحمد بن أبى دؤاد إلى السخاء فذاك سخاء أمير المؤمنين المعتصم، وإذا نسبوا الفتح بن خاقان

---

(1) ساقط من م.
(2) ف: «عند ما جرى ذكرك».
(3) حاشية ت: «يعنى أن إحسانه يكون ساقطا يحتاج إلى العذر».

وعبيد الله بن يحيى إلى السخاء فإنما هو سخاؤك؛ وإلّا فما بال هؤلاء القوم لم ينسبوا إلى السخاء قبل صحبتهم الخلفاء (1)! فقال لى: صدقت، وسرّى (2) عنه.
وقال له المتوكل: ما أشدّ عليك من ذهاب البصر؟ فقال له: فقد رؤيتك؛ مع إجماع الناس على جمالك.
وقال له يوما: أريدك لمجالستى، قال: لا أطيق ذاك، وما أقول هذا جهلا بما لى فى هذا المجلس من الشرف، ولكن أنا رجل محجوب، والمحجوب تختلف إشارته، ويخفى عليه إيماؤه، ويجوز عليّ أن أتكلّم بكلام غضبان ووجهك راض، وبكلام راض ووجهك غضبان، ومتى لم أميّز بين هاتين (3) هلكت؛ فقال: صدقت.
وروى أنه قال له: لولا أنّك ضرير لنادمتك، فقال: إن أعفيتنى من رؤية الأهلّة، وقراءة نقش الخواتيم فإنى أصلح.
وقال المتوكل: ما تقول فى ابن مكرم والعباس بن رستم؟ فقال: هما الخمر والميسر، وإثمهما أكبر من نفعهما، فقال: بلغنى أنك تودّهما، فقال: لقد ابتعت الضّلال بالهدى، والعذاب بالمغفرة.
وقال له يوما: بلغنى أن سعيد بن عبد الملك يضحك منك، فقال: إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ؛ [المطففين: 29] وقال أبو العيناء: قال لى المنصور:

ما أحسن (4) الجواب؟ فقلت: ما أسكت المبطل، وحيّر المحق.
/ وقيل لأبي العيناء: إبراهيم بن نوح النصرانيّ عليك عاتب، فقال: وَلَنْ تَرْضى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصارى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ؛ [البقرة: 120]. ورآه زرقان وهو يضاحك

(1) حاشية ت (من نسخة): «للخلفاء».
(2) حاشية ف: «قوله: سرى عنه؛ من قولهم: سروت عنى الدرع، أى كشفتها، وسرى عنه الثوب: كشفه، وانسرى عنه الهم، وسرى عنه الهم».
(3) حاشية ت (من نسخة): «هذين».
(4) حاشية ت (من نسخة): «خير الجواب».

نصرانيا فقال: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصارى أَوْلِياءَ؛ [المائدة: 51]، فقال أبو العيناء لا يَنْهاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ؛ [الممتحنة: 8].
وأخبرنا أبو الحسن عليّ بن محمد الكاتب قال أخبرنى محمد بن يحيى الصولىّ قال أخبرنا أبو العيناء قال: كان سبب اتصالى بأحمد بن أبي دؤاد أنّ قوما من أهل البصرة عادونى وادّعوا عليّ دعاوى كثيرة؛ منها أنّى رافضىّ، فاحتجت إلى أن خرجت عن البصرة إلى سرّ من رأى، وألقيت نفسى على ابن أبي دؤاد– وكنت نازلا فى داره، أجالسه كلّ يوم– وبلغ القوم خبرى، فشخصوا نحوى إلى سرّ من رأى، فقلت له: إنّ القوم قد قدموا من البصرة يدا عليّ، فقال: يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ، فقلت: إنّ لهم مكرا، فقال: وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ؛ [الأنفال: 30]، فقلت: هم كثيرون قال: كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ؛ [البقرة: 249]، فقلت: لله درّ القاضى! هو والله كما قال الصّموت الكلابىّ:

لله درّك أىّ جنّة خائف ... ومتاع دنيا أنت للحدثان (1)
متخمّط تطأ الرّجال غلبة ... وطء الفنيق دوارج القردان (2)
وتركتهم حتّى كأنّ رءوسهم ... مأمومة تنحطّ للغربان (3)
وتفرّج الباب الشّديد رتاجه ... حتّى يصير كأنّه بابان

وقال لابنه الوليد: اكتب هذه الأبيات، فكتبها بين يديه.
– قال الصولىّ: حفظى من أبي العيناء الصّموت الكلابىّ على أنه رجل، وقال وكيع؛ حفظى أنها للصّموت الكلابية على أنها امرأة–
ودخل أبو العيناء على الحسن بن سهل، فأثنى عليه، فأمر له بعشرة آلاف درهم، وقال:

(1) ديوان المعانى 1: 68.
(2) التخمط: الأخذ والقهر بغلبة؛ وغلبة مصدر غلب كثير الغلبة، والفنيق الجمل الفحل، ودوارج: جمع دارج.

(3) د، ف حاشية ت (من نسخة):
«وتكبهم» والمأمومة: المشجوجة.

والله ما أستكثر كثيرك أيها الأمير، ولا أستقلّ قليلك، قال: وكيف ذاك؟ قال: لا أستكثر كثيرك لأنك أكثر منه، ولا أستقل قليلك لأنه أكثر من كثير غيرك (1).
وقال له عبيد الله بن يحيى بن خاقان يوما: اعذرنى فإنى مشغول (2)، فقال: إذا فرغت لم أحتج إليك. وقال له يوما: قد تبينت/ فيك الغضب يا أبا عبد الله، فقال له: قد أجلّ الله قدرك من غضبى، إنما يغضب الرجل على من دونه؛ فأما من فوقه فلا، ولكن أحزننى تقصيرك؛ فسمّيت حزنى غضبا.
ويقال إن صاعد بن مخلد كان من أحسن من أسلم دينا، وأكثرهم صلاة وصدقة، فصار إلى بابه أبو العيناء مرات كثيرة بعقب إسلامه فحجب وقيل له: هو مشغول فى صلاته، فقال أبو العيناء: لكل جديد لذة.
ودخل يوما إلى أبى الصقر إسماعيل بن بلبل فى وزارته، فقال له: يا أبا عبد الله، [ما أخّرك عنّا] (3)؟ فقال: سرق حمارى، فقال: وكيف سرق؟ قال: لم أكن مع الّذي سرقه فأخبر بما كان، قال له: هلّا اكتريت أو استعرت أو اشتريت؟ قال: قعد بى عن الشراء نشبى (4)، وكرهت منّة العوارى، وذلّة المكارى، فوهب له حمارا ووصله. وأدناه أبو الصّقر يوما ورفعه فقال: تدنينى حتّى كأنى بعضك، وتبعدنى حتى كأنى ضدّك.
وقال يوما لعبيد الله بن سليمان أيضا- وقد رفعه: إلى كم ترفعنى ولا ترفع بى رأسا! وقال له يوما- وقد سأله عن حاله: أنا معك (5) مغبوط الظاهر، محروم الباطن.

---

(1) حواشى الأصل، ت، ف: «نظم البحترى هذا المعنى فقال
كثير نوالك فى جنب ما ... جبلت عليه من الجود نزر
ونزر نوالك فى جنب ما ... يجود به سائر النّاس غمر.
(2) ت: «فإنى عنك مشغول».
(3) حاشية ت (من نسخة): «يا أبا عيناء ما أخرك بالله؟ ».
(4) حاشية ت (من نسخة): «عدمى».
(5) ت: «أنابك».

ويقال: إن أبا عليّ البصير قال لأبي العيناء- وكانت بينهما ملاحاة معروفة: في أيّ وقت ولدت؟ فقال له: قبل طلوع الشمس، فقال أبو عليّ: لذلك خرجت شحاذا سائلا، لأنه الوقت الّذي ينتشر فيه السؤال.

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزبانيّ قال أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ قال حدثني أبو العيناء قال: ما رأيت قطّ أحسن شاهدا عند حاجة من ابن عائشة! قلت له: يوما كان أبو عمرو المخزوميّ يقصدك ثم جفاك، فقال:

فإن تنأ عنّا لا تضرنا وإن تعد ... تجدنا على العهد الّذي كنت تعلم

وقال: والله لا أدري لمن هذا البيت، فقلت: إنّ ابن سلّام روى عن يونس أن الفرزدق لما قال:

تصرّم مني ودّ بكر بن وائل ... وما خلت دهرى ودّهم يتصرّم (1)

قوارص تأتيني فيحتقرونها ... وقد يملأ القطر الإناء فيفعم (2)

وكان قد نزل عليهم حين هرب من زياد، فقال جرير بن خرقاء العجليّ (3) يجيبه:

/ لقد بوّأتك الدّار بكر بن وائل ... وردّت لك الأحشاء إذ أنت مجرم (4)

---

(1) ديوانه: 756، وطبقات الشعراء 302، والكامل- بشرح المرصفى، 1: 127، والمؤتلف والمختلف: 71 وتصرم الشيء: تقطع.

(2) قوارص: جمع قارصة؛ وهى الكلمة المؤذية.

فعم الإناء يفعمه فعما: ملأه وبالغ فى ملئه.

(3) ذكره ابن سلام فى ص 259 بنسبة «البكرى»، وفى ص 303 بكنية «أبى العطاف».

(4) فى الطبقات: «لقد وسطتك»، وقبله:

لعمرى لئن كان الفرزدق عاتبا ... وأحدث صرما، للفرزدق أظلم

وفى حاشية الأصل: «يعنى كنت خائفا غاية الخوف فأمنوك»، ورواية الطبقات:

لقد وسّطتك الدّار بكر بن وائل ... وضمتك للأحشاء إذ أنت مجرم

ليال تمنّى أن تكون حمامة ... بمكّة يغشاها السّتار المحرّم (1)

فإن تنأ عنّا لا تضرنا وإن تعد ... تجدنا على العهد الّذي كنت تعلم

فقال ابن عائشة: أنت والله يا بنيّ ممن ستصدق فى العلم مخائله، وتكثر عليه دلائله.

وقال أبو العيناء يوما لأبي الصقر بن بلبل وهو زائر: أنت والله تقرب منا إذا احتجنا إليك، وتبعد منا إذا احتجت إلينا.

[موازنة بين شعر لإبراهيم بن العباس الصولى وأوس بن حجر:]

قال سيدنا الشريف أدام الله علوّه: وهذا يشبه قول إبراهيم بن العباس الصوليّ:

ولكنّ الجواد أبا هشام ... وفى العهد مأمون المغيب (2)

بطيء عنك ما استغنيت عنه ... وطلّاع عليك مع الخطوب

ولعلّه مأخوذ منه، فليس ينكر ذلك، لأنّهما وإن اجتمعا فى زمان واحد فى بعض الأوقات؛ فإن أبا العيناء بقى بعد إبراهيم زمانا طويلا؛ لأن إبراهيم توفّى فى سنة ثلاث وأربعين ومائتين، وأبا العيناء سنة اثنتين أو ثلاث وثمانين ومائتين، وما حكيناه عنه من الكلام قاله لأبى الصقر فى وزارته، وكانت بعد وفاة إبراهيم بن العباس الصولىّ بزمان طويل.

ويوشك بيتا إبراهيم أن يكونا مأخوذين من قول أوس بن حجر:

وليس أخوك الدّائم العهد بالذى ... يذمّك إن ولى ويرضيك مقبلا (3)

ولكنّه النّائى إذا كنت آمنا ... وصاحبك الأدنى إذا الخطب أعضلا

ولإبراهيم بن العباس ما يقارب هذا المعنى أيضا، وهو:

أسد ضار إذا هيّجته ... وأب برّ إذا ما قدرا (4)

يعلم الأبعد إن أثرى ولا ... يعلم الأدنى إذا ما اقترا (5)

---

(1) الستار المحرم: هو ستار الكعبة.

(2) ديوانه: 129 (ضمن مجموعة الطرائف).

(3) ديوانه: 22.

(4) ديوانه: 133؛ (ضمن مجموعة الطرائف).

(5) ت: «افتقرا»؛ وهى رواية الديوان.

ويشبه أن يكون هذا مأخوذا من قول المرّار الفقعسيّ:

/ إذا افتقر المرّار لم ير فقره ... وإن أيسر المرّار أيسر صاحبه (1)

ومما يشبه قول المرّار بعينه قول إبراهيم بن العباس أيضا:

فتى غير محجوب عن العين عرضه ... ولا مظهر البلوى إذا النّعل زلّت (2)

رأى خلّة من حيث يخفى مكانها ... فكانت قذى عينيه حتّى تجلّت

[أبيات للمتنخل الهذلى وشرح ما ورد فيها من الغريب:]

أو من قول المتنخّل الهذلىّ:

أبو مالك قاصر فقره ... على نفسه ومشيع غناه (3)

وهذا البيت الّذي رويناه للهذلىّ من جملة أبيات يرثى بها المتنخّل أباه- وقيل يرثى أخاه، وأولها:

لعمرك ما إن أبو مالك ... بوان ولا بضعيف قواه (4)

ولا بألدّ له نازع ... يغارى أخاه إذا ما نهاه (5)

- فمعنى «له نازع» أى خلق سوء ينزعه. ويغارى، أى يلاحى ويشارّ-

ولكنّه هيّن ليّن ... كعالية الرّمح عرد نساه

– العرد: الشديد؛ يقال: وتر عردّ وعرند، وعرندد بالنون، أى شديد. والنّسا: عرق معروف–

إذا سدته سدت مطواعة ... ومهما وكلت إليه كفاه

معنى «سدته» من المساودة، التى هى المسارّة، والسّواد هو السّرار أيضا، كأنه قال:

---

(1) معجم الشعراء: 408.

(2) ديوانه: 130؛ وانظر تخريج البيتين فى الحواشى.

(3) ديوان الهذليين 2: 29 – 39.

(4) شرح ديوان الهذليين: «ويروى: بواه ولا بضعيف»، وهو الأجود عند أبى العباس.

(5) ألد: شديد الخصومة، وفى حواشى الأصل، ت، ف: «غاريت بين الشيئين؛ إذا واليت بينهما، قال كثير:

إذا قلت أسلو فاضت العين بالبكا ... غراء ومدّها مدامع حفّل

قال أبو عبيد: هو من غرى بالشيء يغرى به».

إذا ساررته طاوعك وساعدك. وقال قوم: إنّه من السيادة، وكأنه أراد: إذا كنت فوقه سيدا له أطاعك ولم يحسدك، وإن وكلت إليه شيئا كفاك، وقوم ينشدونه:

* إذا سسته سست مطواعة*

– ولم أجد ذلك فى رواية–

ألا من ينادى أبا مالك ... أفي أمرنا هو أم فى سواه؟

أبو مالك قاصر فقره ... على نفسه ومشيع غناه

22 مجلس آخر [المجلس الثاني والعشرون:]

تأويل آية [: سَأَصْرِفُ عَنْ آياتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِ]

/ إن سأل سائل عن قوله تعالى: سَأَصْرِفُ عَنْ آياتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ، وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِها، وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا، وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا؛ ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَكانُوا عَنْها غافِلِينَ؛ [الأعراف: 146].

فقال: ما تأويل هذه الآية على ما يطابق العدل؟ فإنّ ظاهرها كأنه مخالف له.

الجواب، قيل له: فى هذه الآية وجوه؛ منها ما ابتدأناه فيها، ومنها ما سبقنا به فحرّرناه، واحترزنا فيه من المطاعن، وأجبنا عمّا لعله يعترض (1) فيه من الشّبه.

أولها أن يكون تعالى عنى بذلك صرفهم عن ثواب النظر فى الآيات، وعن العزّ والكرامة اللذين يستحقّهما من أدّى الواجب عليه فى آيات الله تعالى وأدلّته، وتمسّك بها.
والآيات على هذا التأويل يحتمل أن تكون سائر الأدلة، ويحتمل أن تكون معجزات الأنبياء عليهم السلام خاصة؛
وهذا التأويل يطابقه الظاهر؛ لأنه تعالى قال: ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَكانُوا عَنْها غافِلِينَ؛ فبيّن أنّ صرفهم عن الآيات مستحقّ (2) بتكذيبهم، ولا يليق ذلك إلّا بما ذكرناه.
وثانيها أن يصرفهم (3) تعالى عن زيادة المعجزات التى يظهرها (4) الأنبياء عليهم السلام

---

(1) حاشية ت (من نسخة) «يعرض».
(2) ف: «يستحق».
(3) ت: «أنه أراد صرفهم».
(4) ت، ف، حاشية الأصل (من نسخة): «يظهرها على الأنبياء».

بعد قيام الحجة بما تقدّم من آياتهم ومعجزاتهم؛ لأنّه تعالى إنما يظهر هذا الضرب من المعجزات إذا علم أنّه يؤمن عنده من لم يؤمن بما تقدم من الآيات، فإذا علم خلاف ذلك لم يظهرها، وصرف الذين علم من حالهم أنهم لا يؤمنون عنها، ويكون الصّرف على أحد وجهين: إمّا بألّا يظهرها جملة، أو بأن يصرفهم عن مشاهدتها، ويظهرها بحيث ينتفع بها غيرهم.
فإذا قيل: وما الفرق فيما ذكرتموه بين ابتداء المعجزات، وبين زيادتها؟ قلنا: الفرق بينهما أن المعجز الأوّل يجب إظهاره لإزاحة العلّة فى التكليف؛ ولأنّا به نعلم صدق الرسول المؤدّى إلينا ما فيه لطفنا ومصلحتنا.
فإذا كان التكليف يوجب تعريف (1) المصالح والألطاف لتنزاح العلّة، وكان لا سبيل إلى معرفتها على الوجه الّذي تكون عليه لطفا إلّا من قبل الرسول، وكان لا سبيل إلى العلم بكونه رسولا إلّا من جهة/ المعجز وجبت بعثة الرسول وتحميله ما فيه مصلحتنا من الشرائع، وإظهار المعجز على يده لتعلّق هذه الأمور بعضها ببعض، ولا فرق فى هذا الموضع بين أن يعلم أنّ المبعوث إليهم الرسول، أو بعضهم يطيعون ويؤمنون، وبين ألّا يعلم ذلك فى وجوب البعثة، وما يجب بوجوبها، لأنّ تعريف المصالح مما يقتضيه التكليف العقليّ الّذي لا فرق فى حسنه بين أن يقع عنده الإيمان أو لا يقع؛
وليس هذه سبيل ما يظهر من المعجزات بعد قيام الحجة بما تقدم منها؛ لأنّه متى لم ينتفع بها منتفع، ويؤمن عندها من لم يؤمن لم يكن فى إظهارها فائدة، وكانت عبثا؛ فافترق الأمران.
فإن قيل: كيف يطابق هذا التأويل قوله: ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَكانُوا عَنْها غافِلِينَ، ومن المعلوم أنّ صرفهم عن الآيات لا يكون مستحقا بذلك؟ قلنا: يمكن أن يكون قوله تعالى: ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآياتِنا لم يرد به تعليل قوله: سَأَصْرِفُ، بل يكون كالتعليل لما هو أقرب إليه فى ترتيب الكلام، وهو قوله تعالى: وَإِنْ يَرَوْا كُلَ

(1) من نسخة بحواشى الأصل، ت، ف: «تعريفنا».

آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِها، وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا، وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا، لأنّ من كذب بآيات الله جل وعزّ؛ وغفل عن تأمّلها والاهتداء بنورها ركب الغىّ، واتخذه سبيلا، وحاد عن الرشد وضل ضلالا بعيدا. ورجوع لفظة ذلِكَ إلى ما ذكرناه أشبه بالظاهر من رجوعها إلى قوله: سَأَصْرِفُ؛ لأنّ رجوع اللفظ (1) فى اللغة إلى أقرب المذكورين إليه أولى.

ويمكن أن يكون قوله تعالى: كَذَّبُوا وإن كان بلفظ الماضى المراد به الاستقبال، ويكون وجهه أن التكذيب لما كان معلوما منهم لو أظهرت لهم الآيات جعل ذلك كأنه [واقع، فبنى الخطاب عليه؛ ولهذا نظائر فى اللغة كثيرة. أو يكون جوابا لمحذوف؛ كأنه] (2) قال:

ذلك بأنه متى ما أظهرنا لهم آياتنا كذبوا بها. ويجرى ما ذكرناه (3) أولا مجرى قوله تعالى: وَنادى أَصْحابُ النَّارِ أَصْحابَ الْجَنَّةِ فى أنه بلفظ الماضى والمعنى الاستقبال.

وثالثها أن يكون معنى سَأَصْرِفُ عَنْ آياتِيَ، أى لا أوتيها (4) من هذه صفته، وإذا [صرفهم عنها فقد صرفها عنهم] (5)، وكلا اللَّفظين (6) يفيد معنى واحدا. وليس لأحد أن يقول هلّا قال: «سأصرف آياتى عن الذين يتكبرون»؛ والآيات هاهنا هى المعجزات التى تختص بها الأنبياء.

/ فإن قيل: فأىّ فائدة فى قوله على سبيل التعليل (7): ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآياتِنا وأىّ معنى لتخصيصه الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق، وهو لا يؤتى الآيات والمعجزات إلّا الأنبياء دون غيرهم، وإن كان ممن لا يتكبر؟ قلنا: لخروج الكلام مخرج التعليل على هذا التأويل وجه صحيح؛ لأن من كذّب بآيات الله لا يؤتى معجزاته (8) لتكذيبه وكفره،

(1) ت، وحاشية ف (من نسخة): «اللفظة».
(2) ساقط من م.
(3) ت: «ويجرى ذلك».
(4) من نسخة بحاشيتى الأصل، ت: «لا أريها».
(5) من نسخة بحاشيتى الأصل، ف: «وإذا صرفتهم عنها فقد صرفتها عنهم».
(6) من نسخة بحواشى الأصل، ت. ف: «كلتا اللفظتين».
(7) حاشية الأصل (من نسخة): «التحصيص».
(8) ت، ف «لا يؤتى آياته ومعجزاته».

وإن كان قد يكون غير مكذّب، ويمنع من إتيانه الآيات علّة أخرى (1)؛ فالتكبر والبغى بغير الحق مانع من إيتاء الآيات، وإن منع غيره. ويجرى هذا مجرى قول القائل: أنا لا أودّ فلانا لغدره، ولا يلزم إذا لم يكن غادرا أن يودّه، لأنه ربما خلا من الغدر وحصل على صفة أخرى تمنع من مودته.
ويجوز أيضا أن تكون الآية خرجت على ما يجرى مجرى السبب، وأن يكون بعض الجهال فى ذلك العصر اعتقد جواز ظهور المعجزات على يد الكفار المتكبرين (2)، فأكذبهم الله تعالى بذلك.
ورابعها أن يكون المراد بالآيات العلامات التى يجعلها الله تعالى فى قلوب المؤمنين؛ ليدلّ بها الملائكة على الفرق بين المؤمن والكافر، فيفعلوا بكل واحد منهما ما يستحقه من التعظيم أو الاستخفاف، كما تأول أهل الحق الطبع والختم اللذين ورد بهما القرآن على أن المراد بهما العلامة المميّزة بين الكافر والمؤمن؛ فيكون معنى سأصرفهم عنها، أى أعدل بها عنهم (3)، وأخصّ بها المؤمنين المصدقين بآياتى وأنبيائى (4). وهذا التأويل يشهد له أيضا قوله تعالى:
ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَكانُوا عَنْها غافِلِينَ؛ لأنّ صرفهم عن هذه الآيات كالمستحقّ لتكذيبهم وإعراضهم عن آياته تعالى.
وخامسها أن يريد تعالى: أنى أصرف من رام المنع من أداء آياتى وتبليغها؛ لأنّ من الواجب على الله تعالى أن يحول من بين رام ذلك وبينه؛ ولا يمكّن منه؛ لأنه ينقض الغرض فى البعثة. ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى: وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ؛ فتكون الآيات هاهنا القرآن وما جرى مجراه من كتب الله تعالى التى تحمّلتها (5) الرسل.
والصرف وإن كان متعلقا فى الآية بنفس الآيات فقد يجوز أن يكون المعنى متعلّقا [فى الآية/ بنفس الآيات، فقد يجوز أن يكون المعنى متعلقا بغيرها] (6) مما هو متعلق بها. فإذا ساغ

---

(1) فى حاشيتى ت، ف: «يعنى وإن كان غير التكذيب أيضا مانعا».
(2) ت: «المذكورين»، ومن نسخة بحاشية ت: «المكذبين».
(3) ف، ونسخة بحاشية ت: «أى أعدل بهم عنها».
(4) من نسخة بحاشيتى الأصل، ت:
«وبيناتى».
(5) ت، وحاشية ف (من نسخة): «تحملها».
(6) ساقط من م.

أن نعلقه بالثواب والكرامة المستحقين على التمسك بالآيات ساغ أن نعلّقه بما يمنع من تبليغها وأدائها وإقامة الحجة بها. وعلى هذا التأويل لا نجعل قوله تعالى: ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآياتِنا راجعا إلى سَأَصْرِفُ بل نردّه إلى ما هو قبله بلا فصل؛ من قوله تعالى:
وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا على ما بيّناه فى الوجه الثانى، من تأويل هذه الآية.
وسادسها أن يكون الصرف هاهنا الحكم والتسمية والشهادة، ومعلوم أن من شهد على غيره

بالانصراف عن شيء جائز (1) أن يقال: صرفه عنه، كما يقال: [أكفره وكذّبه وفسّقه] (2)؛ وكما قال جلّ من قائل: ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ؛ أى شهد عليها بالانصراف عن الحق والهدى، وكقوله تعالى: فَلَمَّا زاغُوا أَزاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ؛ وهذا التأويل طابقه قوله تعالى: ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَكانُوا عَنْها غافِلِينَ؛ لأنّ الحكم عليهم [بما ذكرنا من التسمية موجب تكذيبهم وغفلتهم] (3) عن آيات الله وإعراضهم عنها.

وسابعها أنه تعالى لمّا علم أن الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق سينصرفون عن النظر فى آياته، والإيمان بها إذا أظهرها على أيدى رسله عليهم السلام جاز أن يقول:

سَأَصْرِفُ عَنْ آياتِيَ فيريد سأظهر ما ينصرفون بسوء اختيارهم عنه. ويجرى ذلك مجرى قولهم: سأبخّل فلانا وأخطّئه، أى أسأله ما يبخل، ببذله وأمتحنه بما يخطئ فيه، ولا يكون المعنى: سأفعل (4) فيه البخل والخطأ. والآيات على هذا الوجه جائز أن تكون المعجزات دون سائر الأدلة الدالة على الله تعالى، وجائز أن تكون جميع الأدلة؛ ويجب على هذا الوجه أن يكون قوله تعالى: ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآياتِنا غير راجع إلى قوله تعالى:

سَأَصْرِفُ؛ بل إلى ما قدمنا ذكره لتصح الفائدة.

---

(1) ف: «جاز».

(2) ت: «كفره وكذبه وفسقه»؛ بالتشديد.

(3) ت، ف: «والتسمية من موجب تكذيبهم وغفلتهم».

(4) ت، وحاشية ف (من نسخة): «أنى أفعل فيه».

وثامنها أن يكون الصّرف هاهنا معناه المنع من إبطال الآيات والحجج، والقدح فيها بما يخرجها عن أن تكون أدلّة وحججا، فيكون تقدير الكلام: إنى بما أؤيّده من حججى، وأحكمه من آياتى وبيناتى؛ صارف للمبطلين والمكذبين عن القدح فى الآيات والدّلالات، ومانع لهم ممّا كانوا لولا/ هذا الإحكام والتأييد يفترضونه ويغتنمونه من تمويههم الحق ولبسه بالباطل. ويجرى هذا مجرى قول أحدنا (1): قد منع فلان أعداءه بأفعاله الكريمة، [وطرائقه المهذّبة، وصرفهم عن ذمّه] (2)، وأخرس ألسنتهم عن الطعن عليه؛ وإنما يريد المعنى الّذي ذكرناه.

فإن قيل: أليس فى المبطلين من طعن على آيات الله تعالى وأورد الشبهة فيها مع ذلك؟

قلنا: لم يرد الله تعالى الصرف عن الطعن الّذي لا يؤثر ولا يشتبه على من أحسن النظر، وإنما أراد ما قدمناه، وقد يكون الشيء فى نفسه مطعونا عليه، وإن لم يطعن عليه طاعن؛ كما قد يكون بريئا من الطعن، وإن طعن فيه بما لم يؤثر؛ ألا ترى أن قولهم: فلان قد أخرس أعداءه عن ذمّه ليس يراد به أنه منعهم عن التلفظ بالذم، وإنما المعنى فيه أنه لم يجعل للذم عليه طريقا ومجالا؛ ويجب على هذا الوجه (3) أن يكون قوله تعالى: ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا يرجع إلى ما قبله بلا فصل، ولا يرجع إلى قوله: سَأَصْرِفُ (4).

وتاسعها أن الله تعالى لما وعد موسى عليه السلام وأمّته إهلاك عدوهم قال: سَأَصْرِفُ عَنْ آياتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ، وأراد جل وعزّ أنه يهلكهم ويصطلمهم ويجتاحهم على طريق العقوبة لهم؛ بما كان منهم من التكذيب بآيات الله تعالى، والردّ لحججه، والمروق عن طاعته، وبشّر من وعده بهذه الحال من المؤمنين بالوفاء

(1) ت: «القائل».
(2) ت، ش: «وطرائقه الممدوحة، وأخلاقه المهذبة من عيبه، وصرفهم عن ذمه».
(3) حاشية ت (من نسخة): «التأويل».
(4) حواشي الأصل، ت، ف: «قريب منه قوله تعالى: وَإِنَّ جُنْدَنا لَهُمُ الْغالِبُونَ؛ ويعترض الآية بأن الحسين عليه السلام جند الله ومع ذلك فقد غلبوا؛ والجواب: إنهم وإن غلبوا فى صورة فإنهم الغالبون حقيقة».

بها، وهو تعالى إذا أهلك هؤلاء الجبّارين المتكبرين، واصطلمهم فقد صرفهم عن آياته، من حيث اقتطعهم عن مشاهدتها، والنظر فيها بانقطاع التكليف عنهم، وخروجهم عن صفات أهله.
وهذا الوجه يمكن أن يقال فيه: إن العقوبة لا تكون إلّا مضادّة للاستخفاف والإهانة، كما أن الثواب لا بدّ أن يكون مقترنا بالتعظيم والتبجيل والإجلال (1)؛ وإماتة الله تعالى الأمم وما يفعله من بوار وإهلاك لا يقترن إليه ما لا بدّ أن يكون مقترنا إلى العقاب من الاستخفاف، ولا يخالف ما يفعله تعالى بأوليائه على سبيل الامتحان والاختبار؛ فكيف يصح ما ذكرتموه! .
ويمكن أن يجاب عن ذلك بأن يقال: لا يمتنع أن يضمّ الله تعالى إلى ما يفعله بهؤلاء الكفار المكذّبين [من الإهلاك والبوار اللعن والذم والاستخفاف] (2)، ويأمرنا [أن نفعل ذلك بهم، فيكون/ ما يقع بهم من الإيلام على وجه العقوبة وبشروطها، ولا يمتنع أن يكون الله تعالى يتعبّد ويأمر بإهلاكهم] (3)، وقتلهم على وجه الاستخفاف والنّكال، ويضيف الله تعالى ذلك إليه من حيث وقع بأمره وعن أذنه.
فإن قيل: ما معنى قوله تعالى: يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ؛ كأنّ فى التكبّر ما يكون بالحق!
قلنا فى هذا وجهان: أحدهما أن يكون ذلك على سبيل التأكيد والتغليظ والبيان عن أنّ التّكبر لا يكون إلا بغير الحق، وأن هذه صفة له لازمة غير مفارقة؛ ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى: وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ لا بُرْهانَ لَهُ بِهِ؛ [المؤمنون: 117]، وقوله تعالى: فَبِما نَقْضِهِمْ مِيثاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآياتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِياءَ بِغَيْرِ حَقٍّ؛ [النساء: 155]، ولم يرد تعالى إلا المعنى الّذي ذكرناه. ومثله قوله تعالى: وَلا تَشْتَرُوا بِآياتِي ثَمَناً قَلِيلًا؛ [البقرة: 41]، ولم يرد النهى عن الثمن القليل دون الكثير، بل

(1) ساقطة من ت.

(2) ت، حاشيتى الأصل، ف: «المكذبين المستحقين للبوار اللعن والذم».
(3) ساقط من م.

(1/314)

أراد تأكيد القول بأن كلّ ثمن يؤخذ عنها يكون قليلا بالإضافة إليها، ويكون المتعوّض به عنها مغبونا مبخوسا خاسر الصفقة.
والوجه الآخر أنّ فى التكبر ما يكون ممدوحا لأنّ من تكبر وتنزّه عن الفواحش والدنايا وتباعد من فعلها، وتجنب أهلها يكون مستحقا للمدح، سالكا لطريق الحقّ؛ وإنما التكبّر المذموم هو الواقع على وجه النّخوة والبغى والاستطالة على ذوى الضّعف والفخر عليهم، والمباهاة لهم، ومن كان بهذه الصفة فهو مجانب للتواضع الّذي ندب الله تعالى إليه، وأرشد إلى الثواب المستحقّ عليه، ويستحق بذلك الذمّ والمقت، فلهذا شرط تعالى أن يكون التكبر
بغير الحق. وقوله تعالى فى هذه السورة: قُلْ إِنَّما حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَما بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ؛ [الأعراف: 33]، يحتمل أيضا هذين الوجهين اللّذين ذكرناهما.
فإن أريد به البغى المكروه الّذي هو الظلم وما أشبهه، كان قوله: بِغَيْرِ الْحَقِّ تأكيدا وإخبارا عن أن هذه صفته، وإن أريد بالبغى الطلب- وذلك هو أصله فى اللغة- كان الشرط فى موضعه؛ لأنّ الطلب قد يكون بالحقّ وبغير الحقّ.
فإن قيل فما معنى قوله تعالى: وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا، وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا/ وهل الرؤية هاهنا العلم والإدراك بالبصر؟ وهب أنها يمكن أن تكون فى قوله تعالى: وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِها محمولة على رؤية البصر، لأن الآيات والأدلة مما يشاهد كيف تحمل الرؤية الثانية على العلم، وسبيل الرشد إنما هى طريقه، ولا يصحّ أن يرجع بها إلى المذاهب والاعتقادات التى لا تجوز عليها رؤية البصر، فلا بد إذا من أن يكون المراد به رؤية العلم؛ ومن علم طريق الرّشد لا يجوز أن ينصرف عنه إلى طريق الغىّ؛ لأن العقلاء لا يختارون مثل ذلك.
قلنا: الجواب عن ذلك من ثلاثة أوجه: أحدها أن يكون المراد بالرؤية الثانية رؤية البصر، ويكون السبيل المذكورة فى الآية هى الأدلة؛ لأنها مما يدرك بالبصر، وتسمّى بأنها سبيل إلى

(1/315)

الرشد، من حيث كانت وصلة إلى الرّشد، وذريعة إلى حصوله، ويكون سبيل الغىّ هى الشبهات والمخاريق التى ينصبها المبطلون والمدغلون فى الدين؛ ليوقعوا بها الشبهة على أهل الإيمان، وتسمّى سبيل الغىّ، وإن كان النظر فيها لا يوجب حصول الغىّ من حيث كان المعلوم ممّن تشاغل بها، واغترّ بأهلها أنه يصير إلى الغىّ.
والوجه الثانى أن يكون المراد بالرؤية العلم؛ إلا أن العلم لم يتناول كونها سبيلا للرّشد، وكونها سبيلا

للغىّ؛ بل يتناولها لا من هذا الوجه؛ ألا ترى أن كثيرا من المبطلين يعلمون مذاهب أهل الحق واعتقاداتهم وحججهم؛ إلا أنهم يجهلون كونها صحيحة مفضية إلى الحق، فيجتنبونها؛ وكذلك يعلمون مذاهب المبطلين واعتقاداتهم الباطلة الفاسدة، إلا أنهم يجهلون كونها باطلة، ويعتقدون صحتها بالشبهة فيصيرون إليها؟ وعلى هذا الوجه لا يجب أن يكون تعالى وصفهم بالعناد وترك الحق مع العلم به.

والوجه الثالث أن يكونوا عالمين بسبيل الرشد والغىّ، ومميزين بينهما؛ إلا أنهم للميل إلى أعراض الدنيا، والذّهاب مع الهوى والشهوات يعدلون عن الرشد إلى الغىّ، ويجحدون ما يعلمون، كما أخبر بها عن كثير من أهل الكتاب بأنهم يجحدون الحقّ وهم يعلمونه ويستيقنونه.

فإن قيل: فما معنى قوله تعالى: ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَكانُوا عَنْها غافِلِينَ، / والتكذيب لا يكون فى الحقيقة إلا فى الأخبار دون غيرها؟

قلنا: التكذيب قد يطلق فى الأخبار وغيرها؛ ألا ترى أنهم يقولون: فلان يكذّب بكذا إذا كان يعتقد بطلانه، كما يقولون: يصدّق بكذا إذا كان يعتقد صحته؟ ولو صرفنا التكذيب هاهنا إلى أخبار الله تعالى التى تضمنتها كتبه الواردة على أيدى رسله عليهم السلام جاز؛ وتكون الآيات هاهنا هى الكتب المنزلة دون سائر المعجزات.

فإن قيل: فما معنى ذمّه تعالى لهم بأنهم كانوا عن الآيات غافلين، والغفلة على مذاهبكم

من فعله، لأنها السهو أو ما جرى مجراه مما ينافى العلوم الضرورية، ولا تكليف على الساهى فكيف يذمّ بذلك؟ .

قلنا: المراد هاهنا بالغفلة التشبيه لا الحقيقة، ووجه التشبيه أنهم لما أعرضوا عن تأمّل آيات الله تعالى، والانتفاع بها أشبهت حالهم حال من كان ساهيا غافلا عنها، فأطلق عليهم هذا القول كما قال تعالى: صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ؛ [البقرة: 18]، على هذا المعنى، وكما يقول أحدنا لمن يستبطئه ويصفه بالإعراض عن التأمل والتبيّن: أنت ميّت وراقد، ولا تسمع، ولا تبصر، وما أشبه ذلك، وكل هذا واضح بحمد الله.

تأويل خبر [: «إنّ قلوب بنى آدم كلّها بين إصبعين من أصابع الرّحمن]

إن سأل سائل عن الخبر المروىّ عن عبد الله بن عمر أنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: «إنّ قلوب بنى آدم كلّها بين إصبعين من أصابع الرّحمن، يصرّفها كيف شاء» (1) ثم يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله عند ذلك: «اللهم مصرّف القلوب، صرّف (2) قلوبنا إلى طاعتك».

وعما يرويه أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما من قلب آدميّ إلّا وهو بين إصبعين

من أصابع الله تعالى، فإذا شاء أن يثبّته ثبّته، وإن شاء أن يقلّبه قلّبه». وعمّا يرويه ابن حوشب قال: قيل (3) لأم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله:
ما كان أكثر دعاء النبيّ صلى الله عليه وآله؟ قالت: كان أكثر دعائه: «يا مقلّب القلوب، ثبّت قلبي على دينك»، قالت: قلت: يا رسول الله، ما أكثر دعاءك (4): «يا مقلّب القلوب، ثبّت قلبي على دينك»! فقال: «يا أمّ سلمة، ليس من آدميّ إلا وقلبه بين إصبعين من أصابع الله، ما شاء أقام، وما شاء أزاغ».
فقال: ما تأويل/ هذه الأخبار على ما يطابق التوحيد وينفي التشبيه؟ أوليس من مذهبكم أنّ الأخبار التي يخالف ظاهرها الأصول، ولا تطابق العقول لا يجب ردّها، والقطع على كذب رواتها (5) إلّا بعد ألّا يكون لها في اللغة مخرج ولا تأويل؟ وإن كان لها ذلك فباستكراه أو تعسّف، ولستم ممّن يقول ذلك في مثل هذه الأخبار، فما تأويلها؟ .
الجواب، إنّ الّذي يعوّل عليه من تكلّم في تأويل هذه الأخبار هو أن يقول: إن الإصبع في كلام العرب وإن كانت الجارحة المخصوصة فهي أيضا الأثر الحسن؛ يقال: لفلان على ماله وإبله إصبع حسنة؛ أي قيام وأثر حسن؛ قال الراعي يصف راعيا حسن القيام على إبله:

---

(1) ف، حاشية ت (من نسخة): «يشاء».
(2) ت، ف، حاشية الأصل (من نسخة) «اصرف».
(3) ت، ف: «قلت لأم سلمة».
(4) ت، د، ف: «أكثر دعائك».
(5) ج، ش: «كذب راويها»، ت، ف «كذبها».

ضعيف العصا بادي العروق ترى له ... عليها إذا ما أجدب النّاس إصبعا (1)
وقال طفيل الغنويّ يصف فحلا:
كميت كركن الباب أحيا بناته ... مقاليتها واستحمشتهنّ إصبع (2)
وقال لبيد بن ربيعة:
من يبسط الله عليه إصبعا (3) ... بالخير والشّرّ بأيّ أولعا
يملأ له منه ذنوبا مترعا
وقال حميد بن ثور:
أغرّ كلون البدر في كلّ منكب ... من النّاس نعمى يحتذيها وإصبع
وقال آخر:
وأرزنات ليس فيهنّ أبن ... ذو إصبع في مسّها وذو فطن
وقال آخر:
أكرم نزارا واسقه المشعشعا ... فإنّ فيه خصلات أربعا

حدّا وجودا وندى وإصبعا (4)
والإصبع فى كلّ ما أوردناه المراد بها الأثر الحسن والنّعمة، فيكون المعنى: ما من آدميّ إلا وقلبه بين نعمتين لله جليلتين حسنتين.
فإن قيل: هذا قد ذكر كما حكيتم؛ إلّا أنه لم يفصّل: ما النعمتان؟ وما وجه التثنية هاهنا ونعم الله تعالى على عباده كثيرة لا تحصى؟

---

(1) البيت فى اللآلئ 50، 764، واللسان (عصا)؛ وضعيف العصا كناية عن الرفق بما يرعاه، والعرب تعيب الرعاء بضرب الإبل؛ لأن ذلك عنف بها وقلة رفق.
(2) ديوانه: 52، وفى حاشية ت (من نسخة): «واستحشمتهن»، وفى حواشى الأصل، ت، ف أيضا: «الحمش: الجمع، وقد حمش [بفتحتين]؛ فيمكن أن يكون «استحمش» فى البيت من هذا، واستحمش، أى غضب، غير متعد» وفى حاشية الأصل أيضا: «استحمشتهن: أصلحتهن؛ من قولهم: حمشت الدابة إذا صلحت؛ عن النضر بن شميل».
(3) ديوانه 2: 8.
(4) حاشية ف: «قوله: «حدا»، قيل به أراد البأس، وقيل: المنع»، وفى حاشية الأصل (من نسخة): «جدا».

/ قلنا: يحتمل أن يكون الوجه فى ذلك نعم الدنيا ونعم الآخرة، وثناهما لأنهما كالجنسين أو كالنوعين، وإن كان كل قبيل منهما فى نفسه ذا عدد كثير؛ لأن الله تعالى قد أنعم على عباده بأن عرّفهم بأدلته وبراهينه ما أنعم به عليهم، من نعم الدنيا والآخرة، وعرّفهم ما لهم فى الاعتراف بذلك والشكر عليه والثناء به من الثواب الجزيل، والبقاء فى النعيم الطويل.
ويمكن أن يكون الوجه فى تسميتهم للأثر الحسن بالإصبع هو من حيث يشار إليه بالإصبع إعجابا به، وتنبيها عليه؛ وهذه عادتهم فى تسمية الشيء بما يقع عنده، وبما له به علقة، وقد قال قوم فى بيتى طفيل والراعى: إنهما أرادا أن يقولا «يدا» فى مكان «إصبع»؛ لأن اليد النعمة، فلم يمكنهما، فعدلا عن اليد إلى الإصبع، لأنها من اليد.
وفى الإصبع الجارحة ثمان لغات: إصبع بفتح الألف والباء، وإصبع، بفتح الألف وكسر الباء، وإصبع بضم الألف والباء، وإصبع بضم الألف وفتح الباء، وأصبوع، بضم الألف مع الواو، وإصبع، بكسر الألف والباء، وإصبع، بكسر الألف وفتح الباء، وإصبع بكسر الألف وضم الباء.
وفى هذه الأخبار وجه آخر؛ هو أوضح مما ذكر، وأشبه بمذاهب العرب فى ملاحن كلامها، وتصرّف كناياتها؛ وهو أن يكون المعنى فى ذكر الأصابع الإخبار عن تيسّر تصريف القلوب وتقليبها، والفعل فيها عليه جلّت عظمته، ودخول ذلك تحت قدرته. ألا ترى أنهم يقولون: هذا الشيء فى خنصرى وإصبعى، وفى يدى وقبضتى؛ كلّ ذلك إذا أرادوا تسهّله وتيسّره وارتفاع المشقة فيه، والمئونة (1).
وعلى هذا المعنى يتأوّل المحققون قوله تعالى: وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَالسَّماواتُ مَطْوِيَّاتٌ

بِيَمِينِهِ، [الزمر: 68]؛ فكأنه صلى الله عليه وآله لما أراد المبالغة

(1) ت: «المئونة».

فى وصفه بالقدرة على تقليب القلوب وتصريفها بغير مشقّة ولا كلفة- وإن كان غيره تعالى يعجز عن ذلك، ولا يتمكّن منه- قال: إنها بين أصابعه؛ كناية عن هذا المعنى، واختصارا للّفظ الطويل، وجريا على مذهب العرب فى إخبارهم عن مثل هذا المعنى بمثل هذا اللفظ؛ وهذا الوجه يجب أن يكون مقدّما على الوجه الأول ومعتمدا؛ لأنه واضح جليّ.

ويمكن أن يكون فى الخبر وجه آخر على تسليم ما يقترحه المخالفون، / من أنّ الإصبعين هما المخلوقتان من اللّحم والدم؛ استظهارا فى الحجّة، وإقامة لها على كل وجه:

وهو أنه لا ينكر أن يكون القلب يشتمل عليه جسمان على شكل الإصبعين، يحرّكه الله تعالى بهما، ويقلّبه بالفعل فيهما؛ ويكون وجه تسميتهما بالأصابع من حيث كانا (1) على شكلهما. والوجه فى إضافتهما إلى الله تعالى- وإن كانت جميع أفعاله تضاف إليه بمعنى الملك والقدرة- أنّه (2) لا يقدر على الفعل فيهما وتحريكهما منفردين عما (3) جاورهما غيره تعالى؛ فقيل إنهما إصبعان له؛ من حيث اختصّ بالفعل فيهما على هذا الوجه؛ لأنّ غيره إنما يقدر على تحريك القلب، وما هو مجاور للقلب من الأعضاء بتحريك جملة الجسم، ولا يقدر على تحريكه وتصريفه منفردا ممّا يجاوره غيره تعالى؛ فمن أين للمبطلين المتأوّلين هذه الأخبار بأهوائهم وضعف آرائهم أنّ الأصابع هاهنا إذا كانت لحما ودما فهى جوارح لله تعالى! وما هذا الوجه الّذي ذكرناه ببعيد؛ وعلى المتأوّل أن يورد كلّ ما يحتمله الكلام؛ ممّا لا تدفعه حجّة، وإن ترتّب بعضه على بعض فى القوة والوضوح.

ونحن نعود إلى تفسير ما لعلّه أن يشتبه من الأبيات التى استشهدنا بها.

أما قوله:

* حدّا (4) وجودا وندى وإصبعا*

فمعنى الحدّ: المضاء والنّفاذ.

(1) ت: «من حيث كانتا».

(2) ت: «فإنه».

(3) ف، حاشية (من نسخة): «مما».

(4) حاشية ت (من نسخة): «جدا».

وقول الآخر:
* وأرزنات ليس فيهنّ أبن*
فالأرزنات العصىّ، والابن العقد.
فأما قول حميد بن ثور: «فى كل منكب من الناس»، فالمنكب: الجماعة، والمنكب: الناحية.
وأما معنى أبيات (1) لبيد، فإنه أراد: من يسق الله إليه خيرا، أو يصرف عنه شرّا أيّهما فعل ذلك به أسبغ له حتى ينتهى منتهاه.
فأما بيت طفيل الغنوىّ، فمعناه أنّ هذا الفحل الّذي وصفه بأنه كميت، وأنه كركن الباب لتمامه وشدّته لمّا ضرب فى الإبل التى وصفها عاشت أولادها التى هى بناته بعد أن كنّ مقاليت، والمقاليت: التى لا يعيش لهنّ ولد، فكان هذا منه أثرا جميلا عليها.
فأما بيت الراعى فمعنى قوله: «ضعيف العصا» يريد أنّه قليل الضّرب لها؛ إما لأنّهن لا يحوجنه سدادا وتأدبا، أو لشفقته عليهن؛ وهذه كناية فى نهاية الحسن، واختصار شديد؛ لأنّه قد يجوز أن يكون ضعيف العصا على الحقيقة من حيث لا يحتاج إلى استعمالها/ فى الضرب، فيختارها قوية، ويجوز أن يكون حذف، وأراد ضعيف فعل العصا.
وقوله: «بادى العروق» يعنى عروق رجله لفسادها من السعى فى أثر هذه الإبل. وأراد «بالإصبع» أنّ له عليها فى جدب الناس أثرا جميلا لحسن قيامه وتعهده.
وقد قيل إنه إنما سمّى الراعى لبيت قاله فى هذه القصيدة بعد بيتين من البيت الّذي أنشدناه، وهو:
لها أمرها حتّى إذا ما تبوّأت ... بأخفافها مأوى تبوّأ مضجعا (2)

---

(1) حاشية الأصل (من نسخة): «بيت لبيد».
(2) اللآلئ: 764؛ والرواية هناك:
«لأخفافها».

وهذا قول الأصمعىّ. وقال السّكّريّ: سمّى بذلك لقوله فى هذه القصيدة أيضا:
هدان أخو وطب وصاحب علبة ... يرى المجد أن يلقى خلاء ومرتعا (1)
وروى عن بعض بنى نمير أنه قال: إنما سمّى بذلك لقوله:
بنيت مرافقهنّ فوق مزلّة ... لا يستطيع بها القراد مقيلا (2)
فقال بعض بنى نمير لمّا سمع هذا البيت: والله ما هو إلّا راعى إبل، فبقيت عليه.
وقال محمد بن سلّام: إنما (3) سمّى الراعى لكثرة وصفه الإبل وحسن نعته لها؛ واسمه عبيد ابن حصين بن جندل، وكنيته أبو جندل، وقيل أبو نوح.

---

(1) الهدان: الأحمق الثقيل، والعلبة: محلب من جلد.

(2) جمهرة الأشعار: 353، واللسان (زلل)، والمزلة: موضع الزلل والانزلاق.
(3) طبقات الشعراء: 250.

23 مجلس آخر [المجلس الثالث والعشرون:]
تأويل آية [: تَعْلَمُ ما فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ ما فِي نَفْسِكَ]
إن سأل سائل عن قوله تعالى: تَعْلَمُ ما فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ ما فِي نَفْسِكَ؛ [المائدة: 116].
فقال: ما المراد بالنفس فى هذه الآية؟ وهل المعنى فيها كالمعنى فى قوله: وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ؛ [آل عمران: 28] أو يخالفه؟ وهل يطابق معنى الآيتين والمراد بالنفس فيهما ما رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: قال الله تعالى: «إذا أحبّ العبد لقائى أحببت لقاءه، وإذا ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى، وإذا ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه، وإذا تقرّب إلى شبرا تقرّبت إليه ذراعا، وإذا تقرّب إلى ذراعا تقربت إليه باعا»، أو لا يطابقه؟
الجواب، قلنا: النفس فى اللغة لها معان مختلفة، ووجوه فى التصرّف متباينة؛ فالنفس نفس الإنسان وغيره من الحيوان، وهى التى إذا فقدها خرج عن كونه حيّا، ومنه قوله تعالى: كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ؛ [آل عمران: 185].
والنّفس ذات الشيء الّذي يخبر/ عنه كقولهم: فعل ذلك فلان نفسه؛ إذا تولّى فعله.
والنفس: الأنفة، من قولهم ليس لفلان نفس، أى لا أنفة له.
والنفس الإرادة، من قولهم نفس فلان فى كذا، أى إرادته؛ قال الشاعر:
فنفساى نفس قالت ايت ابن بحدل ... تجد فرجا من كلّ غمّى تهابها (1)
ونفس تقول اجهد نجاءك لا تكن ... كخاضبة لم يغن شيئا خضابها (2)

(1) البيتان فى اللسان (نفس).
(2) ت: «عنها خضابها»، ومن نسخة بحاشيتى الأصل، ف: «لم يغن يوما».

ومنه أن رجلا قال للحسن: يا أبا سعيد، لم أحجج قطّ، فنفس تقول لى: حجّ، ونفس تقول لى: تزوّج، فقال الحسن: إنّما النفس واحدة، ولكن لك همّ يقول حجّ، وهمّ يقول: تزوّج، وأمره بالحج.
وقال المزّق (1) العبدىّ- وتروى لمعقّر بن حمار البارقىّ:
ألا من لعين قد نآها حميمها ... وأرّقنى بعد المنام همومها
فباتت لها نفسان شتّى همومها ... فنفس تعزّيها ونفس تلومها
وقال النّمر بن تولب العكلىّ:

أمّا خليلى فإنى لست معجله ... حتى يؤامر نفسيه كما زعما
نفس له من نفوس القوم صالحة ... تعطى الجزيل ونفس ترضع الغنما (2)
أراد أنّه بين نفسين: نفس تأمره بالجود، وأخرى تأمره بالبخل، وكنّى برضاع الغنم عن البخل، لأنّ اللّئيم يرضع اللبن من الشّاة ولا يحلبها؛ لئلا يسمع الضيف صوت الشّخب فيهتدى إليه، ومنه قيل: لئيم راضع؛ وقال كثيّر:
فأصبحت ذا نفسين نفس مريضة ... من اليأس ما ينفكّ همّ يعودها (3)
ونفس ترجّى وصلها بعد صرمها ... تجمّل كى يزداد غيظا حسودها
والنفس العين التى تصيب الإنسان، يقال: أصابت فلانا نفس، أى عين. وروى

---

(1) حواشى الأصل، ت، ف: «الممزّق، بكسر الزاى وفتحها، كلاهما جائز؛ الكسر لأنه أتى بذكر التمزيق فى شعره، والممزق بالفتح؛ لأنه قال: «لما أمزق»، وقال أبو القاسم الآمدي: الممزق، بفتح الزاى هو شأس بن نهار العبدى، الّذي قال: «ولما أمزق»، والممزق، بكسرها هو الممزق الحضرمىّ، متأخر، وولده الممزّق بن الممزق، ذكره فى المختلف والمؤتلف.
وانظر ص 185 – 186؛ والبيت الّذي يشير إليه هو بتمامه:
فإن كنت مأكولا فكن خير آكل ... وإلّا فأدركنى ولمّا أمزّق
من قصيدة يخاطب فيها عمرو بن المنذر بن عمرو بن النعمان، وكان هم بغزو عبد القيس.
(2) البيتان فى الأغانى 19: 161.
(3) ديوانه: 1: 75.

أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يرقى فيقول: «بسم الله أرقيك، والله يشفيك، من كلّ داء هو فيك؛ من عين عائن، ونفس نافس، وحسد حاسد».
وقال ابن الأعرابىّ: النّفوس الّذي يصيب الناس بالعين/. وذكر رجلا فقال: كان والله حسودا نفوسا كذوبا. وقال عبيد الله بن قيس الرّقيّات (1):
يتّقى أهلها النّفوس عليها ... فعلى نحرها الرّقى والتّميم
وقال مضرّس بن ربعىّ الفقعسيّ:
وإذا نموا صعدا فليس عليهم ... منّا الخبال ولا نفوس الحسّد (2)
وقال ابن هرمة يمدح عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك:
فاسلم سلمت من المكاره والرّدى ... وعثارها ووقيت نفس الحسّد
والنفس أيضا من الدّباغ بمقدار الدّبغة؛ تقول: اعطنى نفسا من دباغ، أى قدر ما أدبغ به مرة.
والنفس الغيب، يقول القائل: إنّى لأعلم نفس فلان، أى غيبه؛ وعلى هذا تأويل قوله تعالى: تَعْلَمُ ما فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ ما فِي نَفْسِكَ، أى تعلم غيبى وما عندى، ولا أعلم غيبك.
وقيل: إنّ النفس أيضا العقوبة، من قولهم: أحذّرك نفسى؛ أى عقوبتى؛ وبعض المفسّرين حمل قوله

تعالى: وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ على هذا المعنى؛ كأنه يحذّركم عقوبته.
وروى ذلك عن ابن عباس والحسن وآخرون؛ قالوا: معنى الآية ويحذركم الله إياه. وقد روى عن الحسن ومجاهد فى قوله تعالى: تَعْلَمُ ما فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ ما فِي نَفْسِكَ ما ذكرناه من التأويل بعينه.

---

(1) فى حاشيتى الأصل، ف: «قيل له ابن قيس الرقيات؛ لأنه كان يشبب بجماعة كل واحدة منهن اسمها رقية؛ وقيل: كانت له جدات؛ اسم كل واحدة منهن رقية».
(2) حواشى الأصل، ت، ف: «يقال هذا نبات ينمى صعدا؛ أى يزداد طولا».

فإن قيل: ما وجه تسمية الغيب بأنه نفس؟ قلنا: لا يمتنع أن يكون الوجه فى ذلك أنّ نفس الإنسان لما كانت خفيّة الموضع نزّل ما يكتمه ويجتهد فى ستره منزلتها، وسمّى باسمها، فقيل فيه إنه نفسه، مبالغة فى وصفه بالكتمان والخفاء؛ وإنما حسن أن يقول تعالى مخبرا عن نبيه: وَلا أَعْلَمُ ما فِي نَفْسِكَ من حيث تقدم قوله: تَعْلَمُ ما فِي نَفْسِي؛ ليزدوج الكلام، ولهذا لا يحسن ابتداء أن يقول: أنا لا أعلم ما فى نفس الله تعالى، وإن حسن على الوجه الأول؛ ولهذا نظائر فى الاستعمال مشهورة مذكورة.
فأما الخبر الّذي ذكره السائل فتأويله ظاهر، وهو خارج على مذهب للعرب فى مثل هذا الباب معروف؛ ومعناه أنّ من ذكرنى فى نفسه جازيته على ذكره لى، وإذا تقرّب إلى شبرا جازيته على تقرّبه إلى؛ وكذلك الخبر إلى آخره، / فسمّى المجازاة على الشيء باسمه اتساعا، كما قال تعالى: وَجَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها، [الشورى: 40]؛ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ؛ [الأنفال: 40]، اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ، [البقرة: 15]؛ وكما قال الشاعر (1):
ألا لا يجهلن أحد علينا ... فنجهل فوق جهل الجاهلينا
ونظائر هذا كثيرة فى كلام العرب. ولما أراد تعالى المبالغة فى وصف ما يفعله به من الثواب والمجازاة على تقرّبه بالكثرة والزيادة؛ كنّى عن ذلك بذكر المسافة المتضاعفة فقال: «باعا وذراعا»، إشارة إلى المعنى من أبلغ الوجوه وأحسنها.

---

(1) هو عمرو بن كلثوم؛ والبيت من المعلقة ص 238 – بشرح التبريزى.

24 مجلس آخر [المجلس الرابع والعشرون:]

تأويل آية [: إِذْ جاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ...]
إن سأل سائل فقال: ما تأويل قوله تعالى: إِذْ جاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَإِذْ زاغَتِ الْأَبْصارُ، وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَناجِرَ، وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا؛ [الأحزاب: 10].

وكيف يجوز أن تبلغ القلوب الحناجر مع كونهم أحياء، ومعلوم أنّ القلب إذا زال عن موضعه المخلوق فيه مات صاحبه؟ وعن أىّ شيء زاغت الأبصار؟ وبأىّ شيء تعلّقت ظنونهم بالله تعالى؟ .
الجواب، قيل له فى هذه الآية وجوه:
منها أن يكون المراد بذلك أنهم جبنوا وفزع أكثرهم لمّا أشرف المشركون عليهم، وخافوا من بوائقهم وبوادرهم، ومن شأن الجبان عند العرب إذا اشتد خوفه أن تنتفخ رئته، ولهذا يقولون للجبان: انتفخ سحره، أى رئته، وليس يمتنع أن تكون الرئة إذا انتفخت رفعت القلب، ونهضت به إلى نحو الحنجرة.
وهذا التأويل قد ذكره الفرّاء وغيره، ورواه الكلبىّ عن أبى صالح عن ابن عباس.
ومنها أنّ القلوب توصف بالوجيب والاضطراب فى أحوال الجزع والهلع؛ قال الشاعر:
كأنّ قلوب أدلّائها ... معلقة بقرون الظّباء (1)

---

(1) الأدلاء: جمع دليل؛ والبيت فى وصف فلاة مخيفة، ذكره ابن قتيبة فى تأويل مختلف الحديث ص 488، ونسبه إلى المرار، وقال فى شرحه: «يريد أن القلوب تنزو وتجب؛ فكأنها معلقة بقرون الظباء؛ لأن الظباء لا تستقر؛ وما كان على قرونها فهو كذلك».

وقال امرؤ القيس:
ولا مثل يوم فى قداران ظللته ... كأنى وأصحابى على قرن أعفرا (1)
ويروى: «فى قدار ظللته»؛ أراد المبالغة فى وصف نفسه وأصحابه بالقلق والاضطراب ومفارقة/ السّكون والاستقرار؛ وإنما خصّ الظّبى؛ لأن قرنه أكثر تحركا واضطرابا؛ لنشاطه ومرحه وسرعته.
وقد قال بعض الناس: إن امرأ القيس لم يصف شدّة أصابته فى هذا البيت فيليق قوله:
«على قرن أعفرا» بالتأويل المذكور؛ بل وصف أماكن كان فيها مسرورا متنعما؛ ألا ترى إلى قوله قبل هذا البيت بلا فصل:
ألا ربّ يوم صالح قد شهدته ... بتاذف ذات التلّ من فوق طرطرا (2)
فيكون معنى قوله: «على قرن اعفرا» على هذا الوجه أنه كان على مكان عال مشرف؛ شبّهه لارتفاعه وطوله بقرن الظبى؛ وهذا القول لابن الأعرابىّ والأول (3) للأصمعىّ؛ فأما قول الآخر:
ألا قلّ خير الشّام (4) كيف تغيّرا ... فأصبح يرمى النّاس عن قرن أعفرا
فلا يحتمل إلّا الشدة والحال المذمومة، ويجوز أن يريد أن الناس فيه غير مطمئنين بل هم منزعجون قلقون؛ كأنهم على قرن ظبى، ويحتمل أنه يريد أن يطعنهم بقرن ظبى، كقولك:
رماه بداهية، ويكون معنى «عن» هاهنا معنى الباء، فقال: «عن قرن أعفرا» وهو يريد بقرن أعفرا، وقد ذكر فى هذا
البيت الوجهان معا، فيكون معنى الآية على هذا التأويل أن القلوب لما اتصل وجيبها واضطرابها بلغت الحناجر لشدة القلق.

---

(1) ديوانه: 106. قداران: قرية بالشام؛ وأعفر؛ أراد قرن ظبى أعفر. وفى حواشى الأصل، ت، ف: «فى نسخة الوزير الكامل أبى القاسم المغربى رحمه الله: «قذاران»، بالذال المعجمة وفتح القاف، وضب عليه».
(2) فى حاشية ت: «طرطر: قرية بالشام بمنبج، ولها نهر يقال له نهر طرطر». وفى شرح الديوان: تاذف وطرطر: موضعان فيهما أوقع بعدوه».
(3) حاشية ت (من نسخة): «والآخر».
(4) ت، ف: «الشأن».

ومنها أن يكون المعنى: كادت القلوب من شدة الرّعب والخوف تبلغ الحناجر، وإن لم تبلغ فى الحقيقة، فألغى ذكر «كادت» لوضوح الأمر فيها، ولفظة «كادت» هاهنا للمقاربة؛ مثل قول قيس بن الخطيم:

أتعرف رسما كاطّراد المذاهب ... لعمرة وحشا غير موقف راكب (1)
ديار الّتي كادت ونحن على منى ... تحلّ بنا لولا نجاء الرّكائب

معناه: قاربت أن تحلّ بنا، وإن لم تحلل فى الحقيقة.

وقوله: «غير موقف راكب» فيه وجهان: أحدهما أنه ليس بموضع يقف فيه راكب لخلوّه من الناس ووحشته، والآخر أن يكون أراد أنّه وحش؛ إلّا أن راكبا واقف به؛ يعنى نفسه.

وقال نصيب:

/ وقد كدت يوم الحزن لما ترنّمت ... هتوف الضّحى محزونة بالترنّم
أموت لمبكاها أسى إنّ لوعتى (2) ... ووجدى بسعدى شجوه غير منجم (3)

معنى المنجم: المقلع.

وقال ذو الرّمة:

وقفت على ربع لميّة ناقتى ... فما زلت أبكى عنده وأخاطبه (4)
وأسقيه حتى كاد ممّا أبثّه (5) ... تكلّمنى أحجاره وملاعبه

---

(1) ديوانه: 100، والرسم: ما شخص من آثار الديار بعد البلى، والمذاهب: جمع مذهب؛ وهى جلود تجعل فيها خطوط فيرى بعضها فى إثر بعض، واطرادها: تتابعها.
(2) ف، حاشية ت (من نسخة): «لوعتى».
(3) فى حواشى الأصل، ت، ف:
«فى ديوانه:
* ووجدى بسعدى قاتل لى فاعلمى*
وبعده:
ولو قبل مبكاها بكيت صبابة ... بسعدى شفيت النّفس قبل التّندّم

ولكن بكت قبلى فهيّج لى البكا ... بكاها، فقلت: الفضل للمتقدّم.
(4) ديوانه: 35.
(5) فى حواشى الأصل، ت، ف: «يقال بثثته السر وأبثثته».

وكل هذا معنى «كاد» فيه المقاربة.
ومتى أدخلت العرب على «كاد» جحدا، فقالوا: ما كاد عبد الله يقوم، ولم يكد عبد الله يقوم؛ كان فيه وجهان:
أجودهما: قام عبد الله بعد إبطاء ولأى، ومثله قوله تعالى: فَذَبَحُوها وَما كادُوا يَفْعَلُونَ؛ [البقرة: 71]، أى ذبحوها بعد إبطاء وتأخير، لأنّ وجدان البقرة عسر عليهم.
وروى أنهم أصابوها ليتيم لا مال له غيرها، فاشتروها من وليّه بملء جلدها ذهبا، فقال تعالى: وَما كادُوا يَفْعَلُونَ، إما لأنهم لم يقفوا عليها، أو لغلائها وكثرة ثمنها.
والوجه الآخر فى قولهم: ما يكاد عبد الله يقوم، أى ما يقوم عبد الله، وتكون لفظة يكاد على هذا المعنى مطّرحة لا حكم لها، وعلى هذا يحمل أكثر المفسرين قوله تعالى:
إِذا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَراها، أى لم يرها أصلا؛ لأنه جل وعز لما قال: أَوْ كَظُلُماتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحابٌ ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ؛ [النور: 40]، كأنّ بعض هذه الظلمات يحول بين العين وبين النظر إلى اليد وسائر المناظر؛ ف يَكَدْ على هذا التأويل زيدت للتوكيد، والمعنى: إذا أخرج يده لم يرها.
وقال قوم: معنى الآية: إذا أخرج يده رآها بعد إبطاء وعسر؛ لتكاثف الظلمة (1)، وترادف الموانع من الرؤية؛ ف يَكَدْ على هذا الجواب ليست بزائدة.
وقال آخرون: معنى الآية إذا أخرج يده لم يرد أن يراها، لأن الّذي شاهده من تكاثف الظلمات أيأسه (2) من تأمل يده، وقرّر فى نفسه أنه لا يدركها ببصره. وحكى عن العرب:
أولئك أصحابى الذين أكاد أنزل عليهم، أى أريد أن أنزل عليهم؛ قال الشاعر:
كادت وكدت وتلك خير إرادة ... لو عاد من لهو الصّبابة ما مضى (3)
/ أى أرادت وأردت، وقال الأفوه الأودىّ (4):

(1) ف: «الظلمات»، حاشية ت (من نسخة): «الظلم».
(2) ت، حاشية ف (من نسخة): «آيه».
(3) البيت فى اللسان (كيد).
(4) ديوانه: 10 (ضمن مجموعة الطرائف).

فإن تجمّع أوتاد وأعمدة ... وساكن بلغوا الأمر الّذي كادوا
أى أرادوا.
وقال بعضهم: معنى قوله تعالى: كَذلِكَ كِدْنا لِيُوسُفَ؛ [يوسف: 76]، أى أردنا ليوسف.
وقال الكلبيّ عن أبي صالح عن ابن عباس: معناه كذلك صنعنا ليوسف.
ومما يشهد لمن جعل لفظة يَكَدْ زائدة فى الآية قول الشاعر:
سريع إلى الهيجاء شاك سلاحه ... فما إن يكاد قرنه يتنفّس
أى فما إن يتنفس قرنه، و «يكاد» مزيدة للتوكيد، وقال حسان:
وتكاد تكسل أن تجئ فراشها ... فى جسم خرعبة وحسن قوام
معناه وتكسل أن تجئ فراشها، وقال الآخر:
وألّا ألوم النّفس فيما أصابنى ... وألّا أكاد بالذى نلت أنجح
أى لا أنجح بالذى نلت؛ ولو لم يكن الأمر على هذا لم يكن البيت مدحا.
وروى عبد الصمد بن المعذّل بن غيلان عن أبيه عن جدّه غيلان (1) قال: قدم علينا ذو الرّمة الكوفة، فأنشدنا بالكناسة- وهو على راحلته- قصيدته الحائية؛ التى يقول فيها:
إذا غيّر النّأى المحبّين لم يكد ... رسيس الهوى من حبّ ميّة يبرح (2)
فقال له عبد الله بن شبرمة (3): قد برح يا ذا الرّمة، ففكّر ساعة ثم قال:
إذ غيّر النّأى المحبّين لم أجد ... رسيس الهوى من حبّ ميّة يبرح
قال: فأخبرت أبي بما كان من قول ذى الرّمة واعتراض ابن شبرمة عليه، فقال:

---

(1) حاشية ت (من نسخة): «عيلان»، وفيها: «وفى نسختين صحيحتين من ديوانه: غيلان».
(2) ديوانه: 78.
(3) حواشى الأصل، ت، ف: «هو شبرمة بن الطفيل» بكسر الطاء وسكون الفاء، الّذي يقول:
ويوم كظلّ الرّمح قصّر طوله ... دم الزّقّ عنّا واصطفاق المزاهر
والبيت من أبيات ثلاثة، ذكرها أبو تمام فى الحماسة- بشرح التبريزى 3: 236.

أخطأ ذو الرّمة فى رجوعه عن قوله الأوّل، وأخطأ ابن شبرمة فى اعتراضه عليه؛ هذا كقوله عز وجل: إِذا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَراها، أى لم يرها.
فأما قوله عز وجل: إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكادُ أُخْفِيها؛ [طه: - 15]، فيحتمل أن يكون المعنى: أريد أخفيها لكى تجزى كلّ نفس بما تسعى. ويجوز أن تكون زائدة ويكون/ المعنى إنّ الساعة آتية أخفيها لتجزى كلّ نفس. وقد قيل فيه وجه آخر؛ وهو أن يتم الكلام عند قوله تعالى: آتِيَةٌ أَكادُ، ويكون المعنى: أكاد آتى بها، ويقع الابتداء بقوله أُخْفِيها لِتُجْزى كُلُّ نَفْسٍ؛ ومما يشهد لهذا الوجه قول ضابئ البرجمىّ:
هممت ولم أفعل وكدت وليتنى ... تركت على عثمان تبكى حلائله (1)

أراد: وكدت أقتله، فحذف الفعل لبيان معناه.
وروى عن سعيد بن جبير أنّه كان يقرأ: أَكادُ أُخْفِيها، فمعنى أخفيها على هذا الوجه أظهرها؛ قال عبدة بن الطبيب يصف ثورا:
يخفى التّراب بأظلاف ثمانية ... فى أربع مسّهنّ الأرض تحليل (2)
أراد أنه يظهر التراب ويستخرجه بأظلافه، وقال امرؤ القيس:
فإن تدفنوا الدّاء لا نخفه ... وإن تبعثوا الحرب لا نقعد (3)
أى لا نظهره؛ وقال النابغة:
تخفى بأظلافها حتّى إذا بلغت ... يبس الكثيب تداعى التّرب فانهدما (4)

---

(1) الشعر والشعراء: 310.
(2) من قصيدة مفضلية 268 – 293 بشرح ابن الأنبارى.
وفى حاشية الأصل: «يصف شدة عدو الثور، وأنه يثير الغبار بأظلاف ثمانية وأربع قوائم؛ مقدار مسهن الأرض تحليل، أى قول الرجل فى يمينه إن شاء الله». وفى حواشى، ت، ف أيضا: «التحليل ضد التحريم؛ يقال: حللته تحليلا وتحلة؛ وتقول: لم أفعل ذلك إلا تحلة القسم؛ أى القدر الّذي لا أحنث معه، ولم أبالغ فيه؛ ثم توسع فيه؛ فقيل لكل شيء لم يبالغ فيه تحليل؛ يقال: ضربته تحليلا».
(3) مختار الشعر الجاهلى: 131.
(4) البيت ليس فى ديوانه، وفى حاشية ت: «ولامرئ القيس يصف فرسا أخرج اليرابيع من حجرتها بعدوه:
خفاهنّ من أنفاقهنّ كأنّما ... خفاهنّ ودق من سحاب مركّب
وانظر ديوانه 86.

وقد روى أهل العربية: أخفيت الشيء يعنى (1) سترته، وأخفيته بمعنى أظهرته، وكأنّ القراءة بالضم تحتمل الأمرين: الإظهار والستر، والقراءة بالفتح لا تحتمل غير الإظهار؛ وإذا كانت بمعنى الإظهار كان الكلام فى «كاد» واحتمالها للوجوه الثلاثة التى ذكرناها كالكلام فيها إذا كانت بمعنى الستر والتغطية.
فإن قيل: فأىّ معنى لقوله: إنى أسترها لتجزى كلّ نفس بما تسعى، أو أظهرها على الوجهين جميعا؟ وأى فائدة فى ذلك؟
قلنا: الوجه فى هذا ظاهر، لأنه تعالى إذا ستر عنّا وقت الساعة كانت دواعينا إلى فعل الحسن والقبيح مترددة، وإذا عرّفنا وقتها بعينه كنا ملجئين إلى التوبة، بعد مقارفة الذنوب ونقض ذلك الغرض بالتكليف واستحقاق الثواب به، فصار ما أريد من المجازاة للمكلّفين بسعيهم، وإيصال ثواب أعمالهم يمنع من اطلاعهم على وقت انقطاع التكليف عنهم.
فأما إذا كانت لفظة أُخْفِيها بمعنى الإظهار فوجهه أيضا واضح؛ لأنه تعالى إنما يقيم القيامة، ويقطع

التكليف ليجازى كلّا باستحقاقه، ويوفّى مستحقّ الثواب ثوابه، ويعاقب المسيء باستحقاقه، فوضح وجه قوله تعالى: أَكادُ أُخْفِيها لِتُجْزى كُلُّ نَفْسٍ بِما تَسْعى على المعنيين جميعا.
قال سيدنا الشريف الأجل المرتضى أطال الله بقاءه: وجدت أبا بكر محمد بن القاسم الأنبارىّ يطعن على جواب من أجاب فى قوله: وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَناجِرَ بأنّ معناه كادت تبلغ الحناجر، ويقول: «كاد» لا تضمر، ولا بدّ من أن يكون
منطوقا بها، ولو جاز ضميرها لجاز: قام عبد الله بمعنى كاد عبد الله يقوم، فيكون تأويل قام عبد الله لم يقم عبد الله؛ لأن معنى كاد عبد الله يقوم لم يقم، وهذا الّذي ذكره غير صحيح. ونظنّ أن الّذي حمله على الطّعن فى هذا الوجه حكايته له عن ابن قتيبة، لأنّ من شأنه أن يردّ كل ما يأتى به ابن

(1) حاشية ت: «أخفيته إذا كان بمعنى أظهرته كانت الألف للسلب، والمعنى: سلبته الخفاء؛ مثل شكانى فأشكيته».

قتيبة، وإن تعسّف فى الطعن عليه. والّذي استبعده غير بعيد؛ لأنّ «كاد» قد تضمر فى مواضع يقتضيها بعض الكلام وإن لم تكن فى صريحه؛ ألا ترى أنهم يقولون: أوردت على فلان من العتاب والتوبيخ والتقريع ما مات عنده، وخرجت نفسه، ولما رأى فلان فلانا لم يبق فيه روح، وما أشبه ذلك. ومعنى جميع ما ذكرناه المقاربة، ولا بد من إضمار «كاد» فيه، وقال جرير:
إنّ العيون التى فى طرفها مرض ... قتلنا ثمّ لم يحيين قتلانا (1)
وإنما المعنى أنهن كدن يقتلننا؛ وهذا أكثر فى الشعر والكلام من أن نذكره.
فأما قوله: «يحيين قتلانا» فالأظهر فى معناه أنهن لم يزلن ما قاربنا عنده الموت والقتل من الصدود والهجر وما أشبه ذلك، وسمّى هذه الأمور حياة كما سمى أضدادها قتلا، وقد قيل إن معنى «يحيين قتلانا» أنهن لم يدين قتلانا، من الدّية، لأنّ دية القتيل عند العرب كالحياة له، وقد روى: «ثم لم يجنن قتلانا»، وهذه رواية شاذة لم تسمع من عالم ولا محصّل ومعناها ركيك ضعيف؛ وإذا كان الأمر على ما ذكرناه لم يمتنع أن يقال: قام فلان بمعنى كاد يقوم، إذا دلّت الحال على ذلك؛ كما يقال: مات بمعنى كاد يموت.
فأما قوله: «فيكون تأويل قوله: قام عبد الله، لم يقم عبد الله» فخطأ؛ لأنه ليس معنى كاد يقوم إنه لم يقم/ كما ظنّ بل معنا. أنه قارب القيام ودنا منه، فمن قال: قام عبد الله وأراد كاد يقوم؛ فقد أفاد ما لا يفيده لم يقم.

(1) ديوانه: 595؛ وفى حواشى الأصل، ت، ف: «روى أنه وقع الخلاف بين هارون الرشيد وزبيدة فى هذا البيت؛ فكان هارون يقول: «يحيين»، وزبيدة تقول: هو: «يجنن»، بالجيم والنون؛ فتخاطرا على ذلك بألفى دينار، ودعوا مسرورا الخادم، وأعطياه على أن يخرج فيسأل أفضل من ببغداد من أهل العلم؛ فإن صوب قول هارون أعطاه ألفا، وإن صوب قول زبيدة فألفها، فخرج مسرور

بالشموع يطلب من يفتيه فى ذلك؛ فدل على الكسائى؛ وكان قريب عهد القدوم من الكوفة إلى بغداد؛ وكان يأوى إلى مسجد؛ فدخل مسرور عليه بخيله وحشمه؛ فتحفز له الكسائى؛ فقال: لا بأس؛ إنه بيت قد أشكل علينا، واستفتاه فى الكلمتين فصوبهما جميعا؛ فأعطاه الألفين؛ فأصبح وقد استفاد بكلمة أوضحها ما أغناه؛
وهذا دليل على حسن تأتيه ولطافة أدبه».

(1/335)

وأما قوله تعالى: زاغَتِ الْأَبْصارُ فمعناه زاغت عن النظر إلى كل شيء فلم تلتفت إلا إلى عدوها، ويجوز أن يكون المراد ب زاغَتِ، أى جارت (1) ومالت عن القصد فى النظر دهشا وتحيرا.
فأما قوله تعالى: وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا، معناه أنكم تظنون مرة أنكم تنصرون وتظهرون على عدوّكم، ومرة أنكم تبتلون وتمتحنون بالتخلية بينكم وبينهم.
ويجوز أيضا أن يريد الله تعالى أن ظنونكم اختلفت، فظنّ المنافقون منكم خلاف ما وعدكم الله تعالى به من النصر، وشكّوا فى خبره عز وجل كما قال تعالى حكاية عنهم: ما وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً، فظنّ المؤمنون ما طابق وعد الله تعالى لهم كما حكى عز وجل عنهم فى قوله: هذا ما وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ.
وكل ما ذكرناه واضح فى تأويل الآية وما تعلّق بها.

---

(1) ت وحاشية الأصل (من نسخة): «حادت»، ومن نسخة بحاشيتى الأصل، ف: «حارت».

(1/336)

25 مجلس آخر [المجلس الخامس والعشرون:]

تأويل آية [: وَجَعَلْنا نَوْمَكُمْ سُباتاً]

إن سأل سائل عن قوله تعالى: وَجَعَلْنا نَوْمَكُمْ سُباتاً؛ [النبأ: 9].
فقال: إذا كان السّبات هو النوم؛ فكأنه قال: وجعلنا نومكم نوما، وهذا مما لا فائدة فيه.
الجواب، قيل له فى هذه الآية وجوه:
منها أن يكون المراد بالسّبات الراحة والدّعة، وقد قال قوم: إنّ اجتماع الخلق كان فى يوم الجمعة، والفراغ منه فى يوم السبت، فسمّى اليوم بالسبت للفراغ الّذي كان فيه؛ ولأن الله تعالى أمر بنى إسرائيل فيه بالاستراحة من الأعمال؛ قيل: وأصل السّبات التمدّد؛ يقال:
سبتت المرأة شعرها إذا حلّته من العقص وأرسلته، قال الشاعر:
وإن سبتته مال جثلا كأنّه ... سدى واهلات من نواسج خثعما (1)

أراد: إن أرسلته.
ومنها أن يكون المراد بذلك القطع؛ لأن السبت القطع، والسبت أيضا الحلق؛ يقال: سبت شعره سبتا إذا حلقه، وهو يرجع إلى معنى القطع، والنعال السّبتيّة التى لا شعر عليها؛ قال عنترة:
بطل كأنّ ثيابه فى سرحة، ... يحذى نعال السّبت، ليس بتوأم (2)

---

(1) الجثل من الشعر: ما كشف واسود، وفى حواشى الأصل، ت، ف: «شبه شعرها فى وقت الإرسال بسدى ثياب مسترخيات مرسلات. والنواسج: جمع ناسجة، وخثعم: قبيلة».
(2) المعلقة: 199 – بشرح التبريزى، وفى حاشيتى الأصل، ف: «السرحة: شجرة طويلة، يصفه بالطول. وأراد بقوله: «يحذى تعال السبت» أنه من الملوك؛ لأن نعال السبت نعال الملوك. والسبت: شيء يشبه القرظ، تدبغ به النعال؛ ووصفه بالشدة والقوة فى قوله: «ليس بتوأم»، لأنه إذا لم يكن معه توأم كان أقوى وأتم لخلقه».

/ ويقال لكل أرض مرتفعة منقطعة ممّا حولها: سبتاء، وجمعها سباتى، فيكون المعنى على هذا الجواب: جعلنا نومكم سباتا، أى قطعا لأعمالكم وتصرّفكم. ومن أجاب بهذا الجواب يقول: إنما سمّى يوم السبت بذلك لأنّ بدء الخلق كان يوم الأحد؛ وجمع يوم الجمعة، وقطع يوم السبت، فترجع التسمية إلى معنى القطع.
وقد اختلف الناس فى ابتداء الخلق فقال أهل التوراة: إنّ الله تعالى ابتدأه فى يوم الأحد، فكان الخلق فى يوم الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة، ثم فرغ فى يوم السبت؛ وهذا قول أهل التوراة.
وقال آخرون: إن الابتداء كان فى يوم الاثنين إلى السبت، وفرغ فى يوم الأحد؛ وهذا قول أهل الإنجيل.
فأما قول أهل الإسلام فهو أن ابتداء الخلق كان فى يوم السبت، واتصل إلى الخميس، وجعلت الجمعة عيدا؛ فعلى هذا القول الأخير يمكن أن يسمّى اليوم بالسبت، من حيث قطع فيه بعض خلق الأرض، فقد روى أبو هريرة عن النبي عليه السلام أنه قال: «إن الله تعالى خلق التّربة (1) فى يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد».
ومنها أن يكون المراد بذلك أنّا جعلنا نومكم سباتا ليس بموت؛ لأن النائم قد يفقد من علومه وقصوده وأحواله أشياء كثيرة يفقدها الميت؛ فأراد تعالى أن يمتّ علينا بأن جعل نومنا الّذي تضاهى فيه بعض أحوالنا أحوال الميت ليس بموت على الحقيقة، ولا بمخرج لنا عن الحياة والإدراك؛ فجعل التأكيد بذكر المصدر قائما مقام نفى الموت، وسادّا مسدّ قوله:
وَجَعَلْنا نَوْمَكُمْ ليس بموت.
ويمكن أن يكون فى الآية وجه آخر لم يذكر فيها، وهو أن السّبات ليس هو كلّ نوم، وإنما هو من

صفات النوم إذا وقع على بعض الوجوه، والسّبات هو النوم الممتد الطويل

(1) من نسخة بحاشيتى ت، ف: «البرية».

السكون (1)، ولهذا يقال فيمن وصف بكثرة النوم إنه مسبوت، وبه سبات؛ ولا يقال ذلك فى كلّ نائم، وإذا كان الأمر على هذا لم يجر قوله: وَجَعَلْنا نَوْمَكُمْ سُباتاً مجرى أن يقول: وجعلنا نومكم نوما. والوجه فى الامتنان علينا بأن جعل نومنا ممتدا طويلا- ظاهر، وهو لما فى ذلك لنا من المنفعة والراحة؛ لأن التهويم والنوم الغرار لا يكسبان (2) شيئا من الراحة؛ بل يصحبهما فى الأكثر القلق والانزعاج، والهموم/ هى التى تقلّل النوم وتنزّره، وفراغ القلب ورخاء البال يكون معهما غزارة النوم وامتداده؛ وهذا واضح.

قال سيدنا الشريف الأجل المرتضى أدام الله علوّه: وجدت أبا بكر محمد بن القاسم الأنبارىّ يطعن على الجواب الّذي ذكرناه أوّلا، ويقول: إن ابن قتيبة أخطأ فى اعتماده؛ لأنّ الراحة لا يقال لها: سبات، ولا يقال: سبت (3) الرجل بمعنى استراح وأراح، ويعتمد على الجواب الّذي ثنّينا بذكره، ويقول فيما استشهد به ابن قتيبة من قولهم سبتت المرأة شعرها: إن معناه أيضا القطع، لأن ذلك إنما يكون بإزالة الشّداد الّذي كان مجموعا به وقطعه.

والمقدار الّذي ذكره ابن الأنبارىّ لا يقدح فى جواب ابن قتيبة؛ لأنه لا ينكر أن يكون السبات هو الراحة والدّعة إذا كانتا عن نوم، وإن لم توصف كل راحة بأنها سبات، ويكون هذا الاسم يخصّ (4) الراحة إذا كانت على هذا الوجه؛ ولهذا نظائر كثيرة فى الأسماء، وإذا أمكن ذلك لم يكن فى امتناع قولهم: سبت الرجل بمعنى استراح فى كل موضع دلالة على أنّ السّبات لا يكون اسما للراحة عند النوم؛ والّذي يبقى على ابن قتيبة أن يبيّن أن السبات هو الراحة والدّعة، ويستشهد على ذلك بشعر أو لغة، فإن البيت الّذي ذكره يمكن أن يكون المراد به القطع دون التمدّد والاسترسال.

(1) حاشية ف (من نسخة): «السكوت».
(2) ت، ف: «لا يكسبان»، بضم الياء.
(3) حاشية ت (من نسخة): «سبت»، بالبناء للمجهول.
(4) من نسخة بحاشيتى ت، ف: «يختص بالراحة».

فإن قيل: فما الفرق بين جواب ابن قتيبة وجوابكم الّذي ذكرتموه أخيرا؟ قلنا: الفرق بينهما بيّن، لأنّ ابن قتيبة جعل السّبات نفسه راحة، وجعله عبارة عنها، وأخذ يستشهد على ذلك بالتمدّد وغيره،

ونحن جعلنا السّبات من صفات النوم، والراحة واقعة عنده للامتداد وطول السكون فيه؛ فلا يلزمنا أن يقال: سبت الرجل بمعنى استراح؛ لأنّ الشيء لا يسمّى بما يقع عنده حقيقة، والاستراحة تقع على جوابنا عند السّبات (1)، وليس السبات إياها بعينها؛ على أن فى الجواب الّذي اختاره ابن الأنبارىّ ضربا من الكلام؛ لأن السّبت وإن كان القطع على ذكره فلم يسمع فيه البناء الّذي ذكره وهو السّبات، ويحتاج فى إثبات مثل هذا البناء إلى سمع (2) عن أهل اللغة، وقد كان يجب أن يورد من أى وجه؛ إذا كان السبت هو القطع جاز أن يقال سبات على هذا المعنى؛ ولم نره فعل/ ذلك.

تأويل خبر [«إنّ الميت ليعذّب ببكاء الحىّ عليه»:]

إن قال قائل: ما تأويل الخبر الّذي روى عن النبي صلى الله عليه وآله: «إنّ الميت ليعذّب ببكاء الحىّ عليه»، وفى رواية أخرى: «إن الميت يعذّب فى قبره بالنّياحة عليه»، وقد روى هذا المعنى المغيرة بن شعبة أيضا فقال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: «من نيح عليه فإنّه يعذّب بما نيح عليه».

الجواب، إنّا إذا كنا قد علمنا بأدلة العقل التى لا يدخلها الاحتمال ولا الاتساع والمجاز قبح مؤاخذة أحد بذنب غيره، وعلمنا أيضا ذلك بأدلة السمع مثل قوله تعالى: وَلا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى؛ [الأنعام: 164]، فلا بدّ أن نصرف ما ظاهره بخلاف هذه الأدلة إلى ما يطابقها.

والمعنى فى الأخبار التى سئلنا عنها- إن صحّت روايتها- أنه إذا أوصى موص بأن يناح

---

(1) فى حواشى الأصل، ت، ف: «قال ابن دريد: السبات: السكون؛ والرجل مسبوت؛ وقال الجوهرى: السبت والسبات: السكون والراحة؛ وقد سبت يسبت، بالضم».

(2) ت، د، حاشية ف (من نسخة): «سماع».

عليه ففعل ذلك بأمره وعن إذنه فإنّه يعذّب بالنياحة عليه؛ وليس معنى يعذّب بها أنه يؤاخذ بفعل النّواح، وإنما معناه أن يؤاخذ بأمره بها ووصيته بفعلها، وإنما قال صلى الله عليه وآله ذلك لأنّ الجاهلية كانوا يرون البكاء

عليهم والنوح فيأمرون به، ويؤكدون الوصية بفعله وهذا مشهور عنهم؛ قال طرفة بن العبد:

فإن متّ فانعينى بما أنا أهله ... وشقّى علىّ الجيب يا أمّ معبد (1)

وقال بشر بن أبى خازم لابنته عميرة (2):

فمن يك سائلا عن بيت بشر ... فإنّ له بجنب الرّدة بابا (3)

ثوى فى ملحد لا بدّ منه ... كفى بالموت نأيا واغترابا (4)

رهين بلى وكلّ فتى سيبلى ... فأذرى الدّمع وانتجى انتحابا

وقد روى عن ابن عباس فى هذا الخبر أنه قال: وهل (5) ابن عمر، إنما مرّ رسول الله صلى الله عليه وآله على يهودىّ فقال: «إنّكم لتبكون عليه، وإنه ليعذّب فى قبره».

وقد روى إنكار هذا الخبر أيضا عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وآله، وأنها قالت لما أخبرت

بروايته: وهل أبو عبد الرحمن كما وهل يوم قليب بدر، إنما قال عليه السلام: «إن أهل الميت ليبكون عليه، وإنه ليعذب بجرمه» /

---

(1) المعلقة 96 – بشرح التبريزى. والرواية فيها:
* وشقّى عليّ الجيب يا ابنة معبد*.
(2) مختارات ابن الشجرى 2: 32؛ من قصيدة قالها وهو يجود بنفسه بعد أن طعنه غلام من بنى وائلة بسهم فأثخنه، ومطلعها:
أسائلة عميرة عن أبيها ... خلال الجيش تعترف الرّكابا.
(3) الرده: جمع ردهة؛ وهى نقرة فى صخرة يستنقع فيها الماء.
(4) فى مختارات ابن الشجرى:
«هوى فى ملحد».
(5) فى حواشى الأصل، ت، ف: «قال أبو زيد: وهلت [بكسر الهاء] فى الشيء وعنه أوهل وهلا [بفتحتين] إذا غلطت فيه، ووهلت [بفتح الهاء] إلى الشيء أهل وهلا [بسكون الهاء] إذا ذهب وهمك إليه، ووهلت [بكسر الهاء] أوهل وهلا [بفتحتين]: فزعت».

قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علوّه: معنى «وهل» أى ذهب وهمه إلى غير الصواب، يقال وهلت إلى الشيء فأنا أهل وهلا إذا ذهب وهمك إليه، ووهلت عنه أهل وهلا، أى نسيته وغلطت فيه، ووهل الرجل يوهل وهلا إذا فزع، والوهل: الفزع.
فأما «القليب» فهى البئر، والجمع القلب، قال حسان بن ثابت يذكر قتلى بدر من المشركين:
يناديهم رسول الله لما ... قذفناهم كباكب فى القليب (1)
ألم تجدوا حديثى كان حقّا ... وأمر الله يأخذ بالقلوب
وقال آخر يبكى على قتلى بدر من المشركين:
فماذا بالقليب قليب بدر ... من القينات والشّرب الكرام (2)
وماذا بالقليب قليب بدر ... من الشّيزى يكلّل بالسّنام (3)
ومعنى وهله فى ذكر القليب أنه روى أن النبي صلى الله عليه وآله وقف على قليب بدر فقال: «هل وجدتم ما وعد ربّكم حقّا»؟ ثم قال: «إنهم ليسمعون ما أقول»، فأنكر ذلك عليه؛ وقيل إنما قال عليه السلام: «إنهم الآن ليعلمون أنّ الّذي كنت أقول لهم هو الحق»، واستشهد بقول الله تعالى: إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتى؛ [النمل: 80]. وأهل القليب جماعة من قريش؛ منهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة، وغيرهم.
وروى عن عبد الله بن مسعود أنه قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم قائما يصلّى بمكة وأناس من قريش فى حلقة، فيهم أبو جهل بن هشام، فقال: ما يمنع أحدكم أن يأتى الجزور التى نحرها آل فلان، فيأخذ سلاها ثم يأتى به حتى إذا سجد وضعه على ظهره؟

قال عبد الله: فانبعث أشقى القوم- وأنا أنظر إليه- فجاوبه حتى وضعه على ظهره، قال عبد الله: فلو كانت لى يومئذ منعة لمنعته. وجاءت فاطمة عليها السلام عليه، وهى يومئذ صبية حتى أماطته عن ظهر أبيها ثم جاءت حتى قامت على رءوسهم فأوسعتهم شتما، قال:
فو الله لقد رأيت بعضهم يضحك، حتى إنّه ليطرح نفسه على صاحبه من الضحك، فلما

(1) ديوانه: 11 - 12. الكباكب: الجماعات.
(2) ت، د، حاشية ف (من نسخة):
«من الفتيان».
(3) الشيزى: شجر عظيم يتخذ منه الجفان، وهو الآبنوس.

سلّم النبي صلى الله عليه وآله أقبل على القوم فقال: «اللهمّ عليك بفلان وفلان» /، فلما رأوا النبي صلى الله عليه وآله قد دعا عليهم أسقط فى أيديهم، فو الله الّذي لا إله غيره ما سمّى النبي صلى الله عليه وآله يومئذ أحدا إلّا وقد رأيته يوم بدر، وقد أخذ برجله يجرّ إلى القليب مقتولا.
وقوله: «فيأخذ سلاها» أى جلدتها التى فيها ولدها ما دام فى بطنها، والجميع (1) الأسلاء؛ وقال ابن حبيب (2): الأسلاء التى فيها الأولاد، قال الأخطل:
ويطرحن بالثّغر السّخال كأنّما ... يشقّقن بالأسلاء أردية العصب (3)
وقال الشّماخ:
والعيس ذامية المناسم ضمّر ... يقذفن بالأسلاء تحت الأركب (4)
قال الفرّاء. سقط فى أيديهم من الندامة، وأسقط لغتان، وهى بغير ألف أكثر وأجود.
ويمكن أن يكون فى قوله: «يعذّب ببكاء أهله عليه» وجه آخر؛ وهو أن يكون المعنى أن الله تعالى إذا أعلمه ببكاء أهله وأعزّائه عليه وما لحقهم بعده من الحزن والهمّ تألم بذلك؛ فكان عذابا له؛ والعذاب ليس بجار مجرى العقاب الّذي لا يكون إلّا على ذنب متقدّم؛ بل قد يستعمل كثيرا بحيث يستعمل الألم والضرر؛ ألا ترى أنّ القائل قد يقول لمن ابتدأه بالضرر والألم: قد عذّبتنى بكذا وكذا؛ كما يقول: أضررت بى وآلمتني؛ وإنما لم يستعمل العقاب حقيقة فى الآلام المبتدأة من حيث كان اشتقاق لفظه من المعاقبة، التى لا بد من تقدم سبب لها، وليس هذا فى العذاب.

(1) ف: «الجمع».
(2) حواشى الأصل، ت، ف: «محمد بن حبيب اللغوىّ، وحبيب أمه؛ وكان ولد ملاعنة فلا ينسب إلى أبيه».
(3) ديوانه: 20، وفى حاشيتى الأصل، ف:
الثغر: موضع المخافة؛ ويمكن أن يريد به هاهنا موضعا بعينه؛ يصف الإبل بالكد والجهد؛ حتى طرحت أولادها وأسلاءها مشقوقة؛ وشبه الأسلاء فى حال انشقاقها عن السخال بأردية من برود

اليمن».
(4) لم يرد البيت فى ديوانه وفى حاشيتى الأصل، ف: «العيس: الإبل البيض. والمناسم: مقدمة الخف. والأركب: جمع ركب، والركب: جمع ركبة؛ ويمكن أن تكون الأركب بمعنى الركبان».

(1/343)

تأويل خبر آخر [: «ما من أحد يدخله عمله الجنة، وينجيه من النار»]
إن سأل سائل عن الخبر الّذي يرويه أبو هريرة عن النبي عليه السلام أنه قال: «ما من أحد يدخله عمله الجنة، وينجيه من النار»، قيل: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا؛ إلّا أن يتغمّدنى الله برحمة منه وفضل»، يقولها ثلاثا.
فقال: أوليس فى هذا دلالة على أنّ الله تعالى يتفضّل بالثواب، وأنه غير مستحق عليه؟ ومذهبكم بخلاف ذلك.
الجواب، قلنا: فائدة الخبر ومعناه بيان فقر المكلّفين إلى الله تعالى، وحاجتهم إلى ألطافه وتوفيقاته ومعوناته، وأنّ العبد لو أخرج إلى نفسه، وقطع الله تعالى موادّ المعونة واللطف عنه لم يدخل/ بعمله الجنة، ولا نجا من النار؛ فكأنه عليه السلام أراد أنّ أحدا لا يدخل الجنة بعمله الّذي لم يعنه الله تعالى عليه، ولا لطف له فيه، ولا أرشده إليه؛ وهذا هو الحق الّذي لا شبهة فيه؛ فأما الثواب فما نأبى القول بأنه تفضّل؛ بمعنى أنّ الله تعالى تفضّل بسببه الّذي هو التكليف، ولهذا نقول: إنه لا يجب على الله تعالى شيء ابتداء، وإنما يجب عليه ما أوجبه على نفسه، فالثواب مما كان أوجبه على نفسه بالتكليف؛ وكذلك التمكين والإلطاف، وكل ما يجلبه ويوجبه التكليف، ولولا إيجابه له على نفسه بالتكليف لما وجب.
فإن قيل: فقد سمى الرسول ما يفعل به فضلا فقال: «إلّا أن يتغمّدنى الله برحمة منه وفضل»، قلنا هذا يطابق ما ذكرناه، لأنّ الرحمة النعمة والثواب نعمة، وهو يفضّل من الوجه الّذي ذكرناه، وإن حملنا قوله عليه السلام: «برحمة منه وفضل» على ما يفعل به من الألطاف والمعونات فهى أيضا فضل وتفضّل لأنّ سببها غير واجب.
فأما قوله عليه الصلاة والسلام: «يتغمدنى» فمعناه يسترنى، يقال غمدت السيف فى غمده إذا سترته، قال الشاعر:
نصبنا رماحا فوقها جدّ عامر ... كظلّ السّماء، كلّ أرض تغمّدا

(1/344)

فالجدّ هاهنا: الحظ، وشبّه ما قسم لعامر من الغلبة والظفر بظلّ السماء الّذي يستر كلّ شيء، ويظهر عليه.
*** أخبرنا أبو القاسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى بن جنيقا قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد

الحكيميّ قراءة عليه قال أملى علينا أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب النحويّ قال أخبرنا ابن الأعرابى قال: يقال للقوم إذا دعوت عليهم: بهرهم الله، والمبهور هو المكروب، وأنشدنا:

أبرزوها مثل المهاة تهادى ... بين خمس كواعب أتراب (1)

ثمّ قالوا: تحبّها؟ قلت: بهرا ... عدد الرّمل والحصى والتّراب (2)

قال سيدنا أدام الله أيامه: وقد قيل فى معنى قوله: «بهرا» غير هذا الوجه.

أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزبانىّ قال أخبرنى محمد بن يحيى الصولىّ قال حدثنا القاسم بن إسماعيل/ قال حدثنا التّوزىّ عن أبى عمرو الأسدىّ قال سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: عمر ابن أبي ربيعة حجّة فى العربية، وما أخذ عليه شيء إلا قوله:

* ثم قالوا: تحبها؟ قلت: بهرا*

وله فيه عذر إن أراد الخبر لا الاستفهام، كأنهم قالوا: أنت تحبها؛ على وجه الإخبار منهم لا الاستفهام، فوكّد هو إخبارهم بجوابه، فهذا حسن. و «بهرا» يجوز أن يكون أراد:

نعم حبّا بهرنى بهرا، ويكون أيضا بمعنى «عقرا وتعسا»، دعاء عليهم إذ جهلوا من حبّه لها ما لا يجهل مثله، وأنشد أبو عمرو:

---

(1) من قصيدة فى الديوان، مطلعها:

قال لى صاحبى ليعلم ما بى: ... أتحب القتول أخت الرباب؟ .

(2) ف، ومن نسخة بحاشيتى الأصل، ت: «عدد القطر»، وفى الديوان: «عدد النجم». و «بهرا»: مصدر بمعنى الغلبة؛ وكأنه قال: غلبنى حبها واستولى علىّ.

لحا الله قومى إذ يبيعون مهجتى ... بجارية، بهرا لهم بعدها بهرا (1)

قال أبو عمرو: ويكون «بهرا» بمعنى «ظاهرا»؛ يريد حبّا ظاهرا، من قولهم: قمر باهر، وقد روى بعض الرواة أنه قال:

* قيل لى: هل تحبها؟ قلت: بهرا*

والرواية الأولى هى المشهورة، ولعلّ من روى ذلك فرّ بهذه الرواية من اللّحن.

[أبيات لعمر بن أبى ربيعة يقولها فى الثريا بنت عبد الله:]

وهذان البيتان لعمر بن أبى ربيعة المخزومىّ، من جملة أبيات منها:

من رسولى إلى الثّريّا بأنى ... ضقت ذرعا بهجرها والكتاب (2)

وهى مكنونة تحيّر منها ... فى أديم الخدّين ماء الشّباب

سلبتنى مجاجة المسك عقلى ... فسلوها بما يحلّ اغتصابى

أرهقت (3) أمّ نوفل إذ دعتها ... مهجتى، ما لقاتلى من متاب

حين قالت لها: أجيبى، فقالت: ... من دعانى؟ قالت: أبو الخطّاب

أبرزوها مثل المهاة تهادى ... بين خمس كواعب أتراب
ثمّ قالوا: تحبّها؟ قلت: بهرا ... عدد القطر والحصى والتّراب
والثريّا هى التى عناها عمر أمويّة، وقد اختلف فى نسبها، فقيل: إنها الثريّا بنت عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر. أبو عبد شمس، وقيل: إنها الثريّا بنت عليّ بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر. وذكر الزبير بن بكّار أن الثريا هى بنت عبد الله بن محمد

---

(1) البيت لابن ميادة، وهو فى اللسان (بهر)، والرواية فيه:
* تفاقد قومى إذ يبيعون مهجتى*
وفى حواشى الأصل، ت، ف: «قوله: «بهرا لهم بعدها بهرا» يجوز أن يكون الضمير فى «بعدها» للجارية؛ ويكون قد كرر «بهرا»، ويجوز أن يكون الضمير «لبهرا» الأولى؛ أى بهرا لهم بعدها بهرا؛ وإنما أنت لأنها كلمة، وتكون الجملة التى هى «بعدها بهرا» فى موضع الصفة لبهرا الأولى، ويجوز أن يكون الضمير للفعلة؛ أى البيعة».
(2) فى حاشيتى ت، ف: «أى امتناعها من الكتاب إلى، وقيل: هو يحلف بالمصحف».
(3) ت، ومن نسخة بحاشيتى الأصل، ف: «أزهقت».

ابن عبد الله بن الحارث بن أميّة الأصغر، وأنها أخت محمد بن عبد الله المعروف بأبى جراب العبلىّ (1) الّذي قتله داود بن عليّ.

[خبر عمر بن أبى ربيعة وابن أبى عتيق والثريا بنت عبد الله:]
وأخبرنا أبو عبيد الله/ قال حدثنى محمد بن عبد الله (2) قال حدثنا أحمد بن يحيى عن الزّبير بن بكّار قال حدثنى موسى بن عمر بن الأفلح قال: أخبرنى بلال، مولى ابن أبى عتيق فى حديث طويل لعمر بن أبى ربيعة مع الثريّا اختصرناه وأوردنا بعضه قال: لما سمع ابن أبى عتيق قول عمر:
* من رسولى إلى الثريّا بأنّى*
قال: إياى أراد: وبى نوّه، لا جرم! والله لا أذوق أكالا حتى أشخص إليه لأصلح بينهما، فنهض ونهضت معه، فجاء قوما من بنى الدّيل بن بكر، لم تكن النجائب تفارقهم يكرونها فاكترى منهم راحلتين، وأعلى لهم بهما، فقلت له: استوضعهم شيئا، أو دعنى أماكسهم فقد اشتطّوا، فقال لى: ويحك! أما علمت أن المكاس ليس من خلق الكرام! وركب إحداهما، وركبت الأخرى، فسار سيرا شديدا، فقلت له. ارفق على نفسك، فإنّ ما تريد لا يفوتك، فقال: ويحك!
* أبادر حبل الود أن يتقضّبا*
وما ملح الدنيا إن يتمّ الصّدع بين عمر والثّريا! فقدمنا مكة ليلا غير محرمين، فدق على عمر بابه، فخرج إليه فسلّم عليه، فما نزل ابن أبى عتيق عن راحلته، وقال لعمر: اركب أصلح بينك وبين الثريّا، فأنا رسولك الّذي سألت عنه، فركب معه، فقدمنا الطائف، فقال ابن أبى عتيق للثريّا: هذا

عمر، قد جشّمنى إليك سفر المدينة، فجئتك به، معترفا بذنب لم يجنه، معتذرا من إساءتك إليه، فدعينى من التّعداد والتّرداد، فإنه من الشعراء الذين يقولون ما لا يفعلون؛ فصالحته أحسن صلح، وكررنا راجعين إلى المدينة، ولم يقم ابن أبى عتيق بمكة ساعة واحدة.

---

(1) فى حاشيتى ت، ف: «عبلة: اسم جارية؛ وأمية الصغرى، وهم حي من قريش؛ يقال لهم: العبلات؛ بالتحريك، والنسبة إليهم عبلى [بسكون الباء] ردا إلى الواحد لأن أمهم عبلة».
(2) ت: «محمد بن إبراهيم»؛ وهو من رواة المرزباني أيضا، وانظر الموشح: 45.

وفى الثريا يقول عمر أيضا لما تزوّجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف؛ المكتنى بأبى الأبيض، وقيل بل تزوّجها سهيل بن عبد العزيز بن مروان:

أيّها المنكح الثّريّا سهيلا ... عمرك الله كيف يلتقيان! (1)
هى شاميّة إذا ما استقلّت ... وسهيل إذا استقلّ يمانى

---

(1) ديوانه: 495.

26 مجلس آخر [المجلس السادس والعشرون:]

تأويل آية [: فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ ما غَشِيَهُمْ]

إن سأل سائل عن قوله تعالى: فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ ما غَشِيَهُمْ؛ [طه: 78].

فقال: ما الفائدة فى قوله: ما غَشِيَهُمْ، وقوله: غَشِيَهُمْ يدل عليه، ويستغنى به عنه، لأن غَشِيَهُمْ لا يكون إلّا الّذي غشيهم، وما الوجه فى ذلك؟

قلنا: قد ذكر/ فى هذا أجوبة:

أحدها أن يكون المعنى: فغشيهم من اليمّ البعض الّذي غشيهم، لأنه لم يغشهم جميع مائه، بل غشيهم بعضه، فقال

تعالى: ما غَشِيَهُمْ؛ ليدل على أنّ الّذي غرّقهم بعض الماء، وأنّهم لم يغرقوا بجميعه؛ وهذا الوجه حكى عن الفرّاء، وذكره أبو بكر الأنبارىّ، واعتمده، وغيره أوضح منه.

واليم هو البحر، قال الشاعر:

وبنى تبّع على اليمّ قصرا ... عاليا مشرفا على البنيان

وثانيها أن يكون المعنى: فغشيهم من اليم ما غشى موسى وأصحابه؛ وذلك أن موسى عليه السلام وأصحابه، وفرعون وأصحابه سلكوا جميعا البحر، وغشيهم كلّهم؛ إلّا أنّ فرعون وقومه لمّا غشيهم

غرّقهم، وموسى عليه السلام وقومه جعل لهم فى البحر طريق يبس، فقال تعالى:
فغشى فرعون وقومه من ماء اليم ما غشى موسى وقومه، فنجا هؤلاء، وهلك هؤلاء.
وعلى هذا الوجه والتأويل تكون الهاء فى قوله: ما غَشِيَهُمْ كناية عن غير من كنّى عنه بقوله:
فَغَشِيَهُمْ؛ لأن الأولى كناية عن فرعون وقومه، والثانية كناية عن موسى وقومه.
وثالثها أنه غشيهم من عذاب اليمّ وإهلاكه لهم ما غشى الأمم السالفة من العذاب

والهلاك عند تكذيبهم أنبياءهم، وإقامتهم على ردّ أقوالهم والعدول عن إرشادهم، والأمم السالفة؛ وإن لم يغشهم العذاب والإهلاك من قبل البحر، فقد غشيهم عذاب وإهلاك استحقوهما بكفرهم وتكذيبهم أنبياءهم، فشبّه بينه وبين هؤلاء من حيث اشتمال العذاب على جميعهم عقوبة على التكذيب.
ورابعها أن يكون المعنى: فغشيهم من قبل اليم ما غشيهم من العطب والهلاك؛ فتكون لفظة غَشِيَهُمْ الأولى للبحر والثانية للهلاك والعطب اللذين لحقاهم من قبل البحر.
ويمكن فى الآية وجه آخر لم يذكر فيها، يليق بمذاهب العرب فى استعمال مثل هذا اللفظ، وهو أن تكون الفائدة فى قوله تعالى: ما غَشِيَهُمْ تعظيم الأمر وتفخيمه؛ كما يقول القائل:
فعل فلان ما فعل، وأقدم على ما أقدم، إذا أراد التفخيم وكما قال تعالى: وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ؛ [الشعراء: 19]، وما يجرى/ هذا المجرى؛ ويدخل فى هذا الباب قولهم للرجل: هذا هذا، وأنت أنت. وفى القوم: هم هم؛ قال الهذلىّ (1):
رفونى وقالوا: يا خويلد لا ترع ... فقلت، وأنكرت الوجوه: هم هم (2)
وقال أبو النجم:
* أنا أبو النّجم، وشعرى شعرى (3) *
كل ذلك أرادوا تعظيم الأمر وتكبيره:

---

(1) هو أبو خراش الهذلى.
(2) ديوان الهذليين 2: 144. ورفونى: سكنونى، وأصلها:
«رفئونى»، بالهمز.
(3) معاهد التنصيص، وبعده:
* لله درّى ما يجنّ صدرى*.

تأويل آية أخرى [: فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ]
إن سأل سائل عن قوله تعالى: فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ؛ [النحل: 26]
فقال: ما الفائدة فى قوله: مِنْ فَوْقِهِمْ؛ وهو لا يفيد إلا ما يفيده قوله: فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ؛ لأنّ مع الاقتصار على القول الأول لا يذهب وهم أحد إلى أن السقف يخرّ من تحتهم؟
الجواب، قيل له فى ذلك أجوبة:
أولها: أن يكون «على» بمعنى «عن»، فيكون المعنى: فخرّ عنهم السقف من فوقهم؛ أى خرّ عن كفرهم وجحودهم بالله تعالى وآياته، كما يقول القائل: اشتكى فلان عن دواء شربه، وعلى دواء شربه، فيكون «على» و «عن» بمعنى من أجل الدّواء؛ كذلك يكون معنى الآية فخرّ من أجل كفرهم السّقف من فوقهم؛ قال الشاعر:
أرمى عليها وهى فرع أجمع ... وهى ثلاث أذرع وإصبع
أراد: أرمى عنها؛ لأن كلام العرب: رميت عن القوس، فأقام «على» مقام «عن»، ولو أنه قال تعالى على هذا المعنى: فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ، ولم يقل مِنْ فَوْقِهِمْ جاز أن يتوهم متوهم أن السقف خرّ وليس هم تحته.
وثانيها: أن يكون «على» بمعنى اللام؛ والمراد: فخر لهم السقف؛ فإن «على» قد تقام مقام اللام؛ وحكى عن العرب: ما أغيظك علىّ! وما أغمّك علىّ! يريدون: ما أغيظك، وما أغمّك لى! ، قال الطّرمّاح يصف ناقة:
كأنّ مخوّاها على ثفناتها ... معرّس خمس وقّعت للجناجن (1)

(1) ديوانه: 168. يقال: خوى البعير؛ إذا تجافى فى بروكه ومكن لثفناته، والثفنات: جمع ثفنة؛ وهو من البعير ركبته، وما مس الأرض من
كركرته وأصول أفخاذه، والمعرس: محل التعريس، وهو النزول-

أراد: وقّعت على الجناجن؛ وهى عظام الصدر، فأقام اللام مقام «على».
وقد يقول القائل أيضا: تداعت على فلان داره، واستهدم عليه حائطه، ولا يريد أنه كان تحته؛ فأخبر تعالى بقوله: مِنْ فَوْقِهِمْ عن فائدة؛ لولاه ما فهمت. ولا جاز أن يتوهّم متوهّم فى قوله تعالى: فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ ما يتوهمه من قوله: خرب عليه ربعه، ووقفت عليه دابته، وأشباه ذلك.
وللعرب فى هذا مذهب ظريف لطيف؛ / لأنهم لا يستعملون لفظة «على» فى مثل هذا الموضع إلا فى الشرّ والأمر المكروه الضارّ، ويستعملون اللام وغيرها فى خلاف ذلك؛ ألا ترى أنهم لا يقولون: عمرت على فلان ضيعته، بدلا من قولهم: خربت عليه ضيعته، ولا ولدت عليه جاريته؛ بل يقولون: عمرت له ضيعته، وولدت له جاريته؛ وهكذا من شأنهم إذا قالوا: «قال علىّ»؛ و «روى علىّ»؛ فإنه يقال فى الشرّ والكذب، وفى الخير والحق؛ يقولون: «قال عنّى» و «روى عنّى»؛ ومثل ذلك قوله تعالى: وَاتَّبَعُوا ما تَتْلُوا الشَّياطِينُ عَلى مُلْكِ سُلَيْمانَ؛ [البقرة: 102]، لأنهم لما أضافوا الشّرّ والكفر

إلى ملك سليمان حسن أن يقال: «يتلون عليه»، ولو كان خيرا لقيل عنه، ومثله وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ؛ [آل عمران: 75]، وقوله: أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ، [يونس: 68]؛ وقال الشاعر (1):

عرضت نصيحة منّى ليحيى ... فقال: غششتنى، والنّصح (2) مرّ
وما بى أن أكون أعيب يحيى ... ويحيى طاهر الأخلاق برّ

- آخر الليل. وفى حاشية الأصل: «يعنى كأن تجاوف أعضائها المتجافية عند البروك معرس لخمس أنوق»؛ والبيت برواية القالى (الأمالى 3: 165):

لها تفرات تحتها وقصارها ... على مشرة لم تعتلق بالمحاجن.

(1) فى حواشى الأصل، ت، ف: «كان رجل من بنى حنيفة يقال له يحيى، يجيء إلى امرأة يقال لها بقعاء فى قرية من قرى اليمامة، فنهاه ابن أرطاة الأعرجى عنها، فلم يقبل إلى أن رصد فجرح، فقال الأعرجى: عرضت ... الأبيات».

(2) الأبيات فى الكامل 1: 158 - بشرح المرصفى.

ولكن قد أتانى أنّ يحيى ... يقال عليه فى بقعاء شرّ (1)
فقلت له: تجنّب كلّ شيء ... يعاب عليك، إنّ الحرّ حرّ

ومثله قول الفرزدق فى عنبسة بن معدان المعروف بعنبسة الفيل- وقد كان يتتبّع شعره ويخطّئه ويلحّنه:

لقد كان فى معدان والفيل زاجر ... لعنبسة الراوى عليّ القصائدا

فقال: «عليّ» ولم يقل: «عنّى» للمعنى الّذي ذكرناه.

وثالث الوجوه أن يكون مِنْ فَوْقِهِمْ تأكيدا للكلام وزيادة فى البيان، كما قال تعالى: وَلكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ؛ [الحج: 46]، والقلب لا يكون إلّا فى الصدر؛ ونظائر ذلك فى الكتاب وكلام العرب كثيرة (2).

---

(1) حواشى الأصل، ت، ف: «بقعاء فى البيت: اسم امرأة. وبقعاء: ماء بالبادية، قالت امرأة من العرب:

ومن يهد لى من ماء بقعاء شربة ... فإنّ له من ماء لينة أربعا
لقد زادنى حبّا لبقعاء أنّنى ... رأيت مطايانا بلينة ظلّعا
فمن مبلغ أختىّ بالرّمل أنّنى ... بكيت فلم أترك بعينىّ مدمعا!

- بقعاء ماؤها زعاق، وماء لينة عذب، وإنما تشكو لينة؛ لأن زوجها حملها إليها وهو عنين، فذلك قولها:

* رأيت مطايانا بلينة ظلّعا*

ومثله:
تظلّ المطايا حائدات عن الهدى ... إذا ما المطايا لم تجد من يقيمها.
(2) حواشي الأصل، ت، ف: «من ذلك قوله تعالى: وَلا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ، وقوله عز من قائل: فَصِيامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذا رَجَعْتُمْ، تِلْكَ عَشَرَةٌ كامِلَةٌ.

تأويل خبر [: «إنّ هذا القرآن مأدبة الله ...]
إن سأل سائل عن الخبر الّذي يرويه نافع عن أبي إسحاق الهجريّ عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: «إنّ هذا القرآن مأدبة الله، فتعلّموا مأدبته ما استطعتم؛ وإنّ أصفر البيوت لجوف (1) أصفر من كتاب الله تعالى»
فقال: ما تأويله؟ وكيف بيان غريبه؟ .
الجواب؛ قلنا: المأدبة فى كلام العرب هى الطعام، يصنعه (2) الرجل ويدعو/ الناس إليه؛ فشبه النبيّ صلى الله عليه
وآله ما يكتسبه الإنسان من خير القرآن ونفعه وعائدته عليه إذا قرأه وحفظه؛ بما يناله المدعوّ من طعام الداعى وانتفاعه به؛ يقال: قد أدب الرجل يأدب فهو آدب؛ إذا دعا الناس إلى طعامه. ويقال للمأدبة المدعاة؛ وذكر الأحمر أنه يقال فيها أيضا:
مأدبة، بفتح الدال؛ قال طرفة:
نحن فى المشتاة ندعو الجفلى ... لا ترى الآدب فينا ينتقر (3)
ومعنى «الجفلى» أنه عمّ بدعوته ولم يخصّ بها قوما دون قوم، والنّقرى إذا خصّ بها بعضا دون بعض، ومعنى «ينتقر» من النّقرى؛ قال بعض هذيل:
وليلة يصطلى بالفرث جازرها ... يختصّ بالنّقرى المثرين داعيها (4)
لا ينبح الكلب فيها غير واحدة ... عند الصّباح ولا تسرى أفاعيها
معنى «يصطلى بالفرث جازرها» أن الجازر إذا شقّ فيها الكرش أدخل يده لشدّة البرد فى الفرث مستدفئا به. ومعنى: «يختصّ بالنّقرى المثرين داعيها»؛ أنه يخصّ بدعائه إلى طعامه الأغنياء الذين يطمع من جهتهم فى المكافأة، وقال الآخر:

---

(1) حاشية ت (من نسخة): «لبيت».
(2) ت: «يضعه».
(3) ديوانه: 68.
(4) البيتان من مقطوعة فى (ديوان الهذليين 3: 126)، منسوبة إلى جنوب فى رثاء أخيها عمرو ذى الكلب.

قالوا ثلاثاؤه خصب ومأدبة ... فكلّ أيّامه يوم الثّلاثاء

وقال الهذليّ (1) يصف عقابا:

كأنّ قلوب الطّير فى جوف وكرها ... نوى القسب يلقى عند بعض المآدب (2)

أراد جمع مأدبة.

وقد روى هذا الحديث بفتح الدال «مأدبة»، وقال الأحمر: المراد بهذه اللفظة مع الفتح هو المراد بها مع الضمّ.

وقال غيره: المأدبة، بفتح الدال «مفعلة» من الأدب؛ معناه أنّ الله تعالى أنزل القرآن أدبا للخلق، وتقويما لهم، وإنما دخلت الهاء فى مأدبة ومأدبة، والقرآن مذكّر، لمعنى المبالغة؛ كما قالوا: هذا شراب مطيبة للنفس؛ وكما قال

عنترة:

* والكفر مخبثة لنفس المنعم (3) *

وجرى ذلك مجرى قولهم: رجل علّامة ونسّابة/ فى باب المدح على جهة التشبيه بالداهية، ورجل هلباجة (4) فى باب الذم على جهة التشبيه بالبهيمة.

[ذكر أنواع المآدب وأسمائها وما ورد فى ذلك من الشعر:]

ويقال لطعام الإملاك: وليمة، ولطعام الختان: العذيرة، ولطعام الزّفاف: العرس، ولطعام بناء الدار: الوكيرة، ولطعام حلق (5) الشعر: العقيقة، ولطعام القادم من السفر: النّقيعة، ولطعام النّفاس: الخرس، والّذي تطعمه النّفساء: الخرسة، قال الشاعر:

إذا النّفساء لم تخرّس ببكرها ... غلاما ولم يسكت بحتر فطيمها (6)

الحتر: الشيء القليل، وقال آخر:

---

(1) هو صخر الغى.

(2) ديوان الهذليين 2: 55، والقسب: التمر اليابس يتفتت فى الفم.

(3) من المعلقة، ص 201 – بشرح التبريزى؛ وصدره:

* نبّئت عمرا غير شاكر نعمتى*.

(4) الهلباجة: الفدم الضخم الأكول.

(5) حاشية ت (من نسخة): «حلق الرأس».

(6) ت: «بختر» والبيت للأعلم الهذلى؛ كما فى اللسان (خرس– حتر)، وهو أيضا فى المقاييس 2: 167، وفى حواشى الأصل، ت، ف: «كأنه يصف سنة، وأن النفساء المنفوسة بالبكر الغلام لا تخرس، ولا يسكت فطيمها بأدنى شيء».

كلّ الطّعام تشتهى ربيعة ... الخرس والإعذار والنّقيعه (1)
ويروى: «العرس». وينشد أيضا فى النقيعة قول الشاعر:
إنّا لنضرب بالسّيوف رءوسهم ... ضرب القدار نقيعة القدّام (2)
والقدار: الجزّار. والقدّام: جمع قادم.
وقال أبو زيد: يقال لطعام الإملاك: النّقيعة، ولطعام بناء الدار: الوكيرة، ولطعام الختان: الإعذار والعذيرة.
وقال الفرّاء: الشّندخىّ (3): طعام الإملاك، والوليمة: طعام العرس.
وقال أبو زيد: يقال من النّقيعة نقعت. وقال الفراء: منها أنقعت.
وقال ابن السّكّيت: يقال للطعام الّذي يتعلّل به قدّام الغداء؛ السّلفة واللهنة؛ يقال:
الأصمعىّ: فلان لهنوا ضيفكم، أى أطعموه اللهنة، قال الشاعر:
عجيّز عارضها منفلّ ... طعامها اللهنة أو أقلّ (4)
وقال ابن السّكّيت: يقال فلان يأكل الوزمة إذا كان يأكل أكلة فى اليوم. وقال يأكل الوجبة، إذا كان يأكل فى اليوم والليلة أكلة، قال بشار:
فاستغن بالوجبات عن ذهب ... لم يبق فيه لامرئ ذهبه
وقال ابن السّكّيت: قال الأصمعىّ لرجل أسرع فى سيره: كيف كان سيرك؟ فقال:

---

(1) البيتان فى اللسان (خرس).
(2) البيت فى اللسان (قدر)، ونسبه إلى المهلهل، وفى حاشية الأصل: «هذا من باب تسمية الشيء بما يئول إليه؛ أى اللحم الّذي يصير نقيعا؛ كقوله تعالى: إِنِّي أَرانِي أَعْصِرُ خَمْراً.
(3) ت: «الشندخى»، بضم الشين وفتح الدال، وفى د، وحاشية ت (من نسخة):
«الشندخى»، بضم الشين مع الألف المقصورة، وفى ج، ش: الشندخى»، بفتح الشين وضم الدال.
وفى حواشى الأصل، ت، ف: «رواه الأزهرى الهروى عن الفراء «الشنداخى»، وهو الصحيح، وقال: هو طعام البناء».
(4) البيتان فى اللسان (فلل)؛ والثانى فى اللسان أيضا (لهن)، ونسبه إلى عطية الديبرى. العارض: السن التى فى عرض الفم، وانفل: تكسر.

كنت آكل الوجبة، وأنجو الوقعة، وأعرّس إذا أفجرت، وأرتحل إذا أسفرت، وأسير الوضع، وأجتنب/ الملع، فجئتكم لمسى سبع.
قوله: «أنجو الوقعة»، معناه أقضى حاجتى مرة فى اليوم، وهو من النّجو.
وقوله: «أسير الوضع»، فالوضع: سير فيه بعض الإسراع، والملع: سير أشدّ منه، فأراد أنه يجتنب الشديد من السير؛ كراهة أن يقف ظهره قبل أن يبلغ الأرض التى يقصد لها؛ ويقال: شرّ السّير الحقحقة، أى السير الحديد (1) الّذي

يقطع صاحبه عن بلوغ بغيته، قال الشاعر:
إذ ما أردت الأرض ثمّ تباعدت ... عليك فضع رحل المطيّة وانزل
أى استرح حتى تقوى على السير، فإن جهدت نفسك لم تقطع أرضا، ولم تبق ظهرا؛ وهذا من أبيات المعانى التى يسأل عنها، والّذي قيل فيه ما ذكرناه. ويمكن أن يكون معنى البيت: إذا بعدت عليك أرض فدعها واسل عنها؛ كما يقال: دواء ما عزّ مطلبه الصّبر؛ وما جرى مجرى ذلك من ألفاظ التسلية؛ والأمر بالعدول عن تتبّع ما صعب من الأمور (2).
وقال الآخر فى معنى البيت الأول:
نقطّع بالنّزول الأرض عنّا ... وبعد الأرض يقطعه النّزول
وقوله: «لمسى سبع»، معناه لمساء سبع ليال.
ويقال للذى يحضر طعام القوم من غير أن يدعوه إليه: الوارش والوروش.
وقول العامة: طفيلىّ مولّد لا يوجد فى العتيق من كلام العرب، وأصل ذلك أن رجلا يقال له طفيل، كان بالكوفة لا يفقد من وليمة من غير أن يدعى إليها، فقيل للوارش: طفيلىّ؛ تشبيها بطفيل هذا فى وقته.

---

(1) ت، د، ف، حاشية الأصل (من نسخة): «الشديد».
(2) حواشى الأصل، ت، ف: «مثله: أرخص ما يكون النفط إذا غلا؛ يعنى أنه لا يشرى فيكون رخيصا».

ويقال للذى يحضر شراب القوم من غير أن يدعى إليه واغل؛ قال امرؤ القيس:
فاليوم فاشرب غير مستحقب ... إثما من الله ولا واغل (1)
ويقال لما يشربه الواغل: الوغل، قال الشاعر:
إن أك مسكرا فلا أشرب ال ... وغل ولا يسلم منّى البعير (2)
وقوله صلى الله عليه وآله: «إنّ أصفر البيوت لجوف أصفر من كتاب الله»، معناه:
أخلى البيوت/؛ والصّفر عند العرب: الخالى؛ من الآنية وغيرها. ويمكن فى قوله: «مأدبة» وجه آخر؛ وهو أن يكون وجه التشبيه للقرآن بالمأدبة وتسميته بها من حيث دعا الخلق إليه، وأمرهم بالاجتماع عليه، فسماه عليه السلام «مأدبة» لهذا الوجه، لأن المأدبة هى التى يدعى الناس إليها، ويجتمعون عليها؛ وهذا الوجه يخالف الأول، لأن الأول تضمّن أنّ وجه التشبيه من حيث النفع العائد على الحافظ للقرآن كما ينتفع المدعوّ إلى المأدبة بما يصيبه من
الطّعام. وهذا الوجه الآخر تضمّن أن التشبيه وقع لاجتماع الناس فى الدعاء إليه، والإرشاد إلى إصابته. وليس يبعد أن يريد عليه السلام بالخبر المعنيين معا، فلا تنافى بينهما (3).

*** [أخبار متفرقة عن الأصمعىّ وحضور ذهنه عند إنشاء الشعر:]

أخبرنا أبو الحسن على بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم قال:

(1) ديوانه: 150، والرواية فيه:
* فاليوم أسقى غير مستحقب*
وفى حاشية ت (من نسخة):
* فاليوم أشرب غير مستحقب*.
(2) اللسان (وغل)، ونسبه لعمرو بن قميئة.
(3) فى حاشيتى الأصل، ف: «ويمكن أن يكون فى معنى الخبر وجه آخر، وهو أنه عليه السلام إنما شبه القرآن بالمأدبة لما اشتملت عليه المأدبة من أنواع الأطعمة، من الحلو والحامض والمالح وغير ذلك مما لا يكون فى غير المآدب، فكذلك القرآن يشتمل على أنواع من العلوم لا توجد فى غيره، كما قال تعالى: وَلا رَطْبٍ وَلا يابِسٍ إِلَّا فِي كِتابٍ مُبِينٍ، وهذا وجه عن الشيخ الإمام جمال الدين أبى الفتوح الرازى رحمه الله فى أثناء الدرس، وهو أقرب وأشبه من الوجهين المذكورين».

(1/358)

كنّا فى مجلس الأصمعىّ إذ أقبل أعرابىّ فقال: أين عميدكم؟ فأشرنا إلى الأصمعىّ، فقال له:
ما معنى قول الشاعر:
لا مال إلّا العطاف تؤزره ... أمّ ثلاثين وابنة الجبل (1)
لا يرتقى النزّ فى ذلاذله ... ولا يعدّى نعليه من بلل (2)
فقال الأصمعىّ:
عصرته نطفة تضمّنها ... لصب تلقّى مواضع السّبل
أو وجبة من جناة أشكلة ... إن لم يرغها بالقوس لم تنل (3)
قال: فأدبر الأعرابىّ وهو يقول: لم أر كاليوم عضلة (4).
قال ابن دريد: إنما وصف رجلا خائفا فى رأس جبل؛ يقول: لا مال له إلّا العطاف- وهو السّيف- تؤزره أمّ ثلاثين؛ يعنى كنانة فيها ثلاثون سهما. وابنة الجبل؛ يعنى القوس، لأنها تعمل من شجر الجبال مثل النّبع وغيره.
وقوله: «لا يرتقى النّزّ فى ذلاذله»، لأنه فى رأس جبل؛ فلا نزّ هناك يتعلق بما يفضل من ثيابه، ولا بلل يعدّى نعليه عنهما.
والعصرة: الملجأ. والنّطفة: الماء المجتمع فى صخر أو غيره من بقيّة ماء المطر. واللّصب: الشّق فى الجبل أضيق من اللهب (5) وأوسع من الشّعب. والسّبل: المطر.
والوجبة: أن يأكل كلّ يوم مرة. والأشكل: السّدر الجبلىّ، واحده أشكلة؛ يقول:

(1) الأبيات فى اللسان (عطف)، وروى عن ثعلب أنها فى وصف صعلوك. وفى حواشى الأصل، ت، ف: «أصل العطاف الرداء؛ فشبه به السيف»، وتؤزره: تعينه.

(2) النز: الماء الّذي يتحلب من الأرض والذلاذل: أسافل القميص الطويل.
(3) حاشية الأصل (من نسخة): «يرغها» بفتح الياء وضم الراء، وفيها: «أراغ معناه طلب، وراغ: مال؛ يقال:
راغ إليه؛ فحذف حرف الجر، وأوصل الفعل؛ ومن ذلك قوله تعالى: وَاخْتارَ مُوسى قَوْمَهُ».
(4) العضلة: الداهية؛ يقال: فلان عضلة وعضل، أى شديد داهية.
(5) اللهب: الطريق بين الجبلين.

(1/359)

فهذه النطفة والوجبة من الأشكلة/ عصرتاه. وقوله: «إن لم يرغها بالقوس»؛ يعنى أنها لا تنال باليد حتى تحرّك بالقوس.
قال سيدنا أدام الله علوّه: وإنما جعل الأصمعىّ إنشاد باقى الأبيات دلالة على معرفة معناها؛ لأنه يبعد أن يعرفها ولا يعرف معناها، والأعرابىّ إنما سأل عن المعنى، فأقام إنشاده لها مقام تفسيرها، واستغنى الأعرابى بذلك وعلم بإتمامه للأبيات معرفته بمعانيها.
وكان الأصمعى كثيرا إذا أنشد شيئا من الشعر ينشد فى معناه فى الحال، فمن ذلك أن إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ أنشده يوما لنفسه:
إذا كانت الأحرار أصلي ومنصبى ... وقام بنصرى خازم وابن خازم
عطست بأنف شامخ وتناولت ... يداى الثّريّا قاعدا غير قائم
قال: فلما فرغت من إنشادهما أنشد بعقب ذلك:
ألا أيّها السائلى جاهلا ... ليعرفنى، أنا أنف الكرم
نمت فى الكرام بنى عامر (1) ... فروعى وأصلي قريش العجم (2)
قال: فجاء والله بالشّعر الّذي نحوته وعملت بيتىّ عليه.
وأخبرنا أبو عبيد الله المرزبانىّ قال حدثنا محمد بن يحيى الصولىّ قال حدثنا عون بن محمد قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال: ما أنشدت الأصمعىّ شيئا قط إلا أنشدنى مثله؛ كأنه أعدّه لى، فأنشدته يوما للأعشى:
علّقتها عرضا وعلّقت رجلا ... غيرى وعلّق أخرى غيرها الرّجل (3)

---

(1) حاشية الأصل (من نسخة):
* نمت فى الكرام بنو عامر*.
(2) حاشية الأصل: «يقول: أصلي قريش الذين يسكنون بلاد العجم وفرعى بنو عامر؛ كأن أباه قرشى وأمه عامرية».
(3) ديوانه: 43، وفى حاشية الأصل: «أى عشقتها اعتراضا لا قصدا واعتزاما، ومثله:
جننت بليلى وهى جنّت بغيرنا ... وأخرى بنا مجنونة لا نريدها.

فأنشدنى من وقته:
قتلتك أخت بنى لؤى إذ رمت ... وأصاب نبلك إذ رميت سواها (1)
وأعارها الحدثان منك مودّة ... وأعار غيرك ودّها وهواها
وذكر أبو العيناء قال: كان الأصمعىّ إذا سمع إنسانا ينشد شعرا فى معنى أنشد فى ذلك المعنى من غير أن يريه أنه أراده، فأنشده رجل قول القطامىّ:
/ والناس من يلق خيرا قائلون له ... ما يشتهى، ولأمّ المخطئ الهبل (2)
فأنشد هو قول قعنب الفزارىّ:
فمن يلق خيرا يحمد النّاس أمره ... ومن يغو لا يعدم على الغىّ لائما (3)
وروى ميمون بن هارون قال: سمعت إسحاق بن إبراهيم يقول: أنشدت الأصمعىّ قول الأعشى، طلبا أن ينشدنى مثله- وكان مع بخله بالعلم لا يضنّ بمثل هذا:
إن تركبوا فركوب الخيل عادتنا ... أو تنزلون فإنّا معشر نزل (4)
فأنشدنى لربيعة بن مقروم الضبىّ.
ولقد شهدت الخيل يوم طرادها ... بسليم أو ظفة القوائم هيكل (5)
فدعوا نزال، فكنت أوّل نازل ... وعلام أركبه إذا لم أنزل!
وروى عن إسحاق بن إبراهيم أيضا أنه قال: دخل يوما إلى الأصمعىّ، وعندى أخ

---

(1) البيتان لعدى بن الرقاع؛ وهما فى مجموعة الطرائف 92، ومعجم البلدان 8: 204.
(2) جمهرة الأشعار: 303؛ وفى حاشية الأصل: «يقول: من أصاب مالا قيل له ما يشتهى ولا يخالف، ومن تجاوزه المال خولف فى كل شيء ولعن».
(3) كذا ذكره المؤلف؛ ونسبه المفضل الضبى إلى المرقش الأصغر، وانظر المفضليات: 247 (طبعة المعارف).
(4) ديوانه: 48، وروايته:
* قالوا الرّكوب فقلنا تلك عادتنا*.
(5) خزانة الأدب 3: 565. الأوظفة: جمع وظيف، وهو مستدق الذراع والساق من الخيل.
والهيكل: الضخم المشرف.

للعمانىّ الراجز، حافظ رواية، فلما دخل عبث به أخو العمانى [، فقال له: من هذا؟ قال: هو الباهلىّ الّذي يقول] (1):
فما صحفة مأدومة بإهالة ... بأطيب من فيها ولا أقط رطب (2)

فقال له قبل أن يستتم كلامه: هو على كلّ حال أصلح من قول أخيك العمانىّ:
يا ربّ جارية حوراء ناعمة ... كأنّها عومة فى جوف راقود (3)
قال إسحاق: فقلت له: أكنت أعددت هذا الجواب؟ قال: لا، ولكن ما مرّ بى شيء إلا وأنا أعرف منه طرفا.

---

(1) من نسخة بحاشيتى الأصل، ت: «فقال: من هذا الباهلى الّذي يقول».
(2) الصحفة: قصعة دون الجفنة والإهالة: الشحم المذاب. والأقط: شيء يتخذ من المخيض الغنمى.
(3) حواشى الأصل، ت، ف: «العومة: دويبة تسبح فى الماء، كأنها فص أسود مدملك. والعومة: ضرب من السمك معروف». والراقود: دن كبير.

27 مجلس آخر [المجلس السابع والعشرون:]
تأويل آية [: وَقالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ ...]
إن سأل سائل عن قوله تعالى: وَقالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقالَتِ النَّصارى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْواهِهِمْ؛ [التوبة: 30].
فقال: أىّ معنى لقوله: بِأَفْواهِهِمْ ومعلوم أنّ القول لا يكون إلا بالأفواه؟ .
الجواب، قلنا: المقول يحتمل معنيين فى لغة العرب: أحدهما القول باللّسان، والآخر بالقلب، فالقول الّذي يضاف إلى القلب هو الظّنّ والاعتقاد، ولهذا المعنى ذهبت العرب بالقول مذهب الظّن/ فقالوا: أتقول عبد الله خارجا؟ ومتى تقول محمدا منطلقا؟ يريدون: متى تظن؟
قال الشاعر:
أما الرّحيل فدون بعد غد ... فمتى تقول الدّار تجمعنا! (1)
أراد: فمتى تظن الدار! وقال الآخر:
أجهّالا تقول بنى لؤىّ ... لعمر أبيك أم متجاهلينا! (2)
أراد: تظن بنى لؤىّ، وقال توبة بن الحميّر:
ألا يا صفىّ النّفس كيف تقولها ... لو أنّ طريدا خائفا يستجيرها (3)

---

(1) البيت لعمر بن أبى ربيعة، ديوانه: 394.
(2) البيت للكميت بن زيد الأسدى؛ وهو من (شواهد ابن عقيل على الألفية 1: 397)، وفى حاشية الأصل: «لا يجوز أن تنصب جهالا بتقول إذا جعلته على معنى القول، لأن القول لا يتعدى إلى ما كان مما لا يندرج تحت السمع، والجهال جثت، فلا يتأتى ذلك فيها، فلا بد أن يكون قال بمعنى ظن، ولهذا يصح أن تقول: سمعت زيدا يقرأ ويقول ويتكلم ويشعر، ولا تقول: سمعت زيدا

يضرب؛ لأن السمع يقع على ما يسمع».
(3) البيتان من قصيدة طويلة؛ ذكرت بتمامها فى تزيين الأسواق 96 – 98.

تخبّر إن شطّت بها غربة النّوى ... ستنعم ليلى أو يفكّ أسيرها (1)
أراد: كيف تظنها؟ فلما كان القول يستعمل فى الأمرين معا أفاد قوله تعالى: بِأَفْواهِهِمْ قصر المعنى على ما يكون باللسان دون القلب، ولو أطلق القول، ولم يأت بذكر الأفواه لجاز أن يتوهّم المعنى الآخر:
ومما يشهد لذلك قوله تعالى: إِذا جاءَكَ الْمُنافِقُونَ قالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنافِقِينَ لَكاذِبُونَ؛ [المنافقون: 1]، فلم يكذّب الله تعالى قول ألسنتهم: لأنهم لم يخبروا بأفواههم إلّا بالحق، بل كذّب
ما يرجع إلى قلوبهم من الاعتقادات.
ووجه آخر وهو أن تكون الفائدة فى قوله تعالى: بِأَفْواهِهِمْ أنّ القول لا برهان عليه، وأنه باطل كذب لا يرجع فيه إلّا إلى مجرّد القول باللسان؛ لأن الإنسان قد يقول بلسانه الحقّ والباطل، وإنما يكون قوله حقّا إذا كان راجعا إلى قلبه، فتكون إضافة القول إلى اللسان تقتضى ما ذكرناه من الفائدة، وهذا كما يقول القائل لمن يشكّ فى قوله أو يكذبه:
هكذا تقول بلسانك، وليس الشأن فيما تقوله وتتفوّه به وتقلّب به لسانك؛ فكأنّهم أرادوا أن يقولوا: هذا قول لا برهان عليه، فأقاموا قولهم: هكذا تقول بلسانك، وإنما يقولون كذا بأفواههم مقام ذلك؛ والمعنى أنه قول لا تعضده حجّة ولا برهان، ولا يرجع فيه إلا إلى اللسان.

---

(1) حواشى الأصل، ت، ف: «فى ديوانه: «تجير وإن شطت»، يخاطب الشاعر صديقا له فيقول: يا صفىّ نفسى، كيف تظن ليلى الأخيلية لو استجار بها مستجير! ثم استأنف فقال: هى تجير وإن كانت قد عذبتنا بالفراق، ثم قال: ستنعم ليلى أو يفادى أسيرها، ويعنى بالأسير نفسه، أى ستجود يوما أو أفتدي نفسى منها، هذا إذا روى: «تجير وإن شطت»، وكذلك هو فى ديوانه، وأما وجه ما رواه السيد: «تخبر»، فمعناه: تخبرنى أنت يا صفىّ نفسى إن تناءت أنها ستنعم، وإن رويت: «أن شطت» بالفتح كان المعنى: لأن تناءت. وعلى ما ذكره السيد رضى الله عنه يمكن أن يذكر للبيت وجه آخر؛ وهو أنه يقول ويخاطب صديقا له: كيف تظنها لو أنى استجرت بها! كنى عن نفسه بالخائف المستجير ثم يقول:
تخبر يا خليلى، يعنى أنى أعلم أنك تقول: هى إما أن تنعم بالوصال أو أنا أسلو؛ وهذا معنى: «يفك أسيرها»، لأنه إذا سلا فقد فك أسره؛ وهذا الوجه الأخير مستفاد من ملك النحاة».

ووجه آخر، وهو/ أن تكون الفائدة فى ذلك التأكيد، فقد جرت به عادة العرب فى كلامها، وما تقدم من الوجهين أولى؛ لأنّ حمل كلامه تعالى على الفائدة أولى من حمله على ما تسقط معه الفائدة.

تأويل آية أخرى [: أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ...]

إن سأل سائل عن قوله تعالى: أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْواهِهِمْ؛ [إبراهيم: 9].

فقال: أىّ معنى لردّ الأيدى فى الأفواه؟ وأىّ مدخل لذلك فى التكذيب بالرسل عليهم السلام؟

الجواب، قلنا فى ذلك وجوه:

أولها أن يكون إخبارا عن القوم بأنّهم ردّوا أيديهم فى أفواههم، عاضّين عليها غيظا وحنقا على الأنبياء، كما يفعل

المتوعّد لغيره، المبالغ فى معاندته ومكايدته؛ وهذه عادة معروفة فى المغيظ المحنق أنّه يعضّ على أصابعه، ويفرك أنامله، ويضرب بإحدى يديه على الأخرى؛ وما شاكل ذلك من الأفعال.

وثانيها أن تكون الهاء فى الأيدى للكفار المكذّبين، والهاء التى فى الأفواه للرسل عليهم السلام؛ فكأنّهم لمّا سمعوا وعظ الرسل ودعاءهم وإنذارهم أشاروا بأيديهم إلى أفواه الرسل، مانعين لهم عن الكلام كما يفعل المسكّت منّا لصاحبه، الرّادّ لقوله.

وثالثها أن تكون الهاء فى الأيدى والتى فى الأفواه معا للرسل؛ والمعنى أنهم كانوا يأخذون أيدى الرسل فيضعونها على أفواههم ليسكتوهم، ويقطعوا كلامهم.

ورابعها أن تكون الهاءان جميعا يرجعان إلى الكفار (1) لا إلى الرسل؛ فيكون المعنى أنّهم إذا سمعوا وعظهم وإنذارهم وضعوا أيدى أنفسهم على أفواههم؛ مشيرين لهم بذلك إلى الكفّ عن الكلام والإمساك عنه؛ كما يفعل من يريد منّا أن يسكّت غيره، ومنعه من الكلام، من وضع إصبعه على فى نفسه.

وخامسها أن يكون المعنى: فردّوا القول بأيدى أنفسهم إلى أفواه الرّسل، أى أنّهم كذّبوهم، ولم يصغوا إلى أقوالهم، فالهاء الأولى للقوم، والثانية للرسل؛ والأيدى إنما ذكرت مثلا وتأكيدا؛ كما يقول القائل: أهلك فلان نفسه بيده، أى وقع الهلاك به من جهته، لا من جهة غيره.

وسادسها أن المراد بالأيدى النعم وفِي محمولة على الباء، والهاء الثانية للقوم المكذبين والتى قبلها للرّسل، والتقدير: فردّوا بأفواههم نعم الرّسل؛ أى ردّوا وعظهم وإنذارهم وتنبيههم على مصالحهم الّذي لو قبلوه لكان نعما عليهم.

ويجوز أيضا أن تكون الهاء التى فى الأيدى للقوم الكفار، لأنها نعم من الله تعالى عليهم، فيجوز إضافتها إليهم وحمل لفظة فِي على معنى الباء جائز لقيام بعض الصّفات مقام بعض؛ يقولون: رضيت عنك، ورضيت عليك وحكى فى لغة طيئ: أدخلك الله بالجنة، يريدون فى الجنة، فيعبرون بالباء عن معنى «فى»؛ كذلك أيضا يصح أن يعبروا بقى عن الباء؛ قال الشاعر:

وأرغب فيها عن لقيط ورهطه ... ولكنّني عن سنبس لست أرغب
أراد: وأرغب بها فحمل «فى» على الباء.

---

(1) فى حاشيتى الأصل، ف: «يمكن أن يجعل الضميران جميعا للرسل عليهم السلام، على معنى أنهم لما لم يقبلوا وعظهم وإنذارهم رد
الرسل بأيديهم إلى أفواه أنفسهم، إشارة إلى أنا قد سكتنا، فافعلوا ما شئتم تهديدا وتهويلا».

وسابعها- وهو جواب اختاره أبو مسلم بن بحر، وزعم أنّه أولى من غيره- قال المضمرون فى قوله: أَيْدِيهِمْ الرسل، وكذلك المضمرون فى أَفْواهِهِمْ، والمراد باليد هاهنا ما نطق به الرسل من الحجج والبيّنات التى ذكر الله تعالى أنهم جاءوا بها قومهم؛ واليد فى كلام العرب قد تقع على النعمة وعلى السلطان أيضا، وعلى الملك، وعلى العهد والعقد؛ ولكل ذلك شاهد من كلامهم؛ والّذي أتى به الأنبياء قومهم هو الحجة والسلطان، وهو النعمة، وهو العهد، وكلّ ذلك يقع عليه اسم اليد. ولمّا كان ما يعظ به الأنبياء قومهم وينذرونهم به إنما يخرج من أفواههم، فردوه وكذبوه قيل: إنهم ردّوا أيديهم فى أفواههم، أى أنهم ردّوا القول من حيث جاء قال: ولا يجوز أن يكون الضمير فى ذلك للمرسل إليهم كما تأوله بعض المفسرين، وذكر أن معناه أنهم عضّوا عليهم أناملهم غيظا؛ لأن رافع يده إلى فيه، والعاضّ عليها لا يسمّى رادّا ليده إلى فيه، إلا إذا كانت يده فى فيه فيخرجها ثم يردّها. قال سيدنا الشريف أدام الله علوّه: وليس ما استنكره أبو مسلم من رد الأيدى إلى الأفواه بمستنكر ولا بعيد، لأنه قد يقال: ردّ يده إلى فيه، وإلى وجهه، وعاد فلان يقول كذا، ورجع يفعل كذا؛ وإن لم يتقدم ذلك الفعل منه. ولو لم يسغ هذا القول تحقيقا؛ لساغ تجوّزا واتساعا؛ وليس يجب أن تؤخذ العرب بالتحقيق فى كلامها؛ فإن تجوّزها/ واستعاراتها أكثر، على أنه يمكن أن يكون المراد بذلك أنهم فعلوا ذلك الفعل شيئا بعد شيء، وتكرّر منهم، فلهذا جاز أن يقول: ردّوا أيديهم فى أفواههم، لأنه قد تقدم منهم مثل هذا الفعل، فلما تكرّر جازت العبارة عنه بالرّد، وهذا يبطل استضعافه للجواب إذا صرنا إلى مراده.

تأويل خبر [: خبر النبي عليه السلام حين سمع رجلا ينشد شعرا لسويد بن عامر وتأويل ما ورد فيه الغريب]
روى أن مسلما الخزاعىّ ثم المصطلقىّ قال: شهدت رسول الله صلى الله عليه وآله- وقد أنشده منشد قول سويد بن عامر المصطلقى (1):
لا تأمننّ وإن أمسيت فى حرم ... إنّ المنايا بكفّى كلّ إنسان (2)

واسلك طريقك تمشى غير مختشع (3) ... حتّى تبيّن ما يمنى لك المانى
فكلّ ذى صاحب يوما يفارقه (4) ... وكلّ زاد وإن أبقيته فان
والخير والشّرّ مقرونان فى قرن (5) ... بكلّ ذلك يأتيك الجديدان
فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لو أدركته لأسلم»، فبكى مسلم، فقال له ابنه:
يا أبه، ما يبكيك من مشرك مات فى الجاهلية! فقال: يا بنيّ، لا تفعل فما رأيت مشركة تلقّفت من مشرك خيرا من سويد.
قوله: «ما يمنى لك المانى» معناه ما يقدّر لك القادر؛ قال الفرّاء: يقال: منى الله عليه الموت؛ أى قدّر الله عليه الموت. وقال يعقوب: مناك الله بما يسرّك، أى قدّر الله لك ما يسرّك، وأنشد:

---

(1) نسب البيت الأول والثانى والرابع إلى أبى قلادة الهذلى، من قصيدة أولها:
يا دار أعرفها وحشا منازلها ... بين القوائم من رهط فألبان
مع اختلاف فى روايتها وترتيبها، وانظر ديوان الهذليين 3: 36 – 39، واللسان (منى).
(2) حواشى الأصل، ت، ف: «المعروف «بجنبى»، هذا هو الصحيح»، وهى أيضا رواية ديوان الهذليين؛ يقول: لا تأمنن أن تأتيك منيتك وإن كنت بالحرم حيث يأمن الطير».
(3) رواية اللسان:
* واسلك طريقك فيها غير محتشم*
ورواية ديوان الهذليين:
* ولا تقولن لشيء سوف أفعله*.
(4) حاشية ت (من نسخة): «مفارقه».
(5) رواية ديوان الهذليين:
* إنّ الرّشاد وإنّ الغىّ فى قرن*.

لعمر أبى عمرو لقد ساقه المنى ... إلى جدث يوزى له بالأهاضب (1)
وقال ابن الأعرابىّ: ساقه المنى، أى ساقه القدر؛ وأنشد ابن الأعرابىّ:
منت لك أن تلاقينى المنايا ... أحاد أحاد فى الشّهر الحلال (2)
معناه قدّرت لك.
وقال أبو عبيدة فى قوله تعالى: مِنْ نُطْفَةٍ إِذا تُمْنى؛ [النجم: 46]، معناه إذا تخلق وتقدّر.
وقال بعض أهل اللغة: إنّما سمى «منّى» لما يمنى فيه من ثواب الله تعالى؛ أى يقدّر فيه؛ وقيل أيضا بما يمنى فيه من الدّم (3)؛ وقيل: إنما سمى بذلك لأن إبراهيم عليه السلام لما انتهى إليه قال له الملك: تمنّ، قال: أتمنّى الجنة، فسمى منى لذلك. ومنى يذكر ويؤنث، والتذكير أجود، قال الشاعر فى التذكير:
/ سقى منى ثم روّاه وساكنه ... ومن ثوى فيه واهى الودق منبعق (4)

وقال آخر فى التأنيث:
ليومنا بمنى إذ نحن ننزلها ... أسرّ من يومنا بالعرج أو ملل (5)

---

(1) البيت مطلع قصيدة لصخر الغى، يرثى أخاه أبا عمرو بن عبد الله، وقد نهشته حية فمات؛ (ديوان الهذليين 2: 51 – 57). وفى حواشى الأصل، ت، ف: «يؤزى، من الإزاء، والإزاء: مصب الماء فى الحوض، يقال: أزيت الحوض [بالتضعيف]، وآزيته، والإزاء للقبر فى الحقيقة؛ إلا أنه على الاستعارة.
ويجوز أن يكون الضمير فى «له» للمرثى؛ أى يهيأ له؛ هذا إذا همزت «يؤزى»؛ وهو قول الأصمعىّ، فأما إذا لم تهمزه فمعنى يؤزى ينصب ويشخص؛ يقال: أوزى ظهره إلى الحائط؛ أى أسنده ويقال: هضبة وهضبات وهضاب وأهضاب وأهاضب وأهاضيب».
(2) اللسان (منى)، وفى حاشية الأصل:
«أى قدرت المنايا ملاقاتها إياى لأجلك».
(3) المراد بيمنى هاهنا: يراق.
(4) الودق: المطر، والواهى: المندفع بالماء، وكذلك المنبعق، وفى حاشيتى الأصل، ف: «جعل للسحاب سقاء، ثم جعله واهى العقد، فهو أشد إرسالا، وهذا مثل».
(5) العرج: موضع قريب من الطائف، وإليه ينسب العرجىّ الشاعر، وهو عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان. وملل: موضع فى طريق مكة.

فأما قوله:
* والخير والشّرّ مقرونان فى قرن*
فالقرن الحبل؛ وأراد أنهما مجموعان لا يفترقان؛ من حيث لا يكاد يصيب الإنسان فى الدنيا خير صرف لا شرّ فيه؛ فلهذا قال إنهما مقرونان. ويجوز أيضا أن يريد أنّ لسرعة تقلّب الدنيا وإبدالها الخير بالشر كأن الخير والشرّ مقرونان مجموعان معا، لتقارب ما بينهما.
فأما الجديدان، فهما اللّيل والنهار، وهما أيضا الأجدّان، والملوان، والفتيان، والرّدفان، والعصران؛ قال الشاعر:
إنّ الجديدين فى طول اختلافهما ... لا يفسدان ولكن يفسد النّاس (1)
وقال آخر:
وأمطله العصرين حتّى يملّنى ... ويرضى بنصف الدّين والأنف راغم (2)
وقال أبو عبيدة: ويقال الليل والنهار ابنا سبات، وأنشد ابن الأعرابىّ:
وكنّا وهم كابنى سبات تفرّقا ... سوى ثمّ كانا منجدا وتهاميا (3)
ويقال للغداة والعشىّ: القرّتان (4)، والبردان، والصّرعان (5).

*** [أبيات لرفيع الوالبيّ:]
أخبرنا أبو القاسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد الحكيميّ قال: أملى علينا أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب النحويّ قال: أنشدنا ابن الأعرابى لرفيع الوالبيّ:
كذبتك ما وعدتك أمس صلاح ... وعسى يكون لما وعدت نجاح (6)

---

(1) البيت للخنساء، ديوانها: 155.
(2) الحيوان 3: 249، وإصلاح المنطق: 437، من غير عزو.
(3) اللسان (سبت)، ونسبه إلى ابن أحمر، وفيه عن ابن حبيب: «أن ابنى سبات رجلان، رأى أحدهما صاحبه فى المنام ثم انتبه، وأحدهما بنجد والآخر بتهامة».
(4) ت: «القرنان».
(5) حاشية الأصل: «أصل الصرع الّذي يصارعك».
(6) صلاح: اسم امرأة، وفى حاشية الأصل: «كأنها وعدته بالوصال الّذي يبرئ سقمه».

برء من السّقم الطّويل ضمانه ... لا يستوى سقم بكم وصحاح
إصلاح إنّك قد رميت نوافذا ... وجوائفا ليست لهنّ جراح (1)
ولقد رأيتك بالقوادم لحة ... وعليّ من سدف العشىّ رياح (2)
– معنى رياح هاهنا، أى عليّ وقت من العشىّ، ومثله رواح؛ وقوم يروونه بالكسر وليس بشيء–
/ ما كان أبصرنى بغرّات الصّبا ... فاليوم قد شفعت لى الأشباح (3)
ومشى بجنب الشّخص شخص مثله ... والأرض نائية الشّخوص براح (4)
حلق الحوادث لمّتى فتركن لى ... رأسا يصلّ كأنّه جماح
وذكا بأصداغي وقرن ذؤابتى ... قبس المشيب كأنّه مصباح

قال: كأنّه جماح من امّلاسه، وجماح: سهم أو قصبة يجعل عليه طين، ثم يرمى به الطير.
وبهذا الإسناد لبعضهم:
أرى النّاس للصّعلوك حربا ولا أرى ... لذى نشب إلّا خليلا مصافيا
أرى المال يغشى ذا الوصوم فلا ترى ... ويدعى من الأشراف من كان غانيا (5)

الصعلوك: الفقير، وهو أيضا القرضوب، والسّبروت. والوصوم: العيوب.

[أخبار عقيل بن علّفة وإيراد طائفة من شعره:]
وبهذا الإسناد لعقيل بن علّفة:
إنى ليحمدنى الخليل إذا اجتدى ... مالى ويكرهنى ذوو الأضغان

وأبيت تخلجنى الهموم كأنّنى ... دلو السّقاة تمدّ بالأشطان (6)

---

(1) نوافذ؛ أى سهاما نافذة، وجوائف، أى تبلغ الجوف.
(2) البيت فى اللسان (روح)، ورواه: «رياح» بالكسر. والقوادم: أوائل النظر. والسدف: جمع سدفة؛ وهى الظلمة.
(3) شفعت: صارت شفعا، أى أصبح يرى الشيء شيئين كما يراه الأحول؛ يصف ضعف بصره.
(4) حاشية ت (من نسخة): «نابية».
(5) حاشية ت: «غانيا؛ أى غنيا؛ ومعناه ذا غنى، كلابن وتامر».
(6) تخلجنى: تشغلنى؛ كذا ذكره صاحب اللسان واستشهد بالبيت. والأشطان. الحبال.

(1/371)

وأعيش بالبلل القليل وقد أرى ... أنّ الرّموس مصارع الفتيان (1)
وأخبرنا أبو عبيد الله المرزبانىّ قال: حدثنى عليّ بن منصور قال: أخبرنى محمد بن موسى عن دعبل بن عليّ قال قال عقيل بن علّفة: – وذكر الأبيات الثلاثة، وزاد فيها:
ولقد علمت لئن هلكت ليذكرن ... قومى إذا علن النّجي مكانى (2)

*** قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله تأييده: وكان عقيل بن علّفة مع قوّة شعره جيّد الكلام حكيم الألفاظ. وروى المدائنى قال: قال عبد الملك بن مروان لعقيل بن علّفة المرّيّ:
ما أحسن (3) أموالكم؟ فقال: ما ناله أحدنا عن أصحابه تفضّلا، قال: ثم أيّها؟ قال:
مواريثنا، قال: فأيّها أشرف؟ قال: ما استفدناه بوقعة خوّلت نعما، وأفادت عزّا، قال:
فما مبلغ عزّكم؟ قال: ما لم يطمع فينا، ولم/ نؤمن، قال: فما مبلغ جودكم؟ قال: ما عقدنا به مننا، وأبقينا به ذكرا، قال: فما مبلغ حفاظكم؟ قال: يدفع كل رجل منّا عن المستجير به كدفاعه عن نفسه؛ قال عبد الملك: هكذا فليصف الرجل قومه.
وروى أنه قيل لعقيل بن علّفة: قد عنّست (4) بناتك، أفما تخشى عليهنّ الفساد؟ قال:
كلّا، إنى خلّفت عندهن الحافظين، قيل: وما هما؟ قال: الجوع والعرى، أجيعهن فلا يأشرن، وأعرّيهنّ (5) فلا يظهرن.
وقال له عبد الله يوما: ما لك تهجو قومك؟ قال: لأنهم أشباه الغنم، إذا صيح بها رفعت، وإذا سكت عنها رتعت، قال: إنّما تقول البيت والبيتين، قال: حسبى من القلادة ما أحاط بالعنق.

---

(1) البلل فى الأصل: ما بل الحلق من ماء أو لبن أو غيره.
(2) حاشية الأصل: «يصف نفسه بحفظ الأسرار؛ يقول: إذا مت والناس يناجون غيرى فيفشى أسرارهم؛ يذكرونى عند ذلك ويذكرون مكانى».
(3) من نسخة بحواشى الاصل، ت، ف: «ما أخس».

(4) من نسخة بحاشيتى الأصل، ت: «عنست بناتك؛ بتاء الخطاب؛ أى أخرتهن عن التزويج».
(5) حواشى الأصل، ت، ف: «فى معناه الحديث: (اعروا النساء يلزمن الحجال)».

فأما معنى «علّفة» اسم أبيه، فإن ابن الأعرابيّ قال: العلّفة مثل الباقلّاء الرّطبة تكون تحت الزهرة من البقل وغيره. وقال أبو سعيد السّكّريّ: العلّفة ضرب من أوعية بزر بعض النبات مثل قشرة الباقلّاء. واللّوبيا؛ وهو الغلاف الّذي يجمع عدّة حبّ.
وقيل: إن عقيلا كان يكنى بأبى الوليد، وكان رجلا غيورا موصوفا بشدة الغيرة، وروى أبو عمرو بن العلاء أنّه حمل يوما ابنة له وأنشأ يقول:
إنى وإن سيق إلى المهر ... ألف وعبدان وذود عشر (1)
أحبّ أصهارى إلى القبر
وذكر الأصمعىّ أن عقيلا كان لغيرته إذا رأى الرجل يتحدث إلى النساء أخذه، ودهن أرفاغه (2) ومغابنه بزبد وربطه وطرحه فى قرية النمل، فلا يعود إلى محادثتهنّ.
وروى الأصمعىّ قال: كان (3) عقيل بن علّفة فى بعض سفره، ومعه ابنه العملّس وابنته الجرباء، فأنشأ يقول:
قضت وطرا من دير سعد وربّما ... على عجل ناطحنه بالجماجم (4)
ثم أقبل على ابنه فقال: أجزيا عملّس، فقال:
وأصبحن بالموماة يحملن فتية ... نشاوى من الإدلاج ميل العمائم (5)

---

(1) الذود: القطيع من الإبل.
(2) الأرفاغ: جمع رفغ؛ وهو أصل الفخذ، والمغابن: جمع مغبن، كمنزل وهو الإبط.
(3) الخبر فى الأغانى 12: 256 – 257 (طبع دار الكتب المصرية).
(4) دير سعد: بين بلاد غطفان والشام، وبعده فى رواية الأغانى:
إذا هبطت أرضا يموت غرابها ... بها عطشا أعطينهم بالخزائم
والخزائم: جمع خزامة، وهى حلقة من شعر تجعل فى أحد جانى منخرى البعير لينقاد بها.
(5) الموماة: المفازة الواسعة. نشاوى: سكارى. الإدلاج: السير من أول الليل، وبعده فى رواية الأغانى:
إذا علم غادرنه بتنوفة ... تذارعن بالأيدى لآخر طاسم
– والعلم: شيء ينصب فى الفلوات تهتدى به الضالة. التنوفة: المفازة. تذارعن: سرن، وأصله أن يذرع البعير بيديه فى سيره ذرعا إذا سار على قدر سعة خطوه. رسم طاسم: دارس.

ثم أقبل على ابنته، فقال: أجيزى يا جرباء، فقالت:
كأنّ الكرى سقّاهم صرخديّة ... عقارا تمشّت فى المطا والقوائم (1)
قال: / فأقبل على ابنته يضربها ويقول: والله ما وصفتها بهذه الصفة حتى شربتها، فوثب عليه إخوتها فقاتلوه
دونها، ثم رماه أحدهم بسهم فانتظم فخذيه، فقال عقيل:
إنّ بنيّ زمّلونى بالدّم (2) ... من يلق أبطال الرّجال يكلم (3)
ومن يكن ذا أود يقوّم ... شنشنة أعرفها من أخزم
الشنشنة: الطبيعة والسجية. وقيل الشبه، وهذا مثل اجتلبه عقيل (4)، وقد قيل قبله؛ ولعقيل:
وللدّهر أثواب فكن فى لباسه ... كلبسته يوما أجدّ وأخلقا (5)
وكن أكيس الكيسى إذا كنت فيهم ... وإن كنت فى الحمقى فكن أنت أحمقا

---

(1) الصرخدية: منسوبة إلى صرخد، وهو بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق. العقار: الخمر. المطا: الظهر.
(2) رواية الأغانى: «سربلونى»، .
(3) رواية اللسان (شنن):
«آساد الرجال».
(4) حاشية الأصل: «قال س: قرأت فى أمالى ابن الجبان الأصبهانى: شنشنة [بالفتح]، وشنشنة [بالكسر]، ونشنشة [بالفتح]، ونشنشة [بالكسر]، قال: قد فسروها بالطبيعة وبالمضغة من اللحم وبالمجامعة. ضارب هذا المثل حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن أخزم الطائى حين نشأ حاتم، وتقيل أخلاق جده أخزم فى الجود فقال: «شنشنة أعرفها من أخزم»، وتمثل به عقيل ابن علفة» وفى اللسان عن ابن برى: «كان أخزم عاقا لأبيه، فمات وترك بنين عقوا جدهم وضربوه وأدموه، فقال ذلك».
وانظر ترجمة عقيل وأخباره وأشعاره فى (الأغانى 11: 81 – 89).
(5) حاشية ف: «المعنى: فالبس مع الدهر لبوسه؛ إن لبس الجديد فالبس أيضا أنت الجديد، وبالعكس».

28 مجلس آخر [المجلس الثامن والعشرون:]
تأويل آية [: وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ]
إن سأل سائل عن قوله تعالى: وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ؛ [البقرة: 210] فقال: كيف يصحّ القول بأنّها رجعت عليه وهى لم تخرج عن يده؟ .
الجواب، قلنا قد ذكر فى ذلك وجوه:
أولها أنّ الناس فى دار المحنة والتكليف قد يغترّ بعضهم ببعض، ويعتقدون فيهم أنهم يملكون جرّ المنافع

إليهم
وصرف المضارّ عنهم، وقد تدخل عليهم الشّبه لتقصيرهم فى النظر، وعدولهم عن وجهه وطريقه، فيعبد قوم الأصنام وغيرها من المعبودات الجامدة الهامدة التى لا تسمع ولا تبصر، ويعبد آخرون البشر، ويجعلونهم شركاء لله تعالى فى استحقاق العبادة؛ ويضيف كلّ هؤلاء أفعال الله عز وجل فيهم إلى غيره، فإذا جاءت الآخرة، وانكشف الغطاء واضطرّوا إلى المعارف زال ما كانوا عليه فى الدنيا من الضلال واعتقاد الباطل، وأيقن الكلّ أنّه لا خالق ولا رازق ولا ضارّ ولا نافع غير الله تعالى فردوا إليه أمورهم، وانقطعت آمالهم من غيره، وعلموا أنّ الّذي كانوا عليه من عبادة غيره، وتأميله للضّرّ والنفع غرور وزور، فقال الله تعالى: وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ لهذا المعنى.
والوجه الثانى أن يكون معنى الآية فى الأمور أنّ الأمور كلّها لله تعالى، وفى يده وقبضته من غير خروج ورجوع حقيقىّ؛ وقد تقول العرب: قد رجع عليّ من فلان مكروه، بمعنى صار إلى منه؛ ولم يكن سبق إلى قبل هذا الوقت، وكذلك يقولون: قد/ عاد عليّ من زيد كذا وكذا وإن وقع منه على سبيل الابتداء قال الشاعر:
وإن تكن الأيّام أحسن مرّة ... إلى فقد عادت لهنّ ذنوب

أى صارت لها ذنوب لم تكن من قبل؛ بل كان قبلها إحسان فحمل الآية على هذا المعنى شائع جائز تشهد له اللغة.
والوجه الثالث أنّا قد علمنا أنّ الله تعالى قد ملّك العباد فى دار التكليف أمورا تنقطع بانقطاع التكليف، وإفضاء الأمر إلى الدار الآخرة، مثل ما ملّكه الموالى من العبيد، وما ملّكه الحكام من الحكم وعير ذلك؛ فيجوز أن يريد تعالى برجوع الأمر إليه انتهاء ما ذكرناه من الأمور التى يملكها غيره بتمليكه إلى أن يكون هو وحده مالكها ومدبّرها.
ويمكن فى الآية وجه آخر؛ وهو أن يكون المراد بها أنّ الأمر ينتهى إلى ألّا يكون موجود قادر غيره، ويفضى الأمر فى الانتهاء إلى ما كان عليه فى الابتداء، لأن قبل إنشاء الخلق هكذا كانت الصورة، وبعد إفنائهم هكذا تصير وتكون الكناية برجوع الأمر إليه عن هذا المعنى، وهو رجوع حقيقىّ، لأنه عاد إلى ما كان عليه متقدما.
ويحتمل أيضا أنّ المراد بذلك أنّ إلى قدرته تعود المقدورات، لأن ما أفناه من مقدوراته الباقية كالجواهر والأعراض ترجع إلى قدرته، ويصحّ منه تعالى إيجاده لعوده إلى ما كان عليه، وإن كان ذلك لا يصحّ فى مقدورات البشر، وإن كانت باقية لما دلّ عليه الدليل، من اختصاص مقدور القدر باستحالة العود إليها، من حيث لم يجز فيها التقديم والتأخير، وهذا أيضا حكم، هو تعالى المتفرد به دون غيره من سائر القادرين، والله أعلم بما أراد.

تأويل آية أخرى [: وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِها ...]
إن سأل سائل عن قوله تعالى: وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِها وَلكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقى وَأْتُوا

الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوابِها،
[البقرة: 189].
فقال: أىّ معنى لذكر البيوت وظهورها وأبوابها؟ وهل المراد بذلك البيوت المسكونة

على الحقيقة، أو كنّى بهذه اللفظة عن غيرها؟ فإن كان الأول فما الفائدة فى إتيانها من أبوابها دون ظهورها؟ وإن كانت كناية فبيّنوا وجهها ومعناها.
الجواب قيل له فى الآية وجوه.
أولها ما ذكر من أنّ الرجل من العرب كان إذا قصد حاجة فلم تقض له، ولم ينجح فيها رجع فدخل من مؤخّر البيت، ولم يدخل من بابه تطيّرا، فدلّهم الله تعالى على أنّ هذا من فعلهم لا برّ فيه، وأمرهم من التّقى بما ينفعهم ويقرّبهم إليه، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن التطيّر وقال: «/ لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر»؛ أى لا يعدى شيء شيئا. وقال عليه السلام: «لا يورد ذو عاهة على مصحّ»؛ ومعنى هذا الكلام أنّ من لحقت إبله آفة أو مرض فلا ينبغى أن يوردها على إبل لغيره صحاح، لأنّه متى لحق الصّحاح مثل هذه العاهة اتفاقا، لا لأجل العدوى لم يؤمن من صاحب الصّحاح أن يقول إنما لحق إبلى هذه الآفة من تلك الإبل، وهى أعدت إبلى، فنهى النبي صلى الله عليه وآله عن هذا، ليزول المأثم بين الفريقين والظّنّ القبيح.
وثانيها أن العرب إلّا قريشا ومن ولدته قريش كانوا إذا أحرموا فى غير الأشهر الحرم لم يدخلوا بيوتهم من أبوابها، ودخلوها من ظهورها إذا كانوا من أهل الوبر، وإذا كانوا من أهل المدر نقبوا فى بيوتهم ما يدخلون ويخرجون منه، ولم يدخلوا ولم يخرجوا من أبواب البيوت؛ فنهاهم الله تعالى عن ذلك، وأعلمهم أنه لا معنى له، وأنه ليس من البرّ وأن البرّ غيره.
وثالثها- وهو جواب أبى عبيدة معمر بن المثنى- أن المعنى ليس البرّ بأن تطلبوا الخير من غير أهله، وتلتمسوه من غير بابه، وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوابِها، معناه: واطلبوا الخير من وجهه، ومن عند أهله.
ورابعها- وهو جواب أبى علىّ الجبّائىّ- أن تكون الفائدة فى هذا الكلام ضرب المثل،

وأراد: ليس البرّ أن يأتى الرجل الشيء من خلاف جهته؛ لأن إتيانه من خلاف جهته يخرج الفعل عن حد الصواب والبرّ إلى الإثم والخطأ، وبيّن البرّ والتقوى، وأمر بإتيان الأمور من وجوهها، وأن تفعل على الوجوه التى لها وجبت وحسنت، وجعل تعالى ذكر البيوت وظهورها وأبوابها مثلا؛ لأن العادل فى الأمر عن وجهه كالعادل فى البيت عن بابه.
وخامسها أن تكون البيوت كناية عن النساء، ويكون المعنى: وأتوا النساء من حيث أمركم الله، والعرب تسمّى المرأة بيتا؛ قال الشاعر:

ما لي إذا أنزعها صأيت ... أكبر غيّرنى أم بيت (1)
أراد بالبيت: المرأة.
ومما يمكن أن يكون شاهدا للجواب الّذي حكيناه عن أبي عليّ الجبّائيّ، والجواب عن أبي عبيدة أيضا
ما أخبرنا به أبو القاسم عبيد الله عثمان بن يحيى قال: أخبرنا/ أبو عبد الله محمد بن أحمد الحكيميّ
قال: أملى علينا أبو العباس أحمد بن يحيى النحويّ قال: أنشدنا ابن الأعرابيّ (2):
إنى عجبت لأمّ العمر إذ هزئت ... من شيب رأسى وما بالشّيب من عار (3)
ما شقوة المرء بالإقتار يقتره ... ولا سعادته يوما بإكثار
إنّ الشّقيّ الّذي فى النّار منزله ... والفوز فوز الّذي ينجو من النّار
أعوذ بالله من أمر يزيّن لى ... شتم العشيرة أو يدنى من العار
وخير دنيا ينسّى أمر آخرة ... وسوف يبدى لى الجبّار أسرارى (4)

---

(1) البيان فى اللسان (صأى) وفى حاشية الأصل: «هذا مستق يستقى الماء من البئر وينزع الدلو.
والهاء فى قوله: «أنزعها» راجعة إلى الدلو؛ وقيل الضمير للقوس؛ يقال: «صأى يصأى، مثل صعى
يصعى؛ إذا صوت».
(2) أبيات منها فى الكامل 2: 51 – 52 – بشرح المرصفى؛ عن ابن الأعرابيّ، ونسبها إلى أحد
ابنى حبناء، قال: «وأحسبه صخرا».
(3) حاشية الأصل: «ويروى: «لأم الغمر– بالغين المعجمة»، ورواية الكامل:
إنّ هزئت من أمّ الغمر إذ هزئت ... بشيب رأسى، وما بالشّيب من عار.
(4) د:
* وسوف تبدو إلى الجبّار أسرارى*.

لا أدخل البيت أحبو من مؤخّره ... ولا أكسّر فى ابن العمّ أظفارى
فقوله:
* لا أدخل البيت أحبو من مؤخّره*
يحتمل أن يريد به: إننى لا آتى الأمور من غير وجهها، على أحد الأجوبة فى الآية، ويحتمل أيضا أنى
لا أطلب الخير إلا من أهله على جواب أبي عبيدة، ويحتمل وجها آخر (1)؛ وهو أن يريد أننى لا
أقصد البيت للرّيبة والفساد، لأنّ من شأن من يسعى إلى إفساد الحرم، ويقصد البيوت للريبة أن
يعدل عن أبوابها طلبا لإخفاء أمره، فكأنه نفى عن نفسه بهذا القول القبيح، وتنزّه عنه؛ كما تنزه
بقوله:
* ولا أكسّر فى ابن العمّ أظفارى*
عن مثله، وأراد أنه لا يندى (2) ابن العمّ منى السوء، ولا يتألم بشيء من جهتى، فأكون كأننى قد
جرحته بأظفارى، وكسرتها فى لحمه؛ وهذه كنايات بليغة مشهورة للعرب.

*** [أبيات لهلال بن خثعم وشرح ما ورد فيها من الغريب:]
ويجرى مجرى هذه الأبيات ويقاربها فى المعنى وحسن الكناية قول هلال بن خثعم:
وإنى لعفّ عن زيارة جارتى ... وإنى لمشنوء إلى اغتيابها
إذا غاب عنها بعلها لم أكن لها ... زءورا ولم تنبح عليّ كلابها (3)
وما أنا بالدّارى أحاديث بيتها ... ولا عالم من أىّ حوك ثيابها
وإنّ قراب البطن يكفيك ملؤه ... ويكفيك عورات الأمور اجتنابها (4)

(1) حاشية ت (من نسخة): «ووجه آخر».
(2) حواشى الأصل، ت، ف: «من حر كلامهم: ما يندك منى سوء، أى ما يصيبك، ويقال: ما نديت بهذا الأمر ولا نطقت به، ولا بللت به، أى ما علمته ولا أصبته، قال النابغة:
ولا نديت بشيء أنت تكرهه ... إذا فلا رفعت سوطى إلى يدى.
(3) يقال رجل زوار وزءور، كذا ذكره صاحب اللسان واستشهد بالبيت.
(4) حاشية الأصل: «القراب: ما دون الملء أو قريب منه».

قال سيدنا أدام الله علوّه: وقد جمعت هذه الأبيات فقرا عجيبة، وكنايات بليغة، لأنه نفى عن نفسه زيارة جارته عند غيبة بعلها، وخصّ حال الغيبة لأنها أدنى إلى الرّيبة وأخصّ بالتهمة فقال/: «ولم تنبح عليّ كلابها»، أراد: إنى لا أطرقها ليلا مستخفيا متنكّرا فتنكرنى كلابها، وتنبحنى، وهذه الكناية تجرى مجرى قول الشاعر المتقدم:
* لا أدخل البيت أحبو من مؤخّره*
وقد روى: «ولم تأنس إلى كلابها» وهذا معنى آخر، كأنه أراد أنه ليس يكثر الطروق لها والغشيان لمنزلها، فتأنس به كلابها لأن الأنس لا يكون إلّا مع المواصلة والمواترة.
وقوله:
* وما أنا بالدّارى أحاديث بيتها*
أراد به أيضا التأكيد فى نفى زيارتها وطروقها عن نفسه؛ لأنه إذا أدمن الزيارة عرف أحاديث بيتها، فإذا لم يزرها وصارمها لم يعرف، ويحتمل أن يريد: إننى لا أسأل عن أحوالها وأحاديثها كما يفعل أهل الفضول؛ فنزّه نفسه عن ذلك.
وقوله:
* ولا عالم من أىّ حوك ثيابها*
كناية مليحة عن أنّه لا يجتمع معها، ولا يقرب منها؛ فيعرف صفة ثيابها.

*** [إيراد مقطعات مختلفة لحارثة بن بدر الغدانىّ:]

وبالإسناد المتقدّم لحارثة بن بدر الغدانىّ (1).
إذا الهمّ أمسى وهو داء فأمضه ... ولست بممضيه وأنت تعادله
ولا تنزلن أمر الشّديدة بامرئ ... إذا همّ أمرا عوّقته عواذله (2)

---

(1) هو حارثة بن بدر بن حصين بن قطن بن غدانة؛ من بنى يربوع. كان من فرسان بنى تميم ووجوهها وسادتها، ولم يكن معدودا فى فحول الشعراء، ولكنه كان يعارض نظراءه فى الشعر. (وانظر أخباره وأشعاره فى الأغانى 21: 13 - 31).
(2) حواشى الأصل، ت، ف: «سوفته عواذله».

فما كلّ ما حاولته الموت دونه، ... ولا دونه أرصاده وحبائله
وما الفتك ما آمرت فيه ولا الّذي ... تحدّث من لاقيت أنّك فاعله (1)
وما الفتك إلّا لامرئ ذى حفيظة ... إذا صال لم ترعد إليه خصائله (2)
ولا تجعلن سرّا إلى غير أهله ... فتقعد إن أفشى عليك تجادله
ولا تسأل المال البخيل ترى له ... غنى بعد ضرّ أورثته أوائله (3)
أرى المال أفياء الظّلال فتارة ... يئوب، وأخرى يختل المال خاتله
معنى «آمرت» شاورت. والخصائل: كل لحم مجتمع.
وقد روينا فى هذه الأبيات زيادة على القدر الّذي ذكرناه:
أخبرنا أبو عبيد الله المرزبانىّ قال حدثنى الحسن بن عليّ قال حدثنا محمد بن العباس قال حدّثني الفضل بن محمد عن أبى المنهال المهلّبىّ قال: من الأبيات السائرة قول حارثة ابن بدر الغدانىّ:
لعمرك ما أبقى لى الدّهر من أخ ... حفىّ ولا ذى خلّة لى أواصله (4)
/ ولا من خليل ليس فيه غوائل ... فشرّ الأخلّاء الكثير غوائله
وقل لفؤاد إن نزا بك نزوة ... من الرّوع أفرخ، أكثر الرّوع باطله (5)
معنى «أفرخ» أى اسكن، يقال: أفرخ روعه إذا سكن.
وما كلّ ما حاولته، الموت دونه ... ...

---

(1) حاشية ت (من نسخة): «ولا الفتك». وآمرت: شاورت.
(2) من نسخة بحاشية الأصل: «لم ترعد إليه» وفيها: «الخصائل: جمع خصلة، وهى كل لحم مجتمع، مثل الساقين والفخذين».
(3) حواشى الأصل، ت، ف: «يجوز أن يكون ضمير المال أو البخل».
(4) الحفىّ: الّذي يكرم خليله ويبالغ فى إكرامه، مع إظهار المسرة والفرح.
(5) حاشية الأصل (من نسخة): «إنما نكر الفؤاد على اعتبار أن له فؤادين، أحدهما يشجعه والآخر

يجبنه، فقال: لا تطع المجبن؛ وإنما جعل لنفسه فؤادين ينقسمان للخوف والأمن، لكيلا يكون فى حال من الأحوال جبانا مطلقا، بل يكون مترنحا بينهما». وفى حاشية ت (من نسخة): «للفؤاد».

(1/381)

وذكر البيتين اللذين بعده، وزاد:
وكن أنت ترعى سرّ نفسك واعلمن ... بأنّ أقلّ النّاس للنّاس حامله (1)
إذا ما قتلت الشّيء علما فبح به (2) ... ولا تقل الشّيء الّذي أنت جاهله
ومما يستحسن لحارثة بن بدر قوله:
لنا نبعة كانت تقينا فروعها ... وقد بلغت إلّا قليلا عروقها (3)
وإنّا لتستحلى المنايا نفوسنا ... ونترك أخرى مرّة لا تذوقها (4)
وشيّب رأسى قبل حين مشيبه ... رعود المنايا بيننا وبروقها
قوله:
* لنا نبعة كانت تقينا فروعها*
مثل ضربه، وإنما أراد عشيرته وأهل بيته.
وقد روى هذه الأبيات عليّ بن سليمان الأخفش عن أبى العباس ثعلب، وزاد فيها:
رأيت المنايا باديات وعوّدا ... إلى دارنا سهلا إلينا طريقها
وقد قسمت نفسى فريقين منهما: ... فريق مع الموتى، وعندى فريقها
وبينا نرجّى النّفس ما هو نازح ... من الأمر لاقت دونها ما يعوقها
وروى أبو العيناء قال: أنشد الشعبيّ عبد الله بن جعفر الأبيات الثلاثة الأول،

---

(1) د: «للسر»، وفى حاشية ت: «نسخة الشجرى: «أقل الناس للسر حامله»، كأنه أقلهم لحمله.
(2) قلت الشيء علما، أى علمته علما تاما، ومن نسخة بحواشى الأصل، ت، ف: «فقل به.
(3) النبع: شجر ينبت فى قلة الجبل، تتخذ منه العسى.
(4) من نسخة بحاشيتى الأصل، ت: «مرة لا نذوقها»، وفى حاشية ف: مثله «قول السموأل ابن عاديا اليهودى:
يقرّب حبّ الموت آجالنا ... وتكرهه آجالهم فتطول
أى حبنا الموت؛ ويجوز أن يكون أضاف الحبّ من قوله: «حبّ الموت» إلى الفاعل؛ فيكون المعنى: يقرب حب الموت لنا آجالنا؛ ويكون هذا كقول طرفة:
أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى ... عقيلة مال الفاحش المتشدّد.

(1/382)

فقال عبد الله: لمن هذا يا شعبىّ؟ فقال: لحارثة بن بدر، فقال: نحن أحقّ بهذا، ثم أمر للشّعبىّ بأربعمائة دينار.

[طرف من أخبار حارثة بن بدر وبعض نوادره:]

ومن مستحسن قول حارثة:

ولقد وليت إمارة فرجعتها ... فى المال سالمة ولم أتموّل (1)

ولقد منعت النّصح من متقبّل ... ولقد رفدت النّصح من لم يقبل

/ فبأىّ لمسة لامس لم ألتمس ... وبأىّ حيلة حائل لم أحتل (2)

يا طالب الحاجات يرجو نجحها ... ليس النجاح مع الأخفّ الأعجل

فاصدق إذا حدّثت تكتب صادقا ... وإذا حلفت ماريا فتحلّل (3)

- معنى «تكتب صادقا»، أى تكون عند الله صادقا. وقوله: «فتحلّل» أى استثن-

وإذا رأيت الباهشين إلى العلى ... غبرا أكفّهم بريث فاعجل

- معنى الباهشين: المادّين أيديهم إلى الشيء المهتشّين (4) له-

واحذر مكان السّوء لا تحلل به (5) ... وإذا نبا بك منزل فتحوّل

وإذا ابن عمّك لجّ بعض لجاجة ... فانظر به عدة ولا تستعجل

وإذا افتقرت فلا تكن متخشّعا ... ترجو الفواضل عند غير المفضل

واستغن ما أغناك ربّك بالغنى ... وإذا تكون خصاصة فتجمّل

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزبانىّ قال حدّثنا محمد بن أبى الأزهر قال حدثنا محمد بن يزيد

---

(1) عجز البيت الخامس والبيت 6، 7، 8، 9، 10 نسبت إلى عبد قيس بن خفاف البرجمى فى قصيدة مفضلية. 75 - 753 مطلعها:

أجبيل إنّ أباك كارب يومه ... فإذا دعيت إلى العظائم فاعجل.

(2) من نسخة بحاشيتى الأصل ف: «ختلة خاتل لم أختل».

(3) ماريا: مجادلا.

(4) ف، ومن نسخة بحاشيتى الأصل، ت: «المشتهين».

(5) حاشية ت (من نسخة): «لا تنزل به».

النحوىّ قال: كان (1) حارثة بن بدر الغدانىّ رجل تميم فى وقته، وكان قد غلب على زياد، وكان الشراب قد غلب عليه، فقيل لزياد: إن هذا قد غلب عليك، وهو مستهتر (2) بالشراب؛ فقال زياد: كيف باطّراح رجل هو يسايرنى مذ دخلت العراق، لم يصكك ركابى ركاباه (3)، ولا تقدمنى فنظرت إلى قفاه، ولا تأخّر عنى فلويت عنقى إليه، ولا أخذ علىّ الشمس فى شتاء قط، ولا الرّوح (4) فى صيف قطّ، ولا سألته عن علم إلا ظننته لا يحسن غيره! فلما مات

زياد جفاه ابنه عبيد الله، فقال له حارثة: أيها الأمير، ما هذا الجفاء مع معرفتك بالحال عند أبي المغيرة (5)! فقال له عبيد الله: إن أبا المغيرة قد كان برع بروعا لا يلحقه معه عيب، وأنا حدث، وإنما أنسب إلى من يغلب عليّ، وأنت رجل تديم الشّراب، فمتى قرّبتك وظهرت منك رائحة الشراب لم آمن أن يظنّ بي، فدع الشراب، وكن أول داخل عليّ، وآخر خارج، فقال له حارثة: أنا لا أدعه لمن يملك ضرّى ونفعى، أفدعه للحال عندك! قال: فاختر من عملى ما شئت. قال: توليني/ رامهرمز (6)، فإنها أرض عذاة (7)، وسرّق (8)؛ فإن بها شرابا وصف لى. فولّاه إياها، فلما شيّعه الناس قال أنس بن أبي أنيس (9) – وقيل: ابن أبي إياس الدّيليّ:

أحار بن بدر قد وليت إمارة ... فكن جرذا فيها تخون وتسرق (10)

ولا تحقرن يا حار شيئا وجدته ... فحظّك من ملك العراقين سرّق

---

(1) الخبر فى الكامل– بشرح المرصفى 3 – 191 – 192.

(2) مستهتر بالشراب: مولع به؛ من استهتر بكذا، مبنيا لما لم يسم فاعله: أولع به لا يفعل غيره، ولا يتحدث إلا به.

(3) من نسخة بحاشيتى ف، ت: «يصطك ركابى ركابه».

(4) الروح: برد النسيم.

(5) أبو المغيرة: كنية زياد.

(6) رامهرمز: مدينة مشهورة بنواحى خوزستان من بلاد الفرس.

(7) الأرض العذاة: الطيبة التربة، البعيدة من الأنهار والنجود والسباخ.

(8) سرق: إحدى كور الأهواز.

(9) من نسخة بحواشى الأصل، ت، ف: «ابن أبي أنس». وفى الشعر والشعراء: 714: «أنس بن أبي أناس»، من كنانة، من الدؤل، رهط أبي الأسود الدئلىّ.

(10) الأبيات فى الشعر والشعراء: 715.

وباه تميما بالغنى إنّ للغنى ... لسانا به العىّ الهيوبة ينطق (1)

فإنّ جميع النّاس؛ إمّا مكذّب ... يقول بما يهوى، وإما مصدّق (2)

يقولون أقوالا ولا يعلمونها ... فإن قيل هاتوا حقّقوا لم يحقّقوا

وهذه الأبيات تروى لأبي الأسود الدّؤليّ، وأنه كتب بها إلى حارثة لما ردّت إليه سرّق، ويزاد فيها:

وكن حازما فى اليوم إنّ الّذي به ... يجئ غد يوم على الناس مطبق (3)

ولا تعجزن فالعجز أوطأ مركب ... وما كلّ من يدعو إلى الخير يرزق

إذا ما دعاك القوم عدوّك آكلا ... وكل حار أوجع؛ لست ممّن يحمّق

ويقال إن حارثة بن بدر أجاب عن هذه الأبيات بقوله:

جزاك إله الناس خير جزائه ... فقد قلت معروفا وأوصيت كافيا

أشرت بأمر لو أشرت بغيره ... لألفيتنى فيه لرأيك عاصيا (4)
ويقال إن حارثة بن بدر والأحنف بن قيس دخلا على ابن زياد، فقال لحارثة: أىّ الشراب أطيب؟ وكان يتّهم (5)، فقال: برّة طاسارية، وأقطة غنويّة، وسمنة عنبريّة، وسكّرة سوسية، ونطفة مسرقانيّة (6). فقال للأحنف: يا أبا بحر، ما أطيب الشراب؟ قال:

---

(1) الهيوية: الّذي يهاب الناس؛ والهاء فيه لتأكيد المبالغة.
(2) حاشية الأصل (من نسخة):
«تهوى».
(3) حاشية الأصل: «يقال غمام مطبق؛ أى ذو طبق؛ وقد أطبقت السماء».
(4) البيتان فى الأغانى 21: 23، وبعدهما:
ستلقى أخا يصفيك بالودّ حاضرا ... ويوليك حفظ الغيب إن كنت نائيا.
(5) ت، ومن نسخة بحاشية الأصل: «وكان بينهم».
(6) حواشى الأصل، ت، ف: «ذكره يزيد بن مفرغ الحميرىّ:
سقى هزم الأوساط منبجس العرا ... منازلها من مسرقان فسرّقا
– هزم الأسواط؛ أى مجلجل بالرعد، وهزيم الرعد: صوته، وأوساطه؛ أى أوساط السحاب».

الخمر، قال: وما يدريك ولست من أهلها؟ قال: رأيت فيها خصلتين عرفت أنها أطيب الشراب بهما، قال: وما هما؟ قال: رأيت من أحلّت له لا يتعدّاها إلى غيرها، ومن حرّمت عليه يتناولها، فعرفت أنها أطيب الشراب.
ولحارثة بن بدر يخاطب عبيد الله بن زياد لما تغيّر عليه بعد اختصاصه كان بأبيه (1):
/ أهان وأقصى ثمّ تنتصحوننى ... وأىّ امرئ يعطى نصيحته قسرا!
رأيت الأكفّ المصلتين عليكم ... ملاء، وكفّى من عطاياكم صفرا
وإنى مع السّاعى إليكم بسيفه ... إذا أحدث الأيّام فى عظمكم كسرا
متى تسألونى ما علىّ وتمنعوا ال ... لذى لى لا أسطع على ذلكم صبرا
وقال يعاتبه:
وكم من أمير قد تجبّر بعد ما ... مريت له الدّنيا بسيفى فدرّت
إذا زبنته عن فواق أتت به ... دعانى ولا ادعى إذا ما أقرّت
إذا ما هى احلولت محا حقّ مقسمى ... ويقسم لى منها إذا ما أمرّت
زبنته: أى دفعته عن أن يحلبها. والفواق: اجتماع اللّبن فى الضّرع بين الحلبتين.
ومعنى أقرت: تركته يحلبها.
ويشبه أبيات حارثة هذه قول عبد الله بن الزّبير الأسدىّ يعاتب معاوية ومروان وأهل بيته؛ من جملة قصيدة، وهى أبيات قوية جدّا:

عطاؤكم للضّاربين رقابكم ... وندعى إذا ما كان حزّ الكراكر (2)
أنحن أخوكم فى المضيق وسهمنا ... إذا ما قسمتم فى الحظاء الأصاغر
– الحظاء: سهام صغار–

(1) الخبر مبسوط فى (الأغانى 21: 15)، والأبيات فيه منسوبة إلى أنس بن زنيم الليثيّ.
(2) الكراكر: جمع كركرة؛ وهى صدر البعير. وفى حاشية الأصل: «مثله:
وإذا تكون كريهة ادعى لها ... وإذا يحاس الحيس يدعى جندب.

وثديكم الأدنى إذا ما سألتم ... ونلقى بثدى حين نسأل باسر (1)
وإن كان فينا الذّنب فى الناس مثله ... أخذنا به من قبل ناه وآمر (2)
– معنى «من قبل ناه وآمر»، أى من قبل أن ننهى عنه أو نؤمر به، أى باجتنابه–
وإن جاءكم منّا غريب بأرضكم ... لويتم له يوما جنوب المناخر
فهل يفعل الأعداء إلّا كفعلكم ... هوان السّراة وابتغاء العواثر (3)
وغيّر نفسى عنكم ما فعلتم ... وذكر هوان منكم متظاهر
جفاؤكم من عالج الحرب عنكم ... وأعداؤكم من بين جاب وعاشر (4)
فلا تسألونى عن هواى وودّكم ... وقل فى فؤاد قد توجّه نافر (5)
ولحارثة يرثى زيادا:
لهفى عليك للهفة من خائف ... يبغى جوارك حين ليس مجير
أمّا القبور فإنّهنّ أوانس ... بجوار قبرك والدّيار قبور
عمّت فواضله فعمّ مصابه ... فالنّاس فيه كلّهم مأجور
ردّت صنائعه إليه حياته ... فكأنّه من نشرها منشور
قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علوّه: وأظن أبا تمام الطائىّ نظر إلى قول حارثة ابن بدر «ردت صنائعه إليه حياته» فى قوله:
ألم تمت يا شقيق النّفس مذ زمن؟ ... فقال لى: لم يمت من لم يمت كرمه (6)
وأخبرنا علىّ بن محمد الكاتب قال: أخبرنا ابن دريد قال: أخبرنا عبد الرحمن– يعنى ابن أخى الأصمعىّ عن عمه قال: مرّ حارثة بن بدر الغدانىّ، ومعه كعب مولاه، فجعل لا يمرّ

(1) باسر: قليل اللبن.
(2) حاشية ت: «أى إن أذنبنا الذنب الّذي يذنب الناس مثله أخذنا به من قبل أن ننهى عنه أو نؤمر بالانكفاف عنه».
(3) من نسخة بحاشيتى الأصل، ت: «هوان» بضم النون.
(4) الجابى: الّذي يأخذ الجباية، والعاشر الّذي يأخذ العشر.

(5) حاشية الأصل: «أى توجه إلى غيركم ونفر عنكم». وفى ت وحاشية الأصل (من نسخة): «قد توجد».
(6) من نسخة بحواشى الأصل، ت، ف: «يا شقيق الجود».

(1/387)

بمجلس من مجالس تميم إلّا قالوا: مرحبا بسيدنا. فقال كعب: ما سمعت كلاما قطّ هو أقرّ لعينى، وألذّ فى سمعى مما سمعته اليوم! فقال حارثة: ولكنّى ما سمعت كلاما قطّ هو أكره إلى منه، ثم قال:
ذهب الرّجال فسدت غير مدافع ... ومن الشّقاء تفرّدى بالسّؤدد (1)
وهذا البيت يقال إنه لحارثة، لا أنه تمثّل به.
وأخبرنا أبو عبيد الله المرزبانىّ قال حدثنى عبد الله بن جعفر قال حدثنا محمد بن يزيد قال قال الكنانىّ: مرّ حارثة بن بدر بالأحنف بن قيس فقال: لولا أنّك مستعجل لشاورتك، قال له: أجل، كانوا يكرهون أن يشاور الجائع حتى يشبع، والظمآن حتى ينقع، والمضلّ (2) حتى يجد، والغضبان حتى يرضى، والمحزون حتى يفيق.

---

(1) من نسخة بحاشيتى الأصل، ت: «غير مسود».
(2) المضل: الّذي ذهب بعيره.

(1/388)

29 مجلس آخر [المجلس التاسع والعشرون:]

تأويل آية [: أُولئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا ...]

إن سأل سائل عن قوله تعالى: أُولئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا/ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسابِ؛ [البقرة: 202].
فقال: أىّ تمدّح فى سرعة الحساب، وليس بظاهر وجه المدحة فيه؟ .
الجواب، قلنا فى ذلك وجوه:
أولها أن يكون المعنى أنّه سريع المجازاة (1) للعباد على أعمالهم، وأنّ وقت الجزاء قريب وإن تأخر، ويجرى مجرى قوله تعالى: وَما أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ؛ [النحل: 77].
وإنما جاز أن يعبّر عن المجازاة أو الجزاء بالحساب؛ لأنّ ما يجازى به العبد هو كفء لفعله ولمقداره، فهو حساب له إذا كان مماثلا مكافئا.
وممّا يشهد بأنّ فى الحساب معنى الكفاية والمكافأة قوله تعالى: جَزاءً مِنْ رَبِّكَ عَطاءً حِساباً؛ [النبأ: 36]، أى عطاء كافيا، ويقال: أحسبنى الطعام يحسبنى إحسابا إذا كفانى، قال الشاعر:
وإذ لا ترى فى النّاس حسنا يفوتها ... وفى النّاس حسن لو تأمّلت محسب (2)
معناه كاف.

(1) ت: «الحساب».
(2) فى حاشيتى الأصل، ف: «يصف امرأة بالحسن ويبالغ فى وصفها؛ يقول: ما رأينا حسنا فات هذه المرأة وتعداها مع أن ما فى الناس كفاية
حسن».

وثانيها أن يكون المراد أنّه عزّ وجل يحاسب الخلق جميعا فى أوقات يسيرة، ويقال:
إنّ مقدار ذلك مقدار حلب شاة؛ لأنه تعالى لا يشغله محاسبة بعضهم عن محاسبة غيره (1)؛ بل يكلّمهم جميعا ويحاسبهم كلّهم على أعمالهم فى وقت واحد؛ وهذا أحد ما يدلّ على أنّه تعالى ليس بجسم، وأنّه لا يحتاج فى فعل الكلام إلى آلة؛ لأنه لو كان بهذه الصفات- تعالى عنها- لما جاز أن يخاطب اثنين فى وقت واحد بمخاطبتين مختلفتين؛ ولكان خطاب بعض الناس يشغله عن خطاب غيره، ولكانت مدة محاسبته للخلق على أعمالهم طويلة غير قصيرة؛ كما أنّ جميع ذلك واجب فى المحدثين الذين يفتقرون فى الكلام إلى الآلات.
وثالثها ما ذكره بعضهم من أنّ المراد بالآية أنه سريع العلم بكل محسوب، وأنّه لما كانت عادة بنى الدنيا أن يستعملوا الحساب والإحصاء فى أكثر أمورهم؛ أعلمهم الله تعالى أنّه يعلم ما يحسبون بغير حساب؛ وإنما سمّى العلم حسابا لأنّ الحساب إنما يراد به العلم؛ وهذا جواب ضعيف؛ لأن العلم بالحساب أو المحسوب لا يسمّى حسابا، ولو سمّى بذلك لما جاز أيضا أن يقال إنه سريع العلم بكذا؛ لأنّ علمه بالأشياء مما لا يتجدّد فيوصف بالسرعة.
ورابعها أنّ الله تعالى سريع القبول لدعاء عباده والإجابة لهم؛ وذلك أنّه يسأل فى وقت واحد سؤالات مختلفة/ من أمور الدنيا والآخرة، فيجزى كلّ عبد بمقدار استحقاقه ومصلحته، فيوصل إليه عند دعائه ومسألته ما يستوجبه بحد ومقدار؛ فلو كان الأمر على ما يتعارفه الناس لطال العدد واتصل الحساب، فأعلمنا تعالى أنّه سريع الحساب، أى سريع القبول للدعاء بغير إحساس وبحث عن المقدار الّذي يستحقّه الداعى؛ كما يبحث المخلوقون للحساب والإحصاء؛ وهذا الجواب مبنىّ أيضا على دعوى أنّ قبول الدعاء لا يسمّى حسابا فى لغة ولا عرف ولا شرع. وقد كان يجب على من أجاب بهذا الجواب أن يستشهد على ذلك بما يكون حجة فيه، وإلّا فلا طائل فيما ذكره.

(1) حاشية ت (من نسخة): «بعض».

ويمكن فى الآية وجه آخر، وهو أن يكون المراد بالحساب محاسبة الخلق على أعمالهم يوم القيامة وموافقتهم عليها، وتكون الفائدة فى الإخبار بسرعته الإخبار عن قرب الساعة؛ كما قال تعالى: سَرِيعُ الْعِقابِ.

وليس لأحد أن يقول: فهذا هو الجواب الأول الّذي حكيتموه؛ وذلك أن بينهما فرقا؛ لأن الأول مبنىّ على أن الحساب

فى الآية هو الجزاء والمكافأة على الأعمال، وفى هذا الجواب لم يخرج الحساب عن بابه وعن معنى المحاسبة، والمقابلة بالأعمال وترجيحها، وذلك غير الجزاء الّذي يفضى الحساب إليه.

وقد طعن بعضهم فى الجواب الثانى معترضا على أبى علىّ الجبّائىّ فى اعتماده إياه [بأن قال] (1):

مخرج الكلام فى الآية على وجه الوعيد، وليس فى خفّة الحساب وسرعة زمانه ما يقتضي زجرا، ولا هو مما يتوعد بمثله؛ فيجب أن يكون المراد الإخبار عن قرب أمر الآخرة والمجازاة على الأعمال.

وهذا الجواب ليس أبو علىّ هو المبتدئ به، بل قد حكى عن الحسن البصرىّ، واعتمده أيضا قطرب بن المستنير النحوىّ: وذكره المفضّل بن سلمة، وليس الطّعن الّذي حكيناه عن هذا الطاعن بمبطل له، لأنه اعتمد على أنّ مخرج الآية مخرج الوعيد، وليس كذلك، لأنه تعالى قال: فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنا آتِنا فِي الدُّنْيا وَما لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ. وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنا آتِنا فِي الدُّنْيا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنا عَذابَ النَّارِ. أُولئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسابِ؛ [البقرة: 200 – 202]، فالأشبه بالظاهر أن يكون الكلام وعدا بالثواب، وراجعا إلى الذين يقولون: رَبَّنا آتِنا/ فِي الدُّنْيا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنا عَذابَ النَّارِ، أو يكون راجعا إلى الجميع، فيكون المعنى: إن للجميع نصيبا مما كسبوا؛ فلا يكون وعيدا خالصا؛ بل إما أن يكون وعدا خالصا أو وعدا ووعيدا، على أنه لو كان وعيدا خالصا على ما ذكر الطاعن لكان لقوله تعالى: وَاللَّهُ

---

(1) ت: «فقال».

سَرِيعُ الْحِسابِ، على تأويل من أراد قصر الزمان، وسرعة الموافقة وجه وتعلّق بالوعد والوعيد؛ لأن الكلام على كل حال متضمّن لوقوع المحاسبة على أعمال العباد، والإحاطة بخيرها وشرّها؛ وإن وصف الحساب مع ذلك بالسرعة؛ وفى هذا ترغيب وترهيب لا محالة، لأن من علم أنه يحاسب بأعماله، ويواقف (1) على جميلها وقبيحها انزجر عن القبيح ورغب فى فعل الواجب.

فبهذا ينصر الجواب، وإن كنا لا ندفع أن فى حمل الحساب على قرب المجازاة، أو قرب المحاسبة على الأعمال ترغيبا فى الطاعات وزجرا عن المقبّحات؛ فالتأويل الأول أشبه بالظاهر ونسق الآية، إلا أن التأويل الآخر غير مدفوع أيضا ولا مرذول (2).

تأويل آية أخرى [: وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ]

إن سأل سائل عن قوله تعالى: وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ؛ [البقرة: 212].

فقال: أىّ تمدّح فى الإعطاء بغير حساب، وقد يكون المعطى بحساب أجزل عطية من المعطى بغير حساب؟ .

الجواب، قلنا فى هذه الآية وجوه:

أولها أن تكون الفائدة أنه تعالى يرزق من يشاء بغير تقدير من المرزوق ولا احتساب منه، فالحساب هاهنا راجع إلى المرزوق لا إليه تعالى؛ كما يقول القائل: ما كان كذا وكذا فى حسابى، أى لم أؤمله، ولم أقدّر أنه يكون؛ وهذا وصف للرزق بأحسن الأوصاف؛ لأن الرزق إذا لم يكن محتسبا كان أهنأ له وأحلى؛ وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنه فى تفسير هذه الآية أنه قال: عنى بها أموال بنى قريظة والنّضير، وأنّها تصير إليكم بغير حساب ولا قتال، على أسهل الأمور وأقربها وأيسرها.

---

(1) ط: «ويوقف».

(2) د: «مردود».

وثانيها أن الله تعالى يرزق من يشاء رزقا غير مضيّق ولا مقتّر؛ بل يزيد فى السّعة والكثرة على كل عطاء المخلوقين (1)، فيكون نفى الحساب فيه نفيا (2) للتّضييق، ومبالغة فى وصفه بالسّعة، والعرب تسمّى العطاء القليل/ محسوبا، قال قيس بن الخطيم:

أنّ سربت وكنت غير سروب! ... وتقرّب الأحلام غير قريب (3)

ما تمنعى يقظى فقد تؤتينه ... فى النّوم غير مصرّد محسوب (4)

وثالثها أن يكون المعنى أنه يرزق من يشاء، أى من غير طلب للمكافأة أو إراغة لفائدة تعود إليه، أو منفعة ترجع عليه، لأنّ من شأن أهل الدنيا أن يعطوا ليكافئوا ولينتفعوا، ولهذا يقال فيمن يقصد بالعطية إلى هذه الأمور: فلان يحاسب الناس فيما يعطيهم، ويناقشهم فيما يوصّله إليهم، وما أشبه ذلك، فلما انتفت هذه الأمور من عطاياه سبحانه جاز أن يقول إنه يرزق بغير حساب.

ورابعها ما أجاب به قطرب، قال: معنى الآية يعطى العدد الكثير لا ممّا (5) يضبطه الحساب، أو يأتى (6) عليه العدد، لأن مقدوره تعالى لا يتناهى، وما فى خزائنه لا ينحصر، ولا يصحّ عليه النفاد؛ وليس كالمعطى منّا الألف من الألفين، والعشرة من المائة؛ لأن مقدار ما يتّبع له ويتمكّن منه محدود متناه، ولا تناهى ولا انقطاع لما يقدّر سبحانه عليه.

وخامسها أنه يعطى عباده فى الجنة من النعيم واللذات أكثر مما استحقوا، وأزيد مما وجب لهم، بمحاسبته إياهم على طاعتهم كما قال تعالى: مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً

---

(1) ت، وحاشية الأصل (من نسخة): «عطاء للمخلوقين».

(2) حاشية الأصل (من نسخة) «نقيضا».

(3) ديوانه: 5، وأمالى العالى 2: 273، وحماسة ابن الشجرى: 189، واللآلئ: 524. وفى حاشية الأصل: «يخاطب خيال امرأة رآها فى المنام؛ يتعجب من سير خيالها إليه وكانت غير معتادة للسير،

والسروب: السارى، وقيل: السرب سير النهار». وفى حاشية ت:
«أنى سريت ... ».
(4) المصرّد: المقطع؛ وفى حاشية ت: «وبعده:
كان المنى بلقائها فلقيتها ... فلهوت من لهو امرئ مكذوب.
(5) من نسخة بحواشى الأصل، ت، ف: «مما لا يضبطه الحساب».
(6) ت: «إذ يأتى عليه العدد».

حَسَناً فَيُضاعِفَهُ لَهُ أَضْعافاً كَثِيرَةً؛ [البقرة: 245] وكما قال عز وجل: إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً يُضاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ؛ [التغابن: 17]، وكما قال تعالى: لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ؛ [فاطر: 30].
وسادسها أن يكون المعطى منّا غيره شيئا والرازق سواه رزقا قد يكون له ذلك، فيكون فعله حسنا لا يسأل عنه، ولا يؤاخذ به، ولا يحاسب عليه؛ وربما لم يكن له ذلك، فيكون فعله قبيحا يؤاخذ به، ويحاسب عليه، فنفى الله تعالى عن نفسه أن يفعل من الرزق القبيح، وما ليس له أن يفعله بنفى الحساب عنه، وأنبأ أنه لا يرزق ولا يعطى إلا على أفضل الوجوه وأحسنها وأبعدها من الذمّ؛ وتجرى الآية مجرى قوله تعالى: لا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ؛ [الأنبياء: 23]، وإنما أراد أنه تعالى من حيث وقعت أفعاله كلّها حسنة غير قبيحة لم يجز أن يسأل عنها/ وإن سئل العباد عن أفعالهم، لأنهم يفعلون الحسن والقبيح معا.
وسابعها أنّ الله تعالى إذا رزق العبد وأعطاه من فضله كان الحساب عن العبد ساقطا من جهة الناس، فليس لأحد أن يقول له: لم رزقت؟ ولا يقول لربه: لم رزقته؟
ولا يسأله ربّه عن الرزق، وإنما يسأله عن إنفاقه فى الوجوه التى ينفقه فيها، فيسقط (1) الحساب من هذه الوجوه عمّا يرزقه الله تعالى، ولذلك قال تعالى: بِغَيْرِ حِسابٍ.
وثامنها أن يكون المراد ب مَنْ يَشاءُ أن يرزقه من أهل الجنة، لأنه يرزقهم رزقا لا يصحّ أن يتناول جميعه الحساب، ولا العدد والإحصاء من حيث لا نهاية له ولا انقطاع للمستحقّ منه؛ ويطابق هذه الآية قوله تعالى فى موضع آخر: فَأُولئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيها بِغَيْرِ حِسابٍ؛ [غافر: 40].

(1) ت: «فسقط».

تأويل خبر [«توضّئوا ممّا غيّرت النار»]
إن سأل سائل عن الخبر الّذي يروى عن زيد بن ثابت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلّم أنه قال:

«توضّئوا ممّا غيّرت النار»، فقال: ما المراد بالوضوء هاهنا ومذهبكم أن مسّ ما غيّرته النار لا يوجب وضوءا؟

الجواب، إن معنى «توضئوا» أى نظّفوا أيديكم من الزّهومة، لأنه روى أنّ جماعة من الأعراب كانوا لا يغسلون أيديهم من الزّهومة ويقولون: فقدها أشدّ علينا من ريحها، فأمر عليه السلام بتنظيف الأيدى لذلك (1).

فإن قيل: كيف يصحّ أن تحملوا الخبر على اللفظ اللغوىّ، مع انتقاله بالعرف الشرعىّ إلى الأفعال المخصوصة، بدلالة أنّ من غسل يده أو وجهه لا يقول بالإطلاق: «توضأت»، ومتى سلم لكم أن الوضوء أصله من النظافة لم ينفعكم مع الانتقال الّذي ذكرناه، وكلامه عليه السلام أخصّ بالعرف الشرعىّ، وحمله عليه أولى من حمله على اللغة.

قلنا: ليس ينكر (2) أن يكون إطلاق الوضوء هو المنتقل من اللغة إلى عرف الشرع، والمختصّ بالأفعال المعيّنة، وكذلك المضاف منه إلى الحدث أو الصلاة وما أشبههما (3). فأما المضاف إلى الطعام وما جرى مجراه فباق على أصله؛ ألا ترى أنّهم لو قالوا: توضأت من الطعام، ومن الغمر (4)، أو توضأت للطعام لم يفهم منه إلّا الغسل والتنظيف، وإذا قالوا:

توضأت إطلاقا، أو توضأت من الحدث أو للصلاة فهم منه/ الأفعال الشرعية؛ فليس ينكر ما ذكرناه من اختصاص النّقل، لأنه كما يجوز انتقال اللفظة من فائدة فى اللغة إلى فائدة فى الشرع على كلّ وجه، كذلك يجوز أن تنتقل على وجه دون وجه، وتبقى من الوجه الّذي لم تنتقل منه على ما كان عليه فى اللغة.

وقد ذهب كثير من الناس إلى أنّ إطلاق لفظة «مؤمن» منتقل من اللغة إلى عرف

---

(1) حاشية ت (من نسخة): «عن ذلك».

(2) حاشية ت (من نسخة): «ليس ننكر».

(3) فى حاشيتى ت (من نسخة): «وما أشبهها».

(4) الغمر، بالتحريك: زنخ اللحم.

الدين ومختصّ باستحقاق الثواب، وإن كان مقيّدها باقيا على ما كان عليه فى اللغة.

ويبيّن ذلك أيضا ما روى عن الحسن أنه قال: «الوضوء قبل الطعام ينفى الفقر، وبعده ينفى اللّمم»؛ وإنما أراد غسل اليدين بغير شك. وروى عن قتادة أنه قال: «غسل اليد وضوء» وروى عكراش (1) أن رسول الله صلى الله عليه وآله أكل [وغسل يده ومسح ببلل يده وجهه] (2) وذراعيه ورأسه (3)، وقال: «هكذا الوضوء ممّا مست النار»، على أنه لو كانت هذه اللفظة منتقلة على كلّ حال إلى الأفعال الشرعية المخصوصة لصحّ أن نحمله (4) فى الخبر على خلاف ذلك، ونردّها إلى أصلها بالأدلّة، وإن كان الأولى لولا الأدلة أن تحمل على مقتضى الشرع (5).

فمن الأدلة على ما ذكرناه ما رواه ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وآله أكل كتف شاة، وقام

فصلّى ولم يتوضأ. وروى عطاء عن أمّ سلمة قالت: قرّبت جنبا مشويا إلى النبي صلى الله عليه وآله، فأكل منه، وصلّى ولم يتوضأ. وروى محمد بن المنكدر عن جابر أنه قال: كان آخر الأمرين من رسول الله صلى الله عليه وآله ترك الوضوء ممّا مسّت النار (6).
وكلّ هذه الأخبار توجب العدول عن ظاهر الخبر الأول لو كان له ظاهر، فكيف وقد بيّنا أنّه لا ظاهر له!
فأما اشتقاق الوضوء فهو من الوضاءة التى هى الحسن، فلما كان من غسل يده ونظفها قد حسّنها قيل وضّأها؛ ويقال: فلان وضيء الوجه وقوم وضاء، قال الشاعر:

---

(1) هو عكراش بن ذؤيب بن حرقوس، وفى ت، ف: «عكرمة عن أنس».
(2) حاشية ت (من نسخة): «وغسل يديه، ومسح ببلل يديه».
(3) حاشية ت (من نسخة): «وببلل ذراعيه رأسه».
(4) ت، د، ومن نسخة بحاشيتى الأصل، ف: «نحملها».
(5) حواشى الأصل، ت، ف: «إنما نحمل اللفظة على العرف الشرعى فيما يتعلق بالأحكام الشرعية فحسب».
(6) فى حاشيتى الأصل، ف: «كان فى الأول يتوضأ مما مسته النار ثم ترك».

مساميح الفعال ذوو أناة ... مراجيح وأوجههم وضاء (1)
والوضوء، بضم الواو: المصدر، وكذلك أيضا التّوضؤ والوضوء، بفتح الواو: اسم ما يتوضأ به، وكذلك/ الوقود اسم لما توقد به النار: والوقود، بالضم: المصدر، ومثله التوقّد، وقد يجوز أن يكون الوقود، بفتح الواو: المصدر، وكذلك الوضوء بفتح الواو؛ كما قالوا:
حسن القبول، فجعلوا القبول مصدرا، وهو مفتوح الأول، ولا يجوز فى الوقود والوضوء بالضم إلا معنى المصدر وحده، قال جرير.
أهوى أراك برامتين وقودا ... أم بالجنينة من مدافع أودا (2)
وقال آخر:
إذا سهيل لاح كالوقود ... فردا كشاة البقر المطرود
وقال آخر:
وأجّجنا بكلّ يفاع أرض ... وقود النّار للمتنوّرينا (3)

*** [بعض أخبار عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وطائفة من شعره:]
أخبرنا أبو عبيد الله المرزبانىّ قال حدّثني محمد بن إبراهيم قال حدثنا أحمد بن يحيى قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدثنا إبراهيم بن المنذر قال حدثنى إبراهيم بن محمد عن عبد العزيز ابن عمر بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن ابن شهاب قال: أتيت عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة بن مسعود (4)

يوما فى منزله، فإذا هو مغيظ (5) ينفخ، فقلت له: ما لي أراك هكذا! قال: دخل عليّ (6) عاملكم هذا- يعنى عمر بن عبد العزيز- ومعه عبد الله بن عمرو بن عثمان

(1) حاشية ف: «السمح: الجواد والجمع سمحاء؛ ومساميح؛ كأنه جمع مسماح. والمراجيح: الحلماء».
(2) ديوانه 169. ورامة والجنينة وأود: مواضع. والمدافع: جمع مدفع؛ وهو مسيل الماء إلى الوادى وفى حاشيتى الأصل، ف: «يقول: الّذي يريك وقود النار بهذه المواضع عشق هذا».
(3) اليفاع: المرتفع من الأرض؛ والمتنور: من ينظر إلى النار من بعيد؛ قال امرؤ القيس:
تنوّرتها من أذرعات وأهلها ... بيثرب أدنى دارها نظر عال
(4) أحد الفقهاء السبعة بالمدينة توفى سنة 98؛ وكان ضريرا؛ ذكره الصفدى فى نكت الهميان: 197 - 198، وانظر ترجمته وأشعاره فى الأغانى 8: 88 - 95.
(5) من نسخة بحواشى الأصل، ت، ف: «متغيظ».
(6) ت: «دخلت على عاملكم.

فسلّمت، فلم يردّا عليّ السلام، فقلت (1):
ألا أبلغا عنّى عراك بن مالك ... فإن أنت لم تفعل فأبلغ أبا بكر (2)
فقد جعلت تبدو شواكل منكما ... فإنّكما بى موقران من الصّخر (3)
وطاوعتما بى غادرا ذا معاكة ... لعمرى لقد أورى وما مثله يورى (4)
- يقال: معك به وسدل به [إذا تعرّض له بشرّ] (5) -
فلولا اتّقاء الله اتّقائى فيكما ... للمتكما لوما أحرّ من الجمر (6)
فمسّا تراب الأرض، منها خلقتما ... وفيها المعاد والمقام إلى الحشر
ولا تأنفا أن تغشيا فتكلّما ... فما حشى الأقوام شرّا من الكبر (7)
ولو شئت أدلى فيكما غير واحد ... علانية أو قال عندى فى السّرّ (8)
/- معناه: لو شئت اغتابكما عندى غير واحد-
فإن أنا لم آمر ولم أنه عنكما ... ضحكت له حتّى يلجّ ويستشرى (9)
وكيف تريدان ابن سبعين حجّة ... على ما أنى وهو ابن عشرين أو عشر (10)

(1) الخبر بروايته عن ابن شهاب فى (الأغانى 8: 91 - 92)، وفيه رواية أخرى أيضا ص 91 عن ابن إدريس: «كان عراك بن مالك وأبو بكر بن حزم وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة يتجالسون بالمدينة زمانا؛ ثم إن ابن حزم ولى إمرتها، وولى عراك القضاء، وكانا يمران بعبيد الله فلا يسلمان عليه ولا يقفان- وكان ضريرا- فأخبر بذلك فأنشأ يقول ... »، وأورد الأبيات.
(2) حاشية ت (من نسخة): «ألا أبلغن».

(3) الشواكل: جمع شاكلة؛ وهى الخاصرة، وأراد بها هاهنا أمورا ينكرها. وبى؛ أى بمكانى.
(4) فى حاشيتى الأصل، ف: «قوله: «وطاوعتمانى» فى حيز التشبيه؛ يقول: كأنكما موقران، وكأنكما إذ طاوعتمانى طاوعتما غادرا عريضا. ثم قال: لعمرى لقد أورى هذا الفعل منكما؛ أى فسد؛ من ورى جوفه؛ أو أوقد- يعنى شرا، أى أثر وكنت لا أتأثر بمثل ذلك».
(5) ت: «إذا تعرض به لشر».
(6) حاشية ف: «أى لولا اتقائى بتقى الله للمتكما؛ وهو مثل؛ ويجوز أن يكون قوله: «اتقائى» مفعولا له؛ أى للاتقاء.
(7) ت، حاشية الأصل (من نسخة): «تكلما»، بكسر اللام المشددة وفى حاشية الأصل أيضا (من نسخة): «أن ترجعا فتسلما».
(8) من نسخة بحاشيتى الأصل، ت: «عندى فى سر». يقال: أدلى فلان فى فلان إذا قال فيه قولا قبيحا.
(9) الضمير فى «له» يعود إلى المغتاب، واستشرى فى الأمر: لج فيه؛ أى يجترئ ويظهر؛ وأصل الكلمة الاستخراج.
(10) يريد أن يقول: كيف تريد اثنى على ما امتنعت عنه وأنا صبى! .

لقد علقت دلوا كما دلو حوّل ... من القوم لا رخو المراس ولا نزر (1)
قال ابن شهاب: فقلت له: مثلك يرحمك الله مع نسكك وفضلك وفهمك (2) يقول الشعر! فقال: إن المصدور إذا نفث برئ.
وإنما ذكر عراك بن مالك وأبا بكر بن عمرو بن حزم- وكانا صديقيه- كناية بذكرهما عن ذكر غيرهما.
وقد جاءت رواية أخرى أن أبا بكر بن عمر (3) بن حزم وعراك بن مالك كانا يجتازان على عبيد الله فلا يسلّمان عليه، فقال الأبيات يخاطبهما بها.
وروى محمد بن سلّام لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة:
إذا كان لى سرّ فحدّثته العدى ... وضاق به صدرى، فللنّاس أعذر (4)
هو السّرّ ما استودعته وكتمته ... وليس بسرّ حين يفشو ويظهر (5)
وانشد مصعب الزبيرىّ لعبيد الله بن عتبة بن مسعود:
أواخى رجالا لست مطلع بعضهم ... على سرّ بعض إنّ صدرى واسعه
إذا هى حلّت وسط عوذ ابن غالب ... فذلك ودّ نازح لا أطالعه (6)
تلاقت حيازيمي على قلب حازم ... كتوم لما ضمّت عليه أضالعه (7)
بنى لى عبد الله فى سورة العلى ... وعتبة مجدا لا تنال مصانعه (8)
والبيت الأول يشبه قول مسكين الدارمىّ:
وفتيان صدق لست مطلع بعضهم ... على سرّ بعض غير أنى جماعها (9)

(1) حول: شديد الاحتيال؛ أى أنكما، وقعتما على من لا تطيقان دفعه عن أنفسكما.
(2) من نسخة بحواشى الأصل، ت، ف: «وفقهك».
(3) حاشية (من نسخة):
«عمرو».
(4) العدى بالكسر: الأجانب، وبالضم الأعداء.
(5) حاشية ت (من نسخة):
«وحفظته».
(6) الضمير يعود على المودة، وعوذ: جمع عائذ، وهى الحديثة النتاج من الإبل وغيرها.
(7) فى الأغانى: «شددت حيازيمى». والحيزوم: وسط الصدر. ومن نسخة بحاشيتى الأصل، ت: «ضمت»، بالبناء للمعلوم.
(8) المصانع: الأبنية.
(9) الحماسة- بشرح التبريزى 3: 126.

ومما يستحسن لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة قوله:
تغلغل حبّ عثمة فى فؤادى ... فباديه مع الخافى يسير (1)
تغلغل حيث لم يبلغ شراب ... ولا حزن ولم يبلغ سرور
/ شققت القلب ثمّ ذررت فيه ... هواك فليم فالتأم الفطور (2)
أكاد إذا ذكرت العهد منها ... أطير لو أنّ إنسانا يطير
غنىّ النّفس أن أزداد حبّا ... ولكنّى إلى وصل فقير (3)
وأخذ هذا المعنى أبو نواس فقال:
أحللت فى قلبى هواك محلّة ... ما حلّها المشروب والمأكول (4)
وأخذه المتنبى فى قوله:
وللسّرّ منى موضع لا يناله ... نديم ولا يفضى إليه شراب (5)
وكأنّ العباس بن الأحنف ألمّ به فى قوله:
لو شقّ عن قلبى قرى وسطه ... اسمك والتوحيد فى سطر
وقال الصاحب اسماعيل بن عباد:
لو شقّ قلبى لرأوا وسطه ... سطر بن قد خطّا بلا كاتب
العدل والتّوحيد فى جانب ... وحبّ أهل البيت فى جانب
وقول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أحسن من الجميع وبعده بيت المتنبى.
ولعبيد الله بن عبد الله بن عتبة:
لعمر أبى المحصين أيّام نلتقى ... لما لا نلاقيها من الدّهر أكثر

(1) الأبيات فى أمالى القالى 3: 217، وذكر صاحب الأغانى أن عثمة زوجه.
(2) الفطور: الشقوق.
(3) حاشية ت: «يعنى أنه يستغنى عن ازدياد حب إلى حبه، لأنه قد تناهى. وأن أزداد، يعنى: عن أن ازداد».
(4) حاشية الأصل (من نسخة): «المأكول المشروب».
(5) ديوانه: 192.

يعدّون يوما واحدا إن أتيتها ... وينسون ما كانت على الدّهر تهجر
فإن يكن الواشون أغروا بهجرنا (1) ... فإنّا بتجديد المودّة أجدر
ومن مستحسن قوله:
لعمرى لئن شطّت بعثمة دارها ... لقد كنت فى وشك الفراق أليح (2)
أروح بهمّ ثمّ أغدو بمثله ... ويحسب أنّى فى الثّياب صحيح
أخذ هذا المعنى بشار، فقصّر عنه فى قوله:
يصبح محزونا ويمسى به ... وليس يدرى ماله عندك

(1) م: «بهجرها».
(2) ت، وحاشية الأصل من نسخة: «من وشك الفراق».
وأليح: أشفق.

30 مجلس آخر [المجلس الثلاثون:]

تأويل آية [: قَدِ افْتَرَيْنا عَلَى اللَّهِ كَذِباً إِنْ عُدْنا فِي مِلَّتِكُمْ ...]

إن سأل سائل عن قوله تعالى حاكيا عن شعيب عليه السلام: قَدِ افْتَرَيْنا عَلَى اللَّهِ كَذِباً إِنْ عُدْنا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْها وَما يَكُونُ لَنا أَنْ نَعُودَ فِيها إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ رَبُّنا؛ [الأعراف: 89].
فقال: أليس هذا تصريحا منه بأنّ الله تعالى يجوز أن يشاء الكفر والقبيح؛ لأن ملّة/ قومه كانت كفرا وضلالا، وقد أخبر أنّه لا يعود فيها إلّا أن يشاء الله؟
الجواب، قيل له فى هذه الآية وجوه:
أولها أن تكون الملّة التى عناها الله إنما هى العبادات الشرعيات؛ التى كان قوم شعيب متمسكين بها؛ وهى منسوخة عنهم، ولم يعن بها ما يرجع إلى الاعتقادات فى الله وصفاته؛ مما لا يجوز أن تختلف (1)

العبادة فيه، والشرعيات يجوز فيها اختلاف العبادة؛ من حيث تبعت (2) المصالح والألطاف والمعلوم من أحوال المكلّفين؛ فكأنّه قال: إنّ ملتكم لا نعود فيها؛ مع علمنا بأنّ الله تعالى قد نسخها وأزال حكمها، إلّا أن يشاء الله أن يتعبّدنا بمثلها فنعود إليها؛ وتلك الأفعال التى كانوا متمسّكين بها؛ مع نسخها عنهم ونهيهم عنها- وإن كانت ضلالا وكفرا- فقد كان يجوز فيما هو مثلها أن يكون إيمانا وهدى؛ بل فيها أنفسها قد كان يجوز ذلك؛ وليس تجرى هذه الأفعال مجرى الجهل بالله تعالى، الّذي لا يجوز أن يكون إلّا قبيحا.

وقد طعن بعضهم على هذا الجواب فقال: كيف يجوز أن يتعبّدهم الله تعالى بتلك الملّة مع قوله: قَدِ افْتَرَيْنا عَلَى اللَّهِ كَذِباً إِنْ عُدْنا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْها؟

(1) ت: «اختلاف العبادة.

(2) حاشية ت (من نسخة): «تتبع».

فيقال له: لم ينف عودهم إليها على كل وجه؛ وإنما نفى العود إليها مع كونها منسوخة منهيّا عنها؛ والّذي علّقه بمشيئة الله تعالى من العود إليها هو بشرط أن يأمر بها، ويتعبّد بمثلها، والجواب مستقيم لا خلل فيه.

وثانيها أنّه أراد أنّ ذلك لا يكون أبدا من حيث علّقه بمشيئة الله تعالى لمّا كان معلوما أنّه لا يشاؤه؛ وكلّ أمر علّق بما لا يكون فقد نفى كونه على أبعد الوجوه؛ وتجرى الآية مجرى قوله تعالى: لا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِياطِ؛ [الأعراف: 40] وكما يقول القائل: أنا لا أفعل كذا حتى يبيضّ القار؛ أو يشيب الغراب؛ وكما قال الشاعر:

وحتّى يئوب القارظان كلاهما ... وينشر فى القتلى كليب لوائل (1)

والقارظان لا يئوبان أبدا، وكليب لا ينشر أبدا؛ فكأنه قال: إنّ هذا لا يكون أبدا.

وثالثها/ ما ذكره قطرب بن المستنير من أنّ فى الكلام تقديما وتأخيرا، وأنّ الاستثناء من الكفار وقع لا من شعيب؛ فكأنه تعالى قال حاكيا عن الكفار: لَنُخْرِجَنَّكَ يا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنا؛ [الأعراف: 88]، إلّا أن يشاء الله أن تعود فى ملّتنا؛ ثم قال تعالى حاكيا عن شعيب: وَما يَكُونُ لَنا أَنْ نَعُودَ فِيها على كل حال.

ورابعها أن تعود الهاء التى فى قوله: فِيها إلى القرية لا إلى الملّة؛ لأن ذكر القرية قد تقدّم كما تقدم ذكر الملّة؛ ويكون تلخيص الكلام: إنّا سنخرج من قريتكم، ولا نعود فيها إلّا أن يشاء الله بما ينجزه لنا من الوعد فى الإظهار عليكم، والظّفر بكم، فنعود إليها.

وخامسها أن يكون المعنى: إلّا أن يشاء الله أن يردّكم إلى الحق، فنكون جميعا على

(1) البيت لأبى ذؤيب الهذلىّ، ديوان الهذليين 1: 145. والقارظان هما رجلان من عنزة؛ خرجا ينتحيان القرظ ويجتنيانه، فلم يرجعا؛ فضرب بهما المثل؛ وانظر اللسان (قرظ)، وشرح ديوان الهذليين.

ملة واحدة غير مختلفة؛ لأنّه لما قال تعالى حاكيا عنهم: أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنا كان معناه: أو لنكوننّ على ملة واحدة غير مختلفة، فحسن أن يقول من بعد: إلّا أن يشاء الله أن يجمعكم معنا على ملة واحدة.

فإن قيل: الاستثناء بالمشيئة إنما كان بعد قوله: وَما يَكُونُ لَنا أَنْ نَعُودَ فِيها؛ فكأنه قال: ليس نعود فيها إلّا أن يشاء الله، فكيف يصحّ هذا الجواب؟

قلنا: هو كذلك؛ إلّا أنه لمّا كان معنى أَنْ نَعُودَ فِيها، هو أن تصير ملتنا واحدة غير مختلفة جاز أن يوقع الاستثناء على المعنى فيقول: إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ أن نتّفق فى الملة بأن ترجعوا أنتم إلى الحق.

فإن قيل: فكأنّ الله تعالى ما شاء أن يرجع الكفار إلى الحق!

قلنا: بلى قد شاء ذلك، إلّا أنه ما شاءه على كل حال، بل من وجه دون وجه، وهو أن يؤمنوا ويصيروا إلى الحق مختارين؛ ليستحقّوا الثواب الّذي أجرى (1) بالتكليف إليه، ولو شاءه على كل حال لما جاز ألّا يقع منهم؛ فكأن شعيبا عليه السلام قال: إن ملّتنا لا تكون واحدة أبدا؛ إلا أن يشاء الله أن يلجئكم إلى الاجتماع معنا على ديننا وموافقتنا فى ملتنا؛ والفائدة فى ذلك واضحة؛ لأنه لو أطلق أنّا لا نتفق أبدا، ولا تصير ملتنا واحدة لتوهّم متوهّم أنّ ذلك مما لا يمكن على حال من الأحوال؛ فأفاد بتعليقه (2) له بالمشيئة هذا الوجه؛ ويجرى قوله تعالى: إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ مجرى قوله تعالى: وَلَوْ شاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً؛ [يونس: 99].

وسادسها أن يكون المعنى: إلّا أن يشاء الله أن يمكّنكم من إكراهنا، / ويخلّى بينكم وبينه، فنعود إلى (3) إظهارها

مكرهين؛ ويقوّى هذا الوجه قوله تعالى: أَوَلَوْ كُنَّا كارِهِينَ؛ [الأعراف: 88].

---

(1) حاشية ت (من نسخة): «الّذي أجرى» بالألف.

(2) حاشية ت (من نسخة): «فأفاد تعليقه».

(3) حاشية ت (من نسخة): «فنعود فى إظهارها».

وسابعها أن يكون المعنى إلّا أن يشاء الله أن يتعبّدنا بإظهار ملّتكم مع الإكراه؛ لأنّ إظهار كلمة الكفر قد تحسن فى بعض الأحوال إذا تعبّد الله تعالى بإظهارها؛ وقوله:

أَوَلَوْ كُنَّا كارِهِينَ يقوّى هذا الوجه أيضا.

فإن قيل: فكيف يجوز من نبيّ من أنبياء الله تعالى أن يتعبّد بإظهار الكفر وخلاف ما جاء به من الشّرع؟

قلنا: يجوز أن يكون لم يرد بالاستثناء نفسه بل قومه؛ فكأنه قال: وما يكون لى ولا لأمّتى أن نعود فيها

إلّا أن يشاء الله أن يتعبّد أمتى بإظهار ملّتكم على سبيل الإكراه؛ وهذا جائز غير ممتنع.

تأويل خبر [: «خير الصّدقة ما أبقت غنى»]
روى أبو هريرة عن النبىّ صلى الله عليه وآله أنه قال: «خير الصّدقة ما أبقت غنى، واليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول».
وقد قيل فى قوله: «خير الصّدقة ما أبقت غنى»: قولان:
أحدهما أنّ خير ما تصدّقت به ما فضل عن (1) قوت عيالك وكفايتهم، فإذا خرجت صدقتك عنك إلى من أعطيت خرجت عن استغناء منك ومن عيالك عنها؛ ومثله فى الحديث الآخر: «إنما الصّدقة عن ظهر غنى». وقال ابن عباس رحمة الله عليه فى قوله تعالى:
وَيَسْئَلُونَكَ ماذا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ؛ [البقرة: 219]؛ قال: ما فضل عن أهلك.
والجواب الآخر، أن يكون أراد: خير الصّدقة ما أغنيت به من أعطيت عن المسألة، أى تجزل له فى العطيّة، فيستغنى بها ويكفّ عن المسألة؛ وذلك مثل أن يريد الرجل أن يتصدق بمائة درهم، فيدفعها إلى رجل واحد محتاج، فيستغنى بها ويكفّ عن المسألة، فذلك أفضل من أن يدفعها إلى مائة رجل لا تبين عليهم.

---

(1) حاشية ت (من نسخة): «ما فضل من قوت عيالك».

والتأويل الأوّل يشهد له آخر الخبر وهو قوله: «وابدأ بمن تعول»، ويشهد له الحديث الآخر أيضا: «إنّما الصدقة عن ظهر غنى».
وقوله: «اليد العليا خير من اليد السّفلى»، قال قوم: يريد أنّ اليد المعطية خير من الآخذة، وقال آخرون: إنّ العليا هى الآخذة، والسفلى هى المعطية.
وقال ابن قتيبة: ولا أرى هؤلاء إلّا قوما استطابوا السؤال؛ فهم يحتجّون للدناءة؛ ولو كان هذا يجوز لقيل: إن المولى من فوق هو الّذي أعتق، والمولى من أسفل هو الّذي أعتق، والناس إنّما يعلون بالعطايا لا بالسؤال.
قال سيدنا أدام الله علوّه: وعندى أن معنى قوله عليه السلام: «اليد العليا خير من اليد السّفلى» غير ما ذكر من الوجهين جميعا؛ وهو أن تكون اليد هاهنا هى العطية والنعمة؛ لأنّ النعمة قد تسمّى يدا فى مذهب أهل اللسان بغير شكّ؛ فكأنه صلى الله عليه وآله أراد أنّ العطية الجزيلة خير من العطية القليلة. وهذا حث منه صلى الله عليه وآله على المكارم، وتحضيض على اصطناع المعروف بأوجز الكلام وأحسنه مخرجا.
ويشهد لهذا التأويل أحد التأويلين (1) المتقدمين فى قوله: «ما أبقت غنى»، وهذا أشبه وأولى من أن تحمل اليد على الجارحة؛ لأنّ من ذهب إلى ذلك وجعل المعطية خيرا من الآخذة لا يستمرّ قوله؛ لأنّ فيمن يأخذ من هو خير عند الله تعالى ممّن يعطى؛ ولفظة «خير» لا تحمل إلّا على الفضل فى الدين

واستحقاق الثواب؛ فأمّا من جعل الآخذة خيرا من المعطية فيدخل عليه هذا الطعن أيضا؛ مع أنّه قد قال قولا شنعا (2)، وعكس الأمر على ما ذكر (3) ابن قتيبة.
فإن قيل: كيف يصحّ تأويلكم مع قوله عليه السلام: «خير الصّدقة ما أبقت غنى» وهى (4) لا تبقى غنى إلّا بعد أن تنقص من غيرها؟ وإذا كانت العطية التى هى أجزل

(1) من نسخة بحاشيتى الأصل، ف: «أحد الخبرين».
(2) م: «شنيعا».
(3) م: «ما قال».
(4) ت: «فهى».

أفضل فتلك لا تبقى غنى، والتى تبقى غنى ليست الجزيلة، وهذا تناقض.
قلنا: أما تأويلنا فمطابق (1) للوجهين المذكورين فى قوله: «ما بقّت (2) غنى»؛ لأنّ من تأوّل ذلك على أنّ المراد بها المعطى، وأنّ خير العطية ما أغنته عن المسألة فالمطابقة ظاهرة، ومن تأوّله على الوجه الآخر، وحمل ما أبقى الغنى على المعطى وأهله وأقاربه؛ فتأويلنا أيضا مطابق له، لأنه قد يكون فى العطايا التى يبقى بعدها الغنى على الأهل والأقارب جزيل وغير جزيل، فقال عليه السلام: «خير الصدقة ما بقّت (2) غنى» بعد إخراجها؛ والعطية الجزيلة التى تبقى بعدها غنى خير من القليلة، فمدح عليه السلام بعد إبقاء الغنى جزيل العطية، وحثّ على الكرم والفضل.

*** [ذكر أبيات تروى لثابت قطنة وعروة بن أذينة:]
أخبرنا أبو القاسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى بن جنيقا قال أخبرنا أبو عبد الله الحكيمىّ قال أملى علينا أبو العباس/ أحمد بن يحيى النحوىّ قال: أنشدنا ابن الأعرابىّ لثابت قطنة العتكىّ (3):
يا هند كيف بنصب بات يبكينى ... وعائر فى سواد العين يؤذينى (4)
كأنّ ليلى والأصداء هاجدة ... ليل السّليم وأعيا من يداوينى
لمّا حنى الدّهر من قوسى وعذّرنى ... شيبى وقاسيت أمر الغلظ واللّين (5)

(1) من نسخة بحاشيتى الأصل، ت: «فيطابق الوجهين».
(2) ت: «ما أبقت».
(3) هو أبو العلاء ثابت بن كعب، شاعر فارس؛ من شعراء الدولة الأموية، وكان فى صحابة يزيد بن المهلب، ولقب قطنة؛ لأن سهما أصابه فى عينه فى بعض حروب الترك. وانظر ترجمته وأخباره وأشعاره فى (الأغانى 13: 47 – 54، والخزانة 4: 185 – 187، والشعر والشعراء 612 – 613).
(4) القصيدة فى رثاء المفضل بن المهلب؛ وهند هى بنت المفضل؛ دخل عليها ثابت، والناس حولها جلوس يعزونها؛ فلما أنشدها هذه القصيدة قالت: ليست المصيبة فى قتل من استشهد ذابا عن دينه،

مطيعا لربه؛ وإنما المصيبة فيمن قلت بصيرته، وخمل ذكره بعد موته؛ وأرجو ألا يكون المفضل عند الله خاملا».

والقصيدة فى (أمالى الزجاجى 130 – 131، وأبيات منها فى الأغانى 13: 51 – 52). النصب: البلاء والعذاب. والعائر: القذى والرمد، وكذلك العوّار.

(5) عذرنى شيبى؛ أى شيبنى من جانبى وجهى؛ من العذارين.

(1/407)

إذا ذكرت أبا غسّان أرّقنى ... همّ إذا عرض السّارون يشجينى (1)
كان المفضّل عزّا فى ذوى يمن ... وعصمة وثمالا للمساكين (2)
غيثا لدى أزمة غبراء شاتية ... من السّنين ومأوى كلّ مسكين (3)
إنى تذكّرت قتلى لو شهدتهم ... فى حومة الحرب لم يصلوا بها دونى
لا خير فى العيش إذ لم نجن بعدهم ... حربا تنيئ بهم قتلى فتشفينى
لا خير فى طمع يدنى إلى طبع، ... وغفّة من قوام العيش تكفينى (4)
[أنظر فى الأمر يعنينى الجواب به ... ولست أنظر فيما ليس يعنينى] (5)
لا أركب الأمر تزرى بى عواقبه ... ولا يعاب به عرضى ولا دينى
لا يغلب الجهل حلمى عند مقدرة ... ولا العضيهة من ذى الضّغن تكبينى (6)
كم من عدوّ رمانى لو قصدت له ... لم يأخذ النّصف منّى حين يرمينى (7)

قال سيدنا أدام الله علوّه: وهذه الأبيات يروى بعضها لعروة بن أذينة (8) وتداخل أبياتا على هذا الوزن؛ وهى التى يقول فيها:

لقد علمت وما الإشراف من خلقى ... أنّ الّذي هو رزقى سوف يأتينى
أسعى له فيعنّينى تطلّبه ... ولو قعدت أتانى لا يعنّينى

---

(1) ت: «إذا غرض»، م: «إذا عرّس.

(2) فى ذوى يمن، أى فى اليمانين، وفى حاشية الأصل (من نسخة): «فى ذرى يمن»، جمع ذروة. وثمال المساكين: غياث لهم، من ثملهم ثملا إذا أطعمهم وسقاهم وقام بأمرهم.

(3) من نسخة بحواشى الاصل، ت، ف: «لذى أزمة». والأزمة: القحط. ويقال: شتا القوم إذا أجدبوا فى الشتاء خاصة، وقال الأزهرى: العرب تسمى القحط شتاء، لأن المجاعات أكثر ما تصيبهم فى الشتاء البارد.

(4) الغفة: البلغة من العيش. وفى أمالى الزجاجى: «من قليل العيش».

(5) تكملة من ت، ف، د، وأمالى الزجاجى ومن نسخة بحاشيتى ت، ف: «وانظر الأمر».

(6) العضيهة: الإفك والبهتان، أى لا أكبر إذا عضهنى ذو الضغن.

(7) النصف: الانتصاف.

(8) هو عروة بن أذينة بن مالك، من بنى الليث. شاعر غزل مقدم من شعراء أهل المدينة، وهو معدود أيضا فى الفقهاء والمحدثين. وانظر ترجمته وأشعاره وأخباره فى (الأغانى 21: 105 – 111، والشعر والشعراء 560 – 562).

كم قد أفدت وكم أتلفت من نشب ... ومن معاريض رزق غير ممنون
فما أشرت على يسر وما ضرعت ... نفسى لخلّة عسر جاء يبلونى (1)
خيمى كريم ونفسى لا تحدّثنى ... أنّ الإله بلا رزق يخلّينى
/ ولا اشتريت بمالى قطّ مكرمة ... إلّا تيقّنت أنّى غير مغبون
ولا دعيت إلى مجد ومحمدة (2) ... إلّا أجبت إليه من يناديني
لا أبتغى وصل من يبغى مفارقتى (3) ... ولا ألين لمن لا يبتغى لينى
إنى سيعرفنى من لست أعرفه ... ولو كرهت، وأبدو حين يخفينى
فغطّنى جاهدا واجهد علىّ إذا ... لاقيت قومك فانظر هل تغطّينى (4)
– وقوم يخطئون (5) فيروون قوله:
* لقد علمت وما الإسراف من خلقى*

---

(1) حواشى الأصل، ت، ف: «يقال: ضرع يضرع [بالفتح] ضراعة، وضرع [بالكسر] يضرع ضرعا [بالفتح]، فهو ضارع.
(2) ت: «مكرمة»، وفى حواشى الأصل ت، ف:
«يقال: محمدة، بفتح الميم، مثل مذمة، والفصيح: المحمدة، بكسر الميم، وهو المسموع».
(3) حاشية الأصل: (من نسخة): «مصارمتى».
(4) حواشى الأصل، ت، ف:
«روى أن عروة هذا وفد على هشام بن عبد الملك فى جماعة من الشعراء، فلما دخلوا عليه عرف عروة فقال له: ألست القائل:
لقد علمت وما الإشراف من خلقى ... أنّ الّذي هو رزقى سوف يأتينى
أسعى له فيعنّينى تطلّبه ... ولو قعدت أتانى لا يعنينى
وأراك قد جئت تضرب من الحجاز إلى الشام فى طلب الرزق! فقال له: لقد وعظت يا أمير المؤمنين وبالغت فى الوعظ، وأذكرت بما أنسانيه الدهر. وخرج من فوره إلى راحلته فركبها، ثم سار راجعا نحو الحجاز؛ فمكث هشام يومه غافلا عنه، فلما كان فى الليل تعارّ على فراشه فذكره
وقال فى نفسه: رجل من قريش قال حكمة، ووفد إلى فجبهته ورددته عن حاجته، وهو مع هذا شاعر لا آمن ما يقول! فلما أصبح سأل عنه فأخبر بانصرافه، فقال: لا جرم! ليعلمن أن الرزق سيأتيه، ودعا مولى له وأعطاه ألفى دينار، وقال له: الحق ابن أذينة، فأعطه إياها، قال: فلم أدركه إلا قد دخل بيته، فقرعت الباب عليه، فخرج فأعطيته المال، فقال: أبلغ أمير المؤمنين السلام؛ وقل له:

كيف رأيت قولى! سعيت فأكديت، ورجعت إلى بيتى فأتانى فيه الرزق».
(5) د، ومن نسخة بحواشى الأصل، ت، ف «يخبطون».

بالسين غير معجمة (1)، وذلك خطأ، وإنما أراد بالإشراف أنى لا أستشرف وأتطلّع (2) إلى ما فاتني من أمور الدنيا ومكاسبها، ولا تتبعها نفسى (3).

*** [أبيات للسيد المرتضى فى معنى أبيات ثابت قطنة وعروة بن أذينة المذكورة:]
قال سيدنا أدام الله تأييده: ولي أبيات فى معنى بعض أبيات ثابت قطنة، وعروة بن أذينة التى تقدمت، وهى من جملة قصيدة طويلة خرجت عنّى منذ اثنتى عشرة سنة؛ والأبيات:
تعاقبنى بؤس الزّمان وخفضه ... وأدّبنى حرب الزّمان وسلمه
وقد علم المغرور بالدّهر أنّه ... وراء سرور المرء فى الدّهر غمّه
وما المرء إلّا نهب يوم وليلة ... تخبّ به شهب الفناء ودهمه (4)
يعلّله برد الحياة يمسّه ... ويغترّه روح النّسيم يشمّه (5)
وكان بعيدا عن منازعة الرّدى ... فألقته فى كفّ المنيّة أمّه (6)
ألا إنّ خير الزّاد ما سدّ فاقة ... وخير تلادىّ الّذي لا أجمّه (7)
وإنّ الطّوى بالعزّ أحسن بالفتى ... إذا كان من كسب المذلّة طعمه (8)
وإنى لأنهى النّفس عن كلّ لذّة ... إذا ما ارتقى منها إلى العرض وصمه
وأعرض عن نيل الثّريّا إذا بدا ... وفى نيله سوء المقال وذمّه
أعفّ وما الفحشاء عنّى بعيدة ... وحسبى فى صدّ عن الأمر إثمه (9)

---

(1) حاشية ت (من نسخة): «المعجمة».
(2) حاشية ت (من نسخة): «وأطلع».
(3) حواشى الأصل، ت، ف: «العجب من تخطئة السيد رضى الله عنه رواية من روى بالسين المهملة؛ وهو أكثر الروايات، ومعناه واضح».
(4) حاشية الأصل: «دهمه؛ جمع أدهم؛ وهو كناية عن الليل والنهار».
(5) من نسخة بحواشى الأصل، ت، ف: «برد النسيم».
(6) ت، حاشية الأصل (من نسخة) «من منازعة الردى».
(7) حواشى الأصل، ت، ف: «أى لا أتركه يجم ويكثر، من جم الماء يجم جموما؛ إذا كثر واجتمع، ولا يبعد أن يكون من أجممت الفرس، أى أرحته».
(8) ت: «كسب المنية».
(9) حاشية الاصل: «ذكر الفحشاء دليل على شبابه، وكناية عنه».

وما العفّ من ولى عن الضّرب سيفه ... ولكنّ من ولى عن السّوء حزمه

/ ولى فى معنى قوله: «وما الإشراف من خلقى»:

ما خامر الرّزق قلبى قبل فجأته ... ولا بسطت له فى النّائبات يدى

كم قد ترادف لم أحفل زيادته ... ولو تجاوزنى ما فتّ من عضدى

إن أسخط الأمر أدرك عنه مضطربا ... وإن أرد بدلا من مذهب أجد (1)

ومعنى «ما خامر الرّزق قلبى» أى لم أتمنّه، ولا تطلّعت إلى حضوره، ولا خطر لى ببال تنزّها وتقنعا؛ والوجه فى تخصيص نفى بسط اليد بالنوائب، لأن النوائب (2) يضرع عندها فى الأكثر المتنزّه، ويطلب المتعفّف؛ فمن لزم النزاهة مع الحاجة وشدّة الضرورة فهو الكامل المروءة.

ومعنى البيت الثانى ظاهر.

فأما الثالث فالمراد به أننى ممّن إذا كره شيئا تمكّن من مفارقته والنزوع عنه، ولست ممّن تضيق حيلته، وتقصر قدرته عن استدراك ما يحب بما يكره. وفيه فائدة أخرى، وهى أننى ممن لا تملكه العادات، وتقتاده الأهواء؛ بل متى أردت مفارقة خلق إلى غيره، وعادة إلى سواها لم يكن ذلك علىّ متعذّرا؛ من حيث كان لرأيى على هوای السلطان والرجحان.

*** [خبر عروة بن عبيد الله عن عروة بن أذينة وروايته أبياتا له:]

أخبرنا أبو عبيد الله المرزبانىّ قال حدثنى محمد بن إبراهيم قال حدثنا أحمد بن يحيى النحوىّ قال أخبرنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عروة بن عبيد الله بن عروة بن الزبير قال: كان عروة ابن أذينة نازلا مع أبى فى قصر عروة بالعقيق، فسمعته ينشد لنفسه:

إنّ الّتي زعمت فؤادك ملّها ... خلقت هواك كما خلقت هوى لها (3)

---

(1) ت، وحاشية الأصل (من نسخة): «إن أسخط الرزق».

(2) حاشية ت (من نسخة): «أن النوائب».

(3) الأبيات فى زهر الآداب: 166 (طبعة الحلبى)، وبعضها فى أمالى القالى 1: 156، والموشح: 230، وحماسة أبى تمام- بشرح التبريزى 3: 21 - 213. ونسب ابن قتيبة فى الشعراء: 554 أبياتا منها للمجنون. والهوى، بمعنى المهوىّ.

فبك الّذي زعمت لها، وكلاكما ... أبدى لصاحبه الصّبابة كلّها

ولعمرها لو كان حبّك فوقها ... يوما وقد ضحيت إذا لأظلّها

وإذا وجدت لها وساوس سلوة ... شفع الضّمير إلى الفؤاد فسلّها

بيضاء باكرها النّعيم فصاغها ... بلباقة فأدقّها وأجلّها (1)
لمّا عرضت مسلّما لى حاجة ... أخشى صعوبتها، وأرجو ذلّها (2)
/ منعت تحيّنها، فقلت لصاحبى: ... ما كان أكثرها لنا وأقلّها!
فدنا، فقال: لعلّها معذورة ... فى بعض رقبتنا، فقلت: لعلّها!
قال عروة بن عبيد الله: فجاءنى أبو السائب المخزومىّ يوما فسلّم وجلس إلى، فقلت له بعد الرّحب به: ألك حاجة يا أبا السائب؟ فقال: أو كما تكون الحاجة! أبيات لعروة ابن أذينة؛ بلغنى أنك سمعتها منه، قلت: أىّ أبيات؟ قال: وهل يخفى القمر! .
* إنّ الّتي زعمت فؤادك ملّها*
فأنشدته فقال: ما يروى هذا إلّا أهل المعرفة والفضل، هذا والله الصادق الودّ، الدائم العهد، لا الهذلىّ الّذي يقول:
إن كان أهلك يمنعونك رغبة ... عنّى فأهلى بى أضنّ وأرغب
لقد عدا الأعرابىّ طوره! وإنى لأرجو أن يغفر الله لابن أذينة فى حسن الظّنّ بها، وطلب العذر لها.
فدعوت له بطعام، فقال: لا والله حتى أروى هذه الأبيات، فلمّا رواها وثب، فقلت له: كما أنت يغفر الله لك، حتى تأكل، فقال: والله ما كنت لأخلط بمحبتى لها وأخذى إياها غيرها (3).

---

(1) حاشية الأصل: «أى أدق منها ما ينبغى أن يكون دقيقا، وأجل منها ما ينبغى أن يكون جليلا» وقال ابن الأعرابى: ومعنى قوله: «فأدقها
وأجلها» دق منها حاجباها وأنفها وخصرها، وجل عضداها وساقاها وبوصها؛ وهذا كما قال آخر:
فدقّت وجلّت واسبكرّت وأكملت ... فلو جنّ إنسان من الحسن جنّت.
(2) الذل هنا، بالضم ويكسر: ضد الصعوبة.
(3) وانظر الخبر أيضا فى زهر الآداب (طبعة الحلبى): 167، والموشح: 230.

قال سيدنا أدام الله علوّه: والهذلىّ الّذي عابه وأنشد له هذا البيت هو عبد الله بن مسلم ابن جندب الهذلىّ.
وقول عروة: «باكرها النعيم» أراد أنها لم تعش إلّا فى النعيم، ولم تعرف إلا الخفض، وأنها لم تلاق بؤسا فتخشع وتضرع، فيؤثّر ذلك فى جمالها وتمامها، والبكور هو التقدّم فى كل وقت.

[عروة بن أذينة وسكينة بنت الحسين:]
وكان عروة بن أذينة مع تغزّله يوصف بالعفاف والنزاهة، (1) وروى أن سكينة بنت الحسين عليهما السلام مرّت به فقالت: يا أبا عامر، أنت الّذي تقول:
إذا وجدت أوار الحبّ فى كبدى ... أقبلت نحو سقاء القوم أبترد
هبنى بردت ببرد الماء ظاهره ... فمن لنار على الأحشاء تتّقد!

وأنت القائل:
قالت وأبثتها وجدى فبحت به ... قد كنت عندى تحب السّتر، فاستتر
/ ألست تبصر من حولى؟ فقلت لها: ... غطّى هواك وما ألقى على بصرى (2)
قال: نعم، قالت: هنّ حرائر- وأشارت إلى جواريها- إن كان هذا خرج من قلب سليم!

[أبيات لعروة بن أذينة فى الغزل:]
وأنشد أبو الحسن أحمد بن يحيى (3) لعروة:
كأنّ خزامى طلّة صابها النّدى ... وفأرة مسك ضمّنتها ثيابها (4)
وكدت لذكراها أطير صبابة ... وغالبت نفسا زاد شوقا غلابها

---

(1) الخبر فى مصارع العشاق: 313 - 314، وابن خلكان 1: 211.
(2) من نسخة بحاشيتى الأصل، ت: «بما ألقى على بصرى».
(3) كذا فى الأصول، وفى حاشيتى الأصل، ت (من نسخة): «أبو الحسن على بن أحمد»، ومن نسخة أخرى: «أبو الحسن عن أحمد بن يحيى».
(4) حاشية ت (من نسخة): «ضافها الندى»؛ الخزامى: نبت زهره أطيب الأزهار رائحة، والطلة: الروضة بالها الطل؛ وهو المطر الخفيف. وفأرة المسك: وعاؤه؛ ويريد به هنا المسك.

إذا اقتربت سعدى لهجت بهجرها ... وإن تغترب يوما يرعك اغترابها
ففى أىّ هذا راحة لك عندها! ... سواء لعمرى نأيها واقترابها
وعاد الهوى فيها كظلّ سحابة ... ألاحت ببرق ثمّ مرّ سحابها (1)
قال سيدنا أدام الله علوّه: وهيهات هذا البيت الأخير من قول كثيّر:
وإنى وتهيامى بعزّة بعد ما ... تخلّيت ممّا بيننا وتخلّت (2)
لكالمرتجى ظلّ الغمامة كلّما ... تبوّأ منها للمقيل اضمحلّت
كأنّى وإيّاها سحابة ممحل ... رجاها فلمّا جاوزته استهلّت

[موازنة بين ما قاله الكميت بن زيد وعروة بن أذينة ونصر بن سيار فى الحسد:]
وروى يحيى بن علىّ قال حدثنا أبو هفّان قال: أشعر أبيات قيلت فى الحسدة والدعاء لهم بالكثرة أربعة، فأولها قول الكميت بن زيد (3):
إن يحسدونى فإنى لا ألومهم ... قبلى من النّاس أهل الفضل قد حسدوا (4)
فدام لى وبهم ما لى وما لهم ... ومات أكثرنا غيظا بما يجد
أنا الّذي يجدونى فى حلوقهم ... لا أرتقى صدرا منها ولا أرد
لا ينقص الله حسّادى فإنّهم ... أسرّ عندى من اللّائى له الودد (5)

وقال عروة بن أذينة:
لا يبعد الله حسادى وزادهم ... حتّى يموتوا بداء فىّ مكنون
/ إنّى رأيتهم فى كلّ منزلة ... أجلّ قدرا من اللّائى يحبّونى
وقال نصر بن سيّار:
إن يحسدونى على ما بى وما بهم ... فمثل ما بى لعمرى جرّ لى الحسدا

---

(1) ألاحت: لوحت.
(2) أمالى القالى 2: 109.
(3) فى حاشيتى الأصل، ت: «الكميت بن معروف الأسدى».
(4) من نسخة بحواشى الأصل، ت، ف: «غير لائمهم»، والأبيات الثلاثة الأول وردت فى معجم الشعراء: 347، منسوبة إلى الكميت بن معروف، ووردت فى عيون الأخبار 2: 10 – 11، وأمالى القالى 2: 198 من غير عزو.
(5) ت: «هم الودد»، ومن نسخة بحاشية الأصل: «لهم ودد».

وقال معن بن زائدة:
إنى حسدت فزاد الله فى حسدى ... لا عاش من عاش يوما غير محسود
ما يحسد المرء إلّا من فضائله ... بالعلم والظرف أو بالبأس والجود
قال سيدنا أدام الله علوّه: وقد لحظ البحترىّ بهذا (1) المعنى فى قوله:
محسّد بخلال فيه فاضلة ... وليس تفترق النّعماء والحسد (2)
وأظن أبا العتاهية أخذ قوله:
كم عائب لك لم أسمع مقالته ... ولم يزدك لدينا غير تزيين
كأنّ عائبكم يبدى محاسنكم ... وصفا فيمدحكم عندى ويغرينى
ما فوق حبّك حبّا لست أعلمه ... فلا يضرّك ألّا تستزيدينى
من قول عروة بن أذينة:
لا بعد سعدى مريحى من جوى سقم ... يوما ولا قربها إن حمّ يشفينى
إذا الوشاة لحوا فيها عصيتهم ... وخلت أنّ بسعدى اليوم يغرينى
وقد أخذ أبو نواس هذا المعنى فى قوله:
ما حطّك الواشون من رتبة ... عندى ولا ضرّك مغتاب
كأنّهم أثنوا ولم يعلموا ... عليك عندى بالذى عابوا
ولعروة بن أذينة:
تروّعنا الجنائز مقبلات ... ونلهو حين تخفى ذاهبات (3)
كروعة ثلّة لمغار ذئب ... فلما غاب عادت راتعات

الثّلّة: القطعة من الضأن؛ وهذا المعنى قد سبق إليه بعض الأعراب فقال:
ونحدث روعات لدى كلّ فزعة ... ونسرع نسيانا وما جاءنا أمن

(1) ت، وحاشية الأصل (من نسخة): «هذا».
(2) ديوانه 1: 140، وفى ت، من نسخة: «فيه ظاهرة».
(3) من نسخة بحواشى الأصل، ت، ف: «ونسهو». والشعر فى الحيوان 6: 507 وعيون الأخبار 3: 62، والبيان 3: 201.

وإنا- ولا كفران لله ربّنا- ... لكالبدن، لا تدرى متى يومها البدن!
أخذه أبو العتاهية فى قوله:
إذا ما رأيتم ميّتين جزعتم ... وإن غيّبوا ملتم إلى صبواتها
وأخذ عروة قوله:
إنّ الفتى مثل الهلال له ... نور ليالى ثمّ يمتحق (1)
يبلى وتفنيه الدّهور كما ... يبلى وينضوا لجدّة الخلق (2)
من قول لبعض شعراء طيئ:
مهما يكن ريب الزّمان فإننى ... أرى قمر اللّيل المعذّب كالفتى (3)
يهلّ صغيرا، ثمّ يعظم ضوأه ... وصورته حتّى إذا ما هوى استوى
تقارب يخبو ضوأه وشعاعه ... ويمصح حتّى يستسرّ فلا يرى (4)
كذلك زيد المرء ثمّ انتقاصه ... يعود إلى مثل الّذي كان قد بدا (5)
أخذه محمد بن يزيد الكاتب فقال:
المرء مثل هلال عند مطلعه ... يبدو ضئيلا ضعيفا ثمّ يتّسق
يزداد حتّى إذا ما ثمّ أعقبه ... كرّ الجديدين نقصانا فيمتحق (6)

(1) حاشية الأصل (من نسخة): «امحق»، وفيها: «يمحق وامتحق وامحق بمعنى».
(2) من نسخة بحواشى الأصل، ت، ف: «وينضى الحبرة». وفى حاشية الأصل أيضا: «أنضيت الثوب: أبليته وكذلك انتضيته، ونضوته: خلعته».
(3) معجم البلدان 4: 134؛ من أبيات نسبها إلى حنظلة بن أبى عفراء الطائى؛ وكان قد نسك فى الجاهلية وتنصر، وبنى ديرا عرف باسمه.
(4) حاشية الأصل: «يقال: مصح النبات إذا ولى لون زهره».
(5) رواية عجز البيت فى معجم البلدان:
* وتكراره فى إثره بعد ما مضى*.
(6) من نسخة بحواشى الأصل، ت، ف: «فيمحق».

31 مجلس آخر [المجلس الحادى والثلاثون:]

تأويل آية وَاتَّبَعُوا ما تَتْلُوا الشَّياطِينُ عَلى مُلْكِ سُلَيْمانَ ...

إن سأل سائل عن قوله تعالى: وَاتَّبَعُوا ما تَتْلُوا الشَّياطِينُ عَلى مُلْكِ سُلَيْمانَ وَما كَفَرَ سُلَيْمانُ وَلكِنَّ الشَّياطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَما أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبابِلَ هارُوتَ وَمارُوتَ وَما يُعَلِّمانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّما نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُما ما يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَما هُمْ بِضارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ ما يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَراهُ ما لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ وَلَبِئْسَ ما شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ؛ [البقرة: 102].

فقال: كيف ينزل الله السّحر على الملائكة؟ أم كيف تعلّم الملائكة الناس السّحر والتفريق بين المرء وزوجه؟ وكيف نسب الضرر الواقع عند ذلك إلى أنّه بإذنه، وهو تعالى قد نهى عنه، وحذّر من فعله؟ وكيف أثبت العلم لهم ونفاه عنهم، بقوله: وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَراهُ، ثم قوله: لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ؟ .

الجواب، قلنا: فى الآية وجوه؛ كلّ منها يزيل الشبهة الداخلة على من لا ينعم النّظر فيها:

أوّلها أن يكون ما فى قوله: وَما أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بمعنى الّذي، فكأنه تعالى أخبر عن طائفة من أهل الكتاب، بأنهم اتّبعوا ما تكذب فيه الشياطين على ملك سليمان، وتضيفه إليه من السّحر؛ فبرأه الله تعالى من قرفهم، وأكذبهم فى قولهم، فقال:

وَما كَفَرَ سُلَيْمانُ وَلكِنَّ الشَّياطِينَ كَفَرُوا باستعمال السّحر والتمويه على الناس، ثم قال: يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَما أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ، وأراد أنهم يعلّمونهم السّحر

والّذي أنزل على الملكين، وإنّما أنزل على الملكين وصف السحر وماهيّته وكيفية الاحتيال فيه؛ ليعرفا ذلك ويعرّفاه للناس فيجتنبوه ويحذروا منه، كما أنّه تعالى قد أعلمنا ضروب المعاصى، ووصف لنا أحوال القبائح

لنجتنبها لا لنوقعها؛ لأنّ الشياطين كانوا إذا علموا ذلك وعرفوه استعملوه، وأقدموا على فعله؛ وإن كان غيرهم من المؤمنين لمّا عرفه اجتنبه وحاذره وانتفع باطّلاعه على كيفيته، ثم قال: وَما يُعَلِّمانِ مِنْ أَحَدٍ يعنى الملكين، ومعنى يُعَلِّمانِ يعلمان، والعرب تستعمل لفظة علّمه بمعنى أعلمه، قال القطامىّ:

تعلّم أنّ بعد الغىّ رشدا ... وأنّ لتانك الغبر انقشاعا (1)

وقال كعب بن زهير:

تعلّم رسول الله أنّك مدركى ... وأنّ وعيدا منك كالأخذ باليد (2)

ومعنى «تعلّم» فى البيتين/ معنى «اعلم» (3)؛ والّذي يدلّ على أنّ المراد هاهنا الإعلام لا التعليم قوله: وَما يُعَلِّمانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّما نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ، أى أنهما لا يعرّفان صفات السحر وكيفيته إلّا بعد أن يقولا إنما نحن محنة، لأن الفتنة بمعنى المحنة؛ وإنما كانا محنة، من حيث ألقيا إلى

المكلّفين أمرا لينزجروا عنه، وليمتنعوا من مواقعته، وهم إذا عرفوه أمكن أن يستعملوه ويرتكبوه، فقالا لمن يطلعانه على ذلك: لا تكفر باستعماله، ولا تعدل عن الغرض فى إلقاء هذا إليك، فإنه إنّما ألقى إليك، وأطلعت عليه لتجتنبه؛ لا لتفعله، ثم قال: فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُما ما يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ، أى فيعرفون من جهتهما ما يستعلمونه فى هذا الباب؛ وإن كان الملكان ما ألقياه إليهم لذلك؛ ولهذا قال: وَيَتَعَلَّمُونَ ما يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ؛ لأنّهم

---

(1) ديوانه: 40؛ ومن نسخة بحواشى الأصل، ت، ف: «لهذه الغمر»، وهى رواية الديوان والغمر: جمع غمرة، وهى الشدة.

(2) ملحقات ديوانه: 258 (عن الغرر).

(3) حواشى الأصل، ت، ف: «قال ابن السكيت رحمه الله: يقال: تعلمت أن فلانا خارج يعنى علمت، وإذا قال لك: اعلم أن زيدا خارج قلت: قد علمت، وإذا قال: تعلم أن زيدا خارج لم تقل: قد تعلمت؛ يعنى أنه يقتصر على ما ورد عنهم، ولا يتجاوز إلى غيره».

لمّا قصدوا بتعلّمه أن يفعلوه ويرتكبوه، لا أن يجتنبوه صار ذلك لسوء اختيارهم ضررا عليهم.

وثانيها أن يكون ما أُنْزِلَ موضعه موضع جرّ؛ فيكون معطوفا بالواو على مُلْكِ سُلَيْمانَ؛ والمعنى: واتبعوا ما كذب به الشياطين على ملك سليمان، وعلى ما أنزل على الملكين؛ ومعنى ما أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ أى معهما، وعلى ألسنتهما؛ كما قال تعالى:

رَبَّنا وَآتِنا ما وَعَدْتَنا عَلى رُسُلِكَ؛ [آل عمران: 194]، أى على ألسنتهم ومعهم.

وليس بمنكر أن يكون ما أُنْزِلَ معطوفا على مُلْكِ سُلَيْمانَ وإن اعترض بينهما من الكلام ما اعترض؛ لأن ردّ الشيء إلى نظيره، وعطفه على ما هو أولى هو الواجب، وإن اعترض بينهما ما ليس منهما؛ ولهذا نظائر فى القرآن وكلام العرب كثيرة، قال الله تعالى:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلى عَبْدِهِ الْكِتابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً. قَيِّماً؛ [الكهف: 1، 2] و «قيّم» من صفات الكتاب حال منه، لا من صفة «عوج»، وإن تباعد ما بينهما، ومثله قوله: يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرامِ قِتالٍ فِيهِ قُلْ قِتالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَإِخْراجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ؛ [البقرة: 217]، فالمسجد هاهنا معطوف به على الشهر الحرام، أى يسألونك عن القتال فى الشهر الحرام وعن المسجد الحرام.

وحكى عن بعض علماء أهل اللغة أنه قال: العرب تلفّ الخبرين المختلفين، ثم ترمى بتفسيرهما جملة؛ ثقة بأنّ السامع يردّ إلى كلّ خبره؛ كقوله تعالى: وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ؛ [يونس: 67]، وهذا واضح فى مذهب العرب، كثير النظائر.

ثم قال: وَما يُعَلِّمانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّما نَحْنُ فِتْنَةٌ، والمعنى أنهما لا يعلّمان أحدا، بل ينهيان عنه، ويبلغ من نهيهما عنه وصدّهما عن فعله واستعماله أن يقولا: إِنَّما نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ باستعمال السحر

والإقدام على فعله، وهذا كما يقول الرجل: ما أمرت فلانا بكذا، ولقد بالغت فى نهيه حتى قلت له: إنك إن فعلته أصابك كذا وكذا؛ وهذا

هو نهاية البلاغة فى الكلام؛ والاختصار الدال مع اللفظ القليل على المعانى الكثيرة؛ لأنه استغنى بقوله تعالى: وَما يُعَلِّمانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّما نَحْنُ فِتْنَةٌ عن بسط الكلام الّذي ذكرناه؛ ولذلك نظائر فى القرآن، قال الله تعالى: مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَما كانَ مَعَهُ مِنْ إِلهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلهٍ بِما خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ؛ [المؤمنون: 91]، فلولا الاختصار لكان مع شرح الكلام يقول: ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله، ولو كان معه إله إذا لذهب كل إله بما خلق؛ ومثله قوله تعالى: يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذابَ بِما كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ؛ [آل عمران: 106]، أى: فيقال للذين اسودت وجوههم:
أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمانِكُمْ؛ وأمثاله أكثر من أن تورد.
ثم قال تعالى: فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُما ما يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ، وليس يجوز أن يرجع الضمير على هذا الجواب إلى الملكين؛ وكيف يرجع إليهما وقد نفى عنهما التعليم! بل يرجع إلى الكفر والسحر، وقد تقدم ذكر السحر، وتقدم أيضا ذكر ما يدلّ على الكفر ويقتضيه فى قوله: وَلكِنَّ الشَّياطِينَ كَفَرُوا؛ فدل كَفَرُوا على الكفر، والعطف عليه مع السحر جائز، وإن كان التصريح قد وقع بذكر السحر دونه؛ ومثل ذلك قوله تعالى:
سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشى. وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى؛ [الأعلى: 10 - 11، أى يتجنّب الذكرى الأشقى، ولم يتقدم تصريح بالذّكرى، لكن دلّ عليها قوله: سَيَذَّكَّرُ.
ويجوز أيضا أن يكون معنى فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُما، أى بدلا مما علّمهم الملكان، ويكون المعنى أنهم يعدلون عمّا علّمهم ووقفهم عليه الملكان من النهى عن السحر إلى تعلمه واستعماله؛ كما يقول القائل: ليت لنا من كذا وكذا كذا (1)! أى بدلا منه، وكما قال الشاعر:

---

(1) حواشى الأصل، ت، ف: «من هذا الباب قوله:
فليت لنا من ماء زمزم شربة ... مبرّدة باتت على الطّهيان
- الطهيان: اسم جبل».

/ جمعت من الخيرات وطبا وغلبة ... وصرّ الأخلاف المزمّة البزل (1)
ومن كلّ أخلاق الكرام نميمة ... وسعيا على الجار المجاور بالمحل (2)
يريد جمعت مكان الخيرات، ومكان أخلاق الكرام هذه الخصال الذميمة.

وقوله: «ما يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ فيه وجهان:
أحدهما أن يكونوا يغوون أحد الزوجين، ويحملونه على الكفر والشرك بالله تعالى، فيكون بذلك قد فارق زوجه الآخر المؤمن المقيم على دينه، فيفرّق بينهما اختلاف النّحلة والملّة.
والوجه الآخر أن يسعوا بين الزّوجين بالنميمة والوشاية والإغراء والتمويه بالباطل؛ حتى يئول أمرهما إلى الفرقة والمباينة.
وثالث الوجوه فى الآية أن يحمل ما فى قوله: وَما أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ على الجحد والنفى، فكأنه تعالى قال: وَاتَّبَعُوا ما تَتْلُوا الشَّياطِينُ عَلى مُلْكِ سُلَيْمانَ وَما كَفَرَ سُلَيْمانُ، ولا أنزل الله السّحر على الملكين، وَلكِنَّ الشَّياطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ بِبابِلَ هارُوتَ وَمارُوتَ ويكون قوله: بِبابِلَ هارُوتَ وَمارُوتَ من المؤخّر الّذي معناه التقديم، ويكون- على هذا التأويل- هاروت وماروت رجلين من جملة الناس، هذان اسماهما؛ وإنما ذكرا بعد ذكر الناس تمييزا وتبيينا، ويكون الملكان المذكوران اللذان

---

(1) فى حاشيتى الأصل، ف: «الوطب: زق اللبن، والعلبة: ما يحلب فيه. والصر: شد الضرع. والأخلاف: جمع خلف؛ وهو للناقة كالثدي للمرأة والمزمة: النوق التى علقت الأزمة عليها، والبزل: جمع بازل؛ وهى التامة السن». وفى د، م: «المزهمة»، وهى السمان الكثيرة الشحم.
(2) المحل: الكذب والخداع.

نفى عنهما السحر جبرائيل وميكائيل عليهما السلام؛ [لأن سحرة اليهود- فيما ذكر- كانت تدّعى أن الله تعالى أنزل السحر على لسان جبرائيل وميكائيل] (1) إلى سليمان بن داود عليهما السلام، فأكذبهما الله تعالى بذلك.
ويجوز أن يكون هاروت وماروت يرجعان إلى الشياطين، كأنه قال: ولكن الشياطين:
هاروت وماروت كفروا؛ ويسوغ ذلك كما ساغ فى قوله تعالى: وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شاهِدِينَ؛ [الأنبياء: 78]، يعنى حكم داود وسليمان عليهما السلام.
ويكون قوله تعالى على هذا التأويل: وَما يُعَلِّمانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّما نَحْنُ فِتْنَةٌ راجعا إلى هاروت وماروت اللذين هما من الشياطين، أو من الإنس المتعلمين للسحر من الشياطين والعاملين به. ومعنى قولهما: إِنَّما نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ يكون على طريق الاستهزاء والتماجن والتخالع، كما يقول الماجن من الناس إذا فعل قبيحا أو قال باطلا: هذا فعل من لا يفلح، وقول من لا ينجب، والله ما حصلت/ إلا على الخسران؛ وليس ذلك منه على سبيل النّصح للناس وتحذيرهم من مثل فعله، بل على وجه المجون والتهالك.
ويجوز أيضا على هذا التأويل الّذي يتضمّن النفى والجحد أن يكون هاروت وماروت اسمين لملكين، ونفى عنهما إنزال السحر بقوله: وَما أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبابِلَ ويكون قوله: وَما يُعَلِّمانِ مِنْ أَحَدٍ يرجع إلى قبيلتين من الجنّ أو إلى شياطين الجنّ والإنس، فتحسن التثنية لهذا.

وقد روى هذا التأويل الأخير فى حمل ما على النفى عن ابن عباس وغيره من المفسرين.
وروى عنه أيضا أنه كان يقرأ: وَما أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بكسر اللام، ويقول:
متى كان العلجان ملكين! إنما كانا ملكين؛ (1) وعلى هذه القراءة لا ينكر أن يرجع قوله:
وَما يُعَلِّمانِ مِنْ أَحَدٍ إليهما (1).

(1) ساقط من م.

وعلى (1) هذه القراءة فى الآية وجه آخر وإن لم يحمل قوله: وَما أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ على الجحد والنفى، وهو أن
يكون هؤلاء الذين أخبر عنهم اتّبعوا ما تتلوا الشياطين وتدّعيه على ملك سليمان، واتبعوا ما أنزل على هذين الملكين من السحر، ولا يكون الإنزال مضافا إلى الله تعالى، وإن أطلق؛ لأنه جلّ وعز لا ينزل السحر؛ بل يكون منزله إليهما بعض الضّلّال العصاة، ويكون معنى أُنْزِلَ- وإن كان من الأرض- حمل إليهما لا من السماء أنه أتى به من نجود الأرض وأعاليها؛ فإنّ من هبط من نجد البلاد إلى غورها يقال: نزل وهبط، وما جرى هذا المجرى.
فأما قوله تعالى: وَما هُمْ بِضارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فيحتمل وجوها:
منها أن يريد بالإذن العلم، من قولهم: آذنت فلانا بكذا إذا أعلمته، وأذنت لكذا إذا استمعته وعلمته، قال الشاعر:
فى سماع يأذن الشّيخ له ... وحديث مثل ماذىّ مشار (2)
ومنها أن تكون إِلَّا زائدة، فيكون المعنى: وما هم بضارين به من أحد بإذن الله، ويجرى مجرى قول أحدنا: لقيت زيدا إلا أنى أكرمته، أى لقيت زيدا فأكرمته.
ومنها أن يكون أراد بالإذن التخلية وترك المنع، فكأنه أفاد بذلك أنّ العباد لن يعجزوه، وما هم بضارين أحدا إلا بأن يخلّى الله تعالى بينهم وبينه، ولو شاء لمنعهم بالقهر والقسر، زائدا على منعهم بالزجر والنهى.
/ ومنها أن يكون الضرر الّذي عنى أنه لا يكون إلا بإذنه، وأضافه إليه هو ما يلحق المسحور من الأدوية والأغذية التى يطعمه إياها السّحرة ويدّعون أنها موجبة لما يقصدونه فيه من الأمور؛ ومعلوم أن الضرر الحاصل عن ذلك من فعل الله تعالى بالعادة؛ لأنّ الأغذية لا توجب ضرّا ولا نفعا، وإن كان المعرّض للضرر من حيث كان كالفاعل له هو المستحق للذم، وعليه يجب العوض.

(1) ت: «ويمكن على هذه القراءة ... ».
(2) البيت فى اللسان (أذن)، ونسبه إلى عدى ابن زيد الماذى: العسل الأبيض. والمشار: المجنى، ويقال: شرت العسل واشترته وأشرته، إذا جنيته.

ومنها أن يكون الضرر المذكور إنما هو ما يحصل عن التفريق بين الأزواج؛ لأنه أقرب إليه فى ترتيب الكلام؛ والمعنى أنهم إذا أغووا أحد الزوجين، وكفر فبانت منه زوجته، فاستضرّ بذلك كانوا ضارّين له بما حسّنوه له من الكفر، إلّا أنّ الفرقة لم تكن إلّا بإذن الله وحكمه؛ لأنه تعالى هو الّذي حكم وأمر بالتفريق بين المختلفى الأديان؛ فلهذا قال: وَما هُمْ بِضارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ؛ والمعنى أنه لولا حكم الله وإذنه فى الفرقة بين هذين الزوجين باختلاف الملّة لم يكونوا ضارين له هذا الضّرب من الضرر الحاصل عند الفرقة؛ ويقوّى هذا الوجه ما روى أنه
كان من دين سليمان؛ أنه من (1) سحر بانت منه امرأته.
فأما قوله تعالى: وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَراهُ ما لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ، ثم قال:
لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ ففيه وجوه:
أوّلها أن يكون الذين علموا غير الذين لم يعلموا، ويكون الذين علموا الشياطين أو الذين خبّر عنهم بأنهم نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، كأنهم لا يعلمون، واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان، والذين لم يعلموا هم الذين تعلّموا السحر، وشروا به أنفسهم.
وثانيها أن يكون الذين علموا هم الذين لم يعلموا؛ إلا أنهم علموا شيئا ولم يعلموا غيره، فكأنه تعالى وصفهم بأنهم عالمون بأنه لا نصيب لمن اشترى ذلك ورضيه لنفسه على الجملة، ولم يعلموا كنه ما يصير إليه من عقاب الله الّذي لا نفاد له ولا انقطاع.
وثالثها أن تكون الفائدة فى نفى العلم بعد إثباته أنهم لم يعملوا بما علموا، فكأنهم لم يعلموا، وهذا كما يقول أحدنا لغيره: ما أدعوك إليه خير لك وأعود عليك؛ لو كنت تعقل وتنظر فى العواقب، وهو يعقل وينظر فى العواقب، إلا أنه لا يعمل بموجب علمه، فحسن أن يقال له/ مثل هذا القول؛ قال كعب بن زهير يصف ذئبا وغرابا تبعاه؛ ليصيبا من زاده:
إذا حضراني قلت: لو تعلمانه ... ألم تعلما أنى من الزاد مرمل (2)

---

(1) حاشية الأصل (من نسخة): «أن من».
(2) ديوانه: 51. المرمل: الّذي نفد زاده.

فنفى عنهما العلم، ثم أثبته بقوله: «ألم تعلما»، وإنما المعنى فى نفيه العلم عنهما أنهما لم يعملا بما علماه فكأنهما لم يعلماه.
ورابعها أن يكون المعنى أنّ هؤلاء القوم الذين قد علموا أن الآخرة لا حظّ لهم فيها مع عملهم القبيح، إلا أنهم ارتكبوه طمعا فى حطام الدنيا وزخرفها فقال تعالى: وَلَبِئْسَ ما شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ

كانُوا يَعْلَمُونَ أن الّذي آثروه وجعلوه عوضا من الآخرة لا يتمّ لهم، ولا يبقى عليهم، وأنه منقطع زائل، ومضمحلّ باطل، وأن المال إلى المستحق فى الآخرة؛ وكل ذلك واضح بحمد الله.

(1/425)

32 مجلس آخر [المجلس الثانى والثلاثون:]

تأويل خبر [لو كان القرآن فى إهاب ما مسّته النار.:]

روى عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «لو كان القرآن فى إهاب ما مسّته النار».

وقد ذكر متأوّلو حديث النبي صلى الله عليه وآله فى هذا الخبر وجوها كثيرة، كلّها غير صحيح ولا شاف، وأنا أذكر ما اعتمدوه (1)، وأبيّن ما فيه، ثم أذكر الوجه الصحيح.

قال ابن قتيبة: ذهب الأصمعىّ إلى أنّ من تعلّم القرآن من المسلمين لو ألقى فى النار لم تحرقه، فكنّى بالإهاب- وهو الجلد- عن الشخص والجسم؛ واحتجّ على تأويله هذا [الحديث بما روى عن سليمان] (2) بن محمد قال: سمعت أبا أمامة يقول: اقرءوا القرآن ولا تغرّنكم هذه المصاحف المعلّقة (3)؛ فإن الله لا يعذّب قلبا وعى القرآن.

قال ابن قتيبة: وفى الحديث تأويل آخر، وهو أنّ القرآن لو كتب فى جلد، ثم ألقى فى النار على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله لم تحرقه النار؛ على وجه الدّلالة على صحة أمر النبي عليه وآله السلام، ثم انقطع ذلك بعده، قال: وجرى هذا مجرى كلام الذئب وشكاية البعير وغير ذلك من آياته عليه السلام.

قال: وفيه تأويل ثالث؛ وهو أن يكون الإحراق (4) إنما نفى عن القرآن لا عن الإهاب؛ ويكون معنى الحديث: لو جعل القرآن فى إهاب ثم ألقى فى النار ما احترق القرآن؛

---

(1) من نسخة بحواشى الأصل، ت، ف: «ما ذكروه».

(2) ت: «بالحديث عن سليمان».

(3) حواشى الأصل، ت، ف: «المعلقة؛ يجوز أن يكون معناها الكتب؛ لأن التعليق الكتب».

(4) حاشية ف (من نسخة): «الاحتراق».

(1/426)

فكأن النار تحرق الجلد والمداد ولا تحرق القرآن؛ لأنّ الله تعالى ينسخه ويرفعه من الجلد، صيانة له عن الإحراق.

وقال أبو بكر/ محمد بن القاسم الأنبارىّ ردا على ابن قتيبة، ومعترضا عليه: اعتبرت ما قاله ابن قتيبة من ذلك كلّه، فما وجدت فيه شيئا صحيحا.

أما قوله الأول فيردّه ما روى عنه عليه السلام من قوله: يخرج من النار قوم بعد ما يحرقون (1) فيها

فيقال: هؤلاء الجهنّميون طلقاء الله عز وجل». قال: وقد روى أبو سعيد عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «إذ دخل أهل الجنة
الجنة، وأهل النار النار قال الله عز وجل: انظروا من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان (2) فأخرجوه منها»؛ قال أبو بكر: وكيف يصحّ قول ابن قتيبة فى زعمه أن النار لا تحرق من قرأ القرآن؛ ولا خلاف بين المسلمين أنّ الخوارج وغيرهم ممّن يلحد فى دين الله تعالى ويقرأ القرآن أن تحرقهم النار بغير شكّ؛ واحتجاجه بخبر أبى أمامة: «إنّ الله لا يعذّب قلبا وعى القرآن» معناه:
قرأ القرآن وعمل به؛ فأما من حفظ ألفاظه وضيّع حدوده؛ فإنه غير واع له.
قال: فأما قوله إنه من دلائل النبوّة التى انقطعت بعده، فما روى هذا الحديث أحد أنه كان فى دلائله عليه السلام؛ ولو أراد ذلك دليلا لكان صلى الله عليه وآله يجعل القرآن فى إهاب ثم يلقيه فى النار فلا يحترق قال: وقول ابن قتيبة الثالث: «لاحترق الجلد والمداد، ولم يحترق القرآن» غير صحيح؛ لأن الّذي يصحّح هذا القول يوجب أنّ القرآن غير المكتوب؛ وهذا محال؛ لأن المكتوب فى المصحف هو القرآن. والدليل على هذا قوله تعالى: إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ. فِي كِتابٍ مَكْنُونٍ. لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ؛ [الواقعة: 77 – 79]، ومنه الحديث: «لا تسافروا بالقرآن إلى أرض العدو»؛ وإنما يريد المصحف.
قال أبو بكر: والقول عندنا فى تأويل هذا الحديث أنه أراد: لو كان القرآن فى جلد

---

(1) من نسخة بحواشى الأصل، ت، ف: «يحترقون».
(2) حاشية الأصل (من نسخة): «إيمانا».

ثم ألقى فى النار ما أبطلته؛ لأنها وإن أحرقته فإنها لا تدرسه؛ إذ كان الله قد ضمّنه قلوب الأخيار من عباده؛ والدليل على هذا قول الله تعالى للنبى صلى الله عليه وآله فيما روى عنه:
إنى منزّل عليك كتابا لا يغسله الماء، تقرأه نائما ويقظان؛ فلم يرد تعالى أن القرآن لو كتب فى شيء ثم غسل بالماء لم ينغسل؛ وإنما أراد أنّ الماء لا يبطله ولا يدرسه إذا كانت القلوب تعيه وتحفظه.
قال: ومثل هذا كثير فى كتاب الله تعالى وفى لغة العرب؛ قال الله تعالى: يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا/ وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثاً؛ [النساء: 42]، فهم قد كتموا الله تعالى لمّا قالوا: وَاللَّهِ رَبِّنا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ [الأنعام: 23]، وإنما أراد تعالى؛ ولا يكتمون الله حديثا فى حقيقة الأمر؛ لأنهم وإن كتموه فى الظاهر فالذى كتموه غير مستتر عنه.
قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علوّه: والوجه الصحيح فى تأويل الخبر غير ما توهّمه ابن قتيبة وابن
الأنبارىّ جميعا، وهو أن هذا من كلام النبىّ صلى الله عليه وآله على طريق المثل والمبالغة فى تعظيم شأن القرآن والإخبار عن جلالة قدره وعظم خطره، والمعنى أنه لو كتب فى إهاب، وألقى فى النار وكانت النار مما لا تحرق شيئا لعلوّ شأنه وجلالة قدره لم تحرقه النار.
ولهذا نظائر فى القرآن وكلام العرب وأمثالهم كثيرة ظاهرة على من له أدنى أنس بمذاهبهم، وتصرّف

كلامهم.
فمن ذلك قوله تعالى: لَوْ أَنْزَلْنا هذَا الْقُرْآنَ عَلى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ؛ [الحشر: 21].
ومعنى الكلام: إنّنا لو أنزلنا القرآن على جبل، وكان الجبل مما يتصدّع إشفاقا من شيء؛ أو خشية لأمر لتصدّع مع صلابته وقوّته؛ فكيف بكم يا معاشر المكلّفين، مع ضعفكم وقلّتكم! وأنتم أولى بالخشية والإشفاق؛ وقد صرح الله تعالى بأنّ الكلام خرج مخرج

(1/428)

المثل بقوله: وَتِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ؛ ومثله قوله تعالى: تَكادُ السَّماواتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبالُ هَدًّا؛ [مريم: 90].
ومثله قول الشاعر:
أما وجلال الله لو تذكرينني ... كذكراك ما نهنهت للعين مدمعا
فقالت: بلى والله ذكرا لو انّه ... تضمّنه صمّ الصّفا لتصدّعا (1)
ومثله:
فلو أنّ ما بى بالحصى فلق الحصى ... وبالرّيح لم يسمع لهنّ هبوب (2)
ومثله:
وقفت على ربع لميّة ناقتى ... فما زلت أبكى عنده وأخاطبه (3)
وأسقيه حتى كاد ممّا أبثّه ... تكلّمنى أحجاره وملاعبه (4)
وهذه طريقة للعرب مشهورة فى المبالغة؛ يقولون: هذا كلام يفلّق الصّخر، ويهدّ الجبال/ ويصرع الطير، ويستنزل الوعول؛ وليس ذلك بكذب منهم؛ بل المعنى أنّه لحسنه وحلاوته وبلاغته يفعل مثل هذه الأمور لو تأتت؛ ولو كانت مما يسهل (5) ويتيسر لشيء من الأشياء لتسهّلت به من أجله.
فأما الجواب الأوّل المحكىّ عن ابن قتيبة فالذى يفسده (6) زائدا على ما ردّه ابن الأنبارىّ أنه لو كان الامر على ما ذكره ابن قتيبة وحكاه عن الأصمعىّ لكان النبي صلى الله عليه وآله قد أغرانا بالذّنوب؛ لأنه إذا أمن حافظ القرآن
ومتعلّمه من النار والعذاب فيها ركن (7)

---

(1) الصفا: جمع الصفاة؛ وهو الحجر الصلد الضخم لا ينبت.
(2) ت: قلق الحصى.
(3) ديوانه: 38.
(4) أسقيه: أدعو له بالسقيا.
(5) من نسخة بحاشيتى ت، الأصل: «يتسهل».
(6) ت: «يبطله».
(7) من نسخة بحاشيتى الأصل، ف: يقال: ركن [بفتح الكاف] يركن، [بكسرها]. وركن [بكسر

الكاف] يركن [بفتح الكاف]؛ لغتان إلا أنهم أخذوا الماضى من هذا والمضارع من ذاك، فقالوا: «ركن يركن» بالفتح فيهما.

(1/429)

المكلّفون إلى تعلّم القرآن والإقدام على القبائح آمنين غير خائفين؛ وهذا لا يجوز عليه صلى الله عليه وآله والمعنى فى قول أبى أمامة أن الله لا يعذّب قلبا وعى القرآن على نحو ما ذكره ابن الأنبارىّ.
فأما جواب ابن قتيبة الثانى، فمن أين له أن ذلك مختص بزمانه صلى الله عليه وآله، وليس فى اللفظ ولا فى غيره دلالة عليه! وأقوى ما يبطله أنّه لو كان كما ذكر لما جاز أن يخفى على جماعة المسلمين الذين رووا جميع معجزاته عليه وآله السلام وضبطوها. وفى وجداننا من روى ذلك وجمعه وعنى به غير عارف بهذه الدّلالة والآية إبطال لما توهمه.
فأما جوابه الثالث فباطل؛ لأنّ القرآن فى الحقيقة ليس يحلّ الجلد، ولا يكون فيه حتى ينسب الاحتراق إلى الجلد دونه؛ وإذا كان الأمر على هذا لم يكن فى قوله: إن الإهاب هو المحترق دون القرآن فائدة؛ لأنّ هذه سبيل كلّ كلام كتب فى إهاب أو غيره إذا احترق الإهاب لم يضف الاحتراق إلى الكلام لاستحالة هذه القضيّة (1) عليه.
ومن عجيب الأمور قول ابن الأنبارىّ: «وهذا يوجب أنّ القرآن غير المكتوب»؛ لأنّ كلام ابن قتيبة ليس يوجب ما ظنّه؛ بل يوجب ضده من أن المكتوب هو القرآن؛ ولهذا علّق الإحراق (2) بالكتابة والجلد دون المكتوب؛ الّذي هو القرآن؛ وإذا كان المكتوب فى المصحف هو القرآن على ما اقترح ابن الأنبارىّ، فما المانع من قول ابن قتيبة أنّ الجلد يحترق دونه؟ لأن أحدا لا يقول إن الجلد هو القرآن؛ وإنما يقول قوم إنه مكتوب فيه؛ وإذا كان غيره لم يمتنع إضافة الاحتراق إلى أحدهما/ دون الآخر؛ وهذا كله تخليط من الرجلين؛ لأن القرآن غير حالّ فى الجلد على
الحقيقة؛ وليست الكتابة غير المكتوب؛ وإنما الكتابة أمارة للحروف؛ فأمّا أن تكون هى الكلام على الحقيقة أو يوجد معها الكلام مكتوبا فمحال.
فأما استشهاده على ذلك بالآية وبقوله: «لا تسافروا بالقرآن» فذلك تجوّز وتوسّع،

(1) ت، ف: «القصة».
(2) ت: «الاحتراق».

(1/430)

وليس يجب أن يجعل إطلاق الألفاظ المحتملة دليلا على إثبات الأحكام والمعانى، ومعترضة على أدلّة العقول؛ وقد تجوّز القوم بأكثر من هذا فقالوا: فى هذا الكتاب شعر امرئ القيس وعلم الشافعىّ وفقه فلان، ولم يقتض ذلك أن يكون العلم والكلام على الحقيقة موجودين فى الدفتر. وقد بيّن الكلام، فى

هذا الباب فى مواضع هى أولى به.
فأما جواب ابن الأنبارىّ الّذي ارتضاه لنفسه، فلا طائل أيضا فيه، لأنه لا مزيّة للقرآن فيما ذكره على كل كلام وشعر فى العالم، لأنّا نعلم أنّ الشعر والكلام المحفوظ فى صدور الرجال إذا كتب فى جلد ثم أحرق أو غسل لم يذهب ما فى الصدور. منه؛ بل يكون ثابتا بحاله، فأىّ مزيّة للقرآن فى هذا على غيره؟ وأىّ فضيلة؟ فإن قال: وجه المزيّة أنّ غير القرآن من الشعر وغيره يمكن أن يندرس ويبطل بإحراق النار؛ والقرآن إذا كان هو تعالى هو المتولّى لإيداعه الصدور لا يتم ذلك فيه؟
قلنا: الكل سواء لأن غير القرآن إنما يبطل باحتراق الإهاب المكتوب فيه متى لم يكن محفوظا مودعا للصدور، ومتى كان بهذا الصفة لم يبطل باحتراق الجلد؛ وهكذا القرآن لو لم يحفظ فى الصدور لبطل بالاحتراق؛ ولكنه لا يبطل بهذا الشرط؛ فصار الشرط فى بطلان غير القرآن وثباته كالشّرط فى بطلان القرآن وإثباته، فلا مزيّة على هذا الجواب للقرآن فيما خصّ به من أنّ النار لا تمسّه، وهذا يبيّن أنه لا وجه غير ما ذكرناه فى الخبر؛ وهو أشبه بمذاهب العرب وأولى بتفضيل القرآن وتعظيمه.

*** [من شعر الحسين بن مطير الأسدىّ:]
أخبرنا أبو الحسن عليّ بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أنشدنا أبو حاتم قال ابن دريد وأنشدنا عبد الرحمن- يعنى ابن أخى الأصمعىّ- عن عمه للحسين بن مطير الأسدىّ (1) - وقال عبد الرحمن قال عمّى: لو كان شعر العرب هكذا ما أثم منشده-:

(1) هو الحسين بن مطير بن مكمل؛ مولى لبنى سعد بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد؛ شاعر متقدم من شعراء الدولتين؛ ومذهبه فى الشعر يشبه كلام الأعراب ومذاهبهم؛ (وانظر ترجمته وأخباره وأشعاره فى الأغانى 14: 110 - 114، والخزانة 2: 485 - 488).

ألا حبّ (1) بالبيت الّذي أنت هاجره ... وأنت بتلماح من الطّرف ناظره (2)
لأنّك من بيت لعينى معجب (3) ... وأملح فى عينى من البيت عامره
أصدّ حياء أن يلجّ بى الهوى ... وفيك المنى لولا عدوّ أحاذره (4)
وفيك حبيب النّفس لو تستطيعه (5) ... لمات الهوى والشّوق حين تجاوره (6)
فإن آته لم أنج إلا بظنّة ... وإن يأته غيرى تنط بى جرائره
وكان حبيب النّفس للقلب واترا ... وكيف يحبّ القلب من هو واتره!
وإن تكن الأعداء أحموا كلامه ... علينا فلن تحمى علينا مناظره
أحبّك يا سلمى على غير ريبة ... ولا بأس فى حبّ تعفّ سرائره
ويا عاذلى لولا نفاسة حبّها ... عليك لما باليت أنك خابره
بنفسى من لا بدّ أنّى هاجره ... ومن أنا فى الميسور والعسر ذاكره
ومن قد لحاه النّاس حتّى اتّقاهم ... ببغضى إلّا ما تجنّ ضمائره

أحبك حبّا لن أعنّف بعده ... محبّا ولكنّى إذا ليم عاذره
لقد مات قبلى أوّل الحبّ فانقضى ... ولو متّ أضحى الحبّ قد مات آخره (7)
كلامك يا سلمى وإن قلّ نافعى ... ولا تحسبى أنّى وإن قلّ حاقره (8)
ألا لا أبالى أىّ حىّ تحمّلوا ... إذا ثمد البرقاء لم يجل حاضره (9)

---

(1) وردت هذه المقطوعة فى أمالى القالى 1: 78، وأمالى ابن الشجرى: 150 مع اختلاف فى الرواية وعدد الأبيات.
(2) ت: «زائره».
(3) ف: «إلى لمعجب».
(4) م: «أن يلجّ بى الهوى».
(5) حاشية الأصل (من نسخة): «نستطيعه».
(6) ت: «نجاوره»، وحاشية الأصل (من نسخة): «تحاوره».
(7) فى حاشيتى الأصل، ت: «بهذا يدعى أنه أحيا الحب، وأن الحب كان قبله ميتا، وسيموت بعده».
(8) الحقر: التحقير.
(9) تحملوا: ارتحلوا؛ والثمد: الماء القليل. والبرقاء: موضع بالجزيرة.
ولم يجل؛ من جلاء القوم عن منازلهم.

وأنشد ابن الأعرابىّ لابن مطير:
لعمرك للبيت الّذي لا نطوره ... أحبّ إلينا من بلاد نطورها (1)
تقلّبت فى الإخوان حتى عرفتهم ... ولا يعرف الإخوان إلّا خبيرها
فلا أصرم الخلّان حتى يصارموا ... وحتى يسيروا سيرة لا أسيرها
فإنك بعد الشّرّ ما أنت واجد ... خليلا مديما شيمة لا يديرها
/- معنى يديرها، يقلّبها مرة هاهنا، ومرة هاهنا-
وإنك فى غير الأخلّاء عالم ... بأنّ الّذي يخفى عليك ضميرها (2)
فلا تك مغرورا بمسحة صاحب ... من الودّ لا تدرى علام مصيرها (3)
وما الجود عن فقر الرّجال ولا الغنى ... ولكنّه خيم الرّجال وخيرها
وقد تغدر الدّنيا فيضحى غنيّها ... فقيرا ويغنى بعد بؤس فقيرها
وكائن ترى من حال دنيا تغيّرت ... وحال صفا بعد اكدرار غديرها
ومن طامع فى حاجة لن ينالها ... ومن يائس منها أتاه بشيرها
ومن يتّبع ما يعجب النفس لا يزل ... مطيعا لها فى فعل شيء يضيرها (4)
فنفسك أكرم عن أمور كثيرة ... فمالك نفس بعدها تستعيرها

[أبيات للسيد المرتضى فى معنى بيت للحسين بن مطير الأسدى:]
قال سيدنا أدام الله علوّه: ولي فى معنى قول ابن مطير: «وقد تغدر الدنيا»، والبيت الّذي بعده من جملة قصيدة:
وكيف آنس بالدّنيا ولست أرى ... إلّا امرأ قد تعرّى من عواريها (5)

(1) حماسة ابن الشجرى: 163. ونطورها: نقربها.
(2) ف، حاشية ت (من نسخة) «فى عين الأخلاء».
(3) المسحة: الأثر الظاهر؛ ونقل صاحب اللسان عن شمر: أن العرب تقول: هذا رجل عليه مسحة جمال، ومسحة عتق وكرم؛ ولا يقال ذلك إلا فى المدح. وفى ت: «مسحة»، بكسر الميم.
(4) من نسخة بحاشيتى الأصل، ف: «فى كل شيء».
(5) حاشية الأصل (من نسخة):
«وكيف أنفس بالدنيا».

نصبو إليها بآمال مخيّبة ... كأنّنا ما نرى عقبى أمانيها
فى وحشة الدّار ممّن كان يسكنها ... كلّ اعتبار لمن قد ظلّ يأويها
لا تكذبنّ فما قلبى لها وطنا ... وقد رأيت طلولا من مغانيها
وأخبرنا أبو عبيد الله المرزبانىّ قال أنشدنا عليّ بن سليمان الأخفش قال أنشدنا أحمد بن يحيى ثعلب للحسين بن مطير:
لقد كنت جلدا قبل أن يوقد الهوى ... على كبدى نارا بطيئا خمودها (1)
ولو تركت نار الهوى لتضرّمت ... ولكنّ شوقا كلّ يوم يزيدها (2)
وقد كنت أرجو أن تموت صبابتى ... إذا قدمت أحزانها وعهودها (3)
/ فقد جعلت فى حبّة القلب والحشا ... عهاد الهوى تولى بشوق يعيدها (4)
بمرتجّة الأرداف هيف خصورها ... عذاب ثناياها عجاف قيودها (5)
– يعنى أنها عجاف اللّثات وأصول الأسنان، وهى قيودها. قال أبو العباس ثعلب:
«عجاف»، بالخفض لحن، لأنه ليس من صفة النساء، وسبيله أن يكون نصبا؛ لأنه حال من الثنايا – (6)

(1) أبيات منها فى أمالى الزجاجى: 124 – 125، وأمالى القالى 1: 165، والحماسة بشرح التبريزى 3: 206 – 207 وفى م: «توقد النوى».
(2) حواشى الأصل، ت، ف: «أى لو تركت نار الهوى ولم يزد فيها الشوق لكانت كافية؛ فكيف والشوق كل يوم يزيدها ويذكيها! ».

(3) ت، د، ف: «أيامها وعهودها».
(4) العهاد: جمع عهدة؛ وهو المطر الأول، والولى:
المطر الثانى، شبه أول الشوق بالعهاد، وما وليه بالولى؛ فأول المطر إذا لحقه المطر الثانى كثر الربيع والخصب.
(5) هيف: جمع هيفاء؛ وهو الدقيقة الخصر، الضامرة البطن وفى حاشية الأصل (من نسخة): «عجافا».
(6) حواشى الأصل، ت، ف: «إنما قال ثعلب ذلك لأن الضمير فى «قيودها» للثنايا». وفيها أيضا: «هذا الّذي ذكره أحمد بن يحيى عجب، وباب جريان الصفة على غير من هوله واسع. وقوله: «مرتجة الأرداف»، وإن كان لا يحتمل أن يريد به جماعة النساء فإنه يحتمل أن يريد به واحدة، وتكون «خصورها» جمعا بما يقارب الخصر، ويكون قوله: «هيف» دون «هيفاء» من باب قوله:
فيا ليلة خرس الدّجاج طويلة ... ببغداد ما كادت عن الصّبح تنجلى
وإنما جمع الخرس، لأنها فى الحقيقة صفة الدجاج، لا الليل، فكذلك هاهنا».

مخصّرة الأوساط زانت عقودها ... بأحسن ممّا زيّنتها عقودها
وصفر تراقيها وحمر أكفّها ... وسود نواصيها وبيض خدودها
– وصف التّراقى بالصّفرة (1) من الطّيب، وحمرة أكفها من الخضاب–
يمنّيننا حتّى ترفّ قلوبنا ... رفيف الخزامى بات طلّ يجودها (2)
أخذ قوله: «مخصّرة الأوساط زانت ... »، البيت من قول مالك بن أسماء بن خارجة:
وتزيدين أطيب الطّيب طيبا ... – إن تمسّيه– أين مثلك أينا!
وإذا الدّرّ زان حسن وجوه ... كان للدّرّ حسن وجهك زينا

[عود إلى شعر الحسين بن مطير الأسدى:]
وروى أبو تمام الطائىّ فى الحماسة بعض الأبيات الّذي ذكرناها للحسين بن مطير.
وروى له أيضا (3) – ويشبه أن يكون الجميع من قصيدة واحدة:
وكنت أذود العين أن ترد البكا ... فقد وردت ما كنت عنه أذودها
خليليّ ما بالعيش عيب لو أنّنا ... وجدنا لأيّام الصّبا من يعيدها
وروى أبو تمام أيضا لغيره (4)، وبعض الرواة يرويها لابن مطير:
ولي نظرة بعد الصدود من الجوى ... كنظرة ثكلى قد أصيب وليدها
هل الله عاف عن ذنوب تسلّفت! ... أم الله إن لم يعف عنها معيدها! (5)
وأنشد أبو محلّم لابن مطير:
قضى الله يا أسماء أن لست بارحا ... أحبّك حتّى يغمض العين مغمض (6)

(1) حواشى الأصل، ت، ف: «قد ذكر فى صفرة التراقى أنها من الحلى».
(2) حاشية الأصل: «يقال: رف النبت إذا مطر فاهتز بالندى».
(3) الحماسة بشرح التبريزى 3: 302 – 303.
(4) الّذي فى ديوان الحماسة بشرح التبريزى أن الأبيات الأربعة منسوبة للحسين بن مطير.
(5) حاشية الأصل: «الضمير للمرأة التى يجوى لها».
(6) الزهرة: 24؛ وفى حاشية الأصل: «أغمض وغمض [بالتضعيف] بمعنى واحد، أى يغمض عينه وليه بعد الموت».

/ وحبّك بلوى غير ألّا يسرّنى ... وإن كان بلوى أننى لك مبغض (1)
إذا أنا رضت النّفس فى حبّ غيرها ... أتى حبّها من دونها يتعرّض
فيا ليتني أقرضت جلدا (2) صبابتى ... وأقرضنى صبرا على الشّوق مقرض
ويشبه أن يكون أخذ قوله:
* إذا أنا رضت النفس فى حبّ غيرها*
من قول رجل من فزارة:
وأعرض حتّى يحسب النّاس أنما ... بى الهجر لاها لله ما بى لك الهجر
ولكن أروض النّفس أنظر هل لها ... – إذا فارقت يوما أحبّتها– صبر!
أو من قول نصيب:
وإنّى لأستحيى كثيرا وأتّقى ... عيونا (3) واستبقى المودّة بالهجر
وأنذر بالهجران نفسى أروضها ... لتعلم عند الهجر هل لى من صبر!
ويشبه أن يكون أخذ قوله:
* فيا ليتني أقرضت جلدا صبابتى ... * البيت
من قول بعض العرب:
رمى قلبه البرق الملألئ رمية ... بجنب الحمى وهنا فكاد يهيم (4)
فهل من معير طرف عين خليّة ... فإنسان عين العامرىّ كليم
وللحسين فى هذا المعنى ما رواه المبرّد:
ولي كبد مقروحة من يبيعنى ... بها كبدا ليست بذات قروح (5)

---

(1) حاشية ت (من نسخة): «وإن كان دائى».
(2) من نسخة بحواشى الأصل، ت، ف:
«غيرى».
(3) ف: «غيورا»، م: «عدوا».
(4) حاشية ت (من نسخة): «البرق الملالى رمية».

(5) حواشى الأصل، ت، ف: «رواهما غير المبرد لابن الدمينة، وقبلهما:
ألا يا حمى وادى المياه قتلتنى ... أباحك لى قبل الممات مبيح
–

أبى النّاس، ويب الناس! لا يشترونها ... ومن يشترى ذا عرّة بصحيح! (1)
وأخذ العباس بن الأحنف هذا المعنى فقال:
من ذا يعيرك عينه تبكى بها! ... أرأيت عينا للبكاء تعار! (2)
*** وأخبرنا المرزبانىّ قال حدثنا أبو عبد الله الحكيمىّ قال حدثنى يموت بن المزرّع قال حدثنا محمد بن حميد قال: كنا عند الأصمعىّ؛ فأنشده رجل أبيات دعبل:
أين الشّباب وأيّة سلكا! ... لا، أين يطلب ضلّ بل هلكا! (3)
/ لا تعجبى يا سلم من رجل ... ضحك المشيب برأسه فبكى
يا سلم ما بالشّيب منقصة ... لا سوقة يبقى ولا ملكا
قصر الغواية عن هوى قمر ... وجد السّبيل إليه مشتركا
يا ليت شعرى كيف نومكما ... يا صاحبىّ إذا دمى سفكا!
لا تأخذا بظلامتى أحدا ... قلبى وطرفى فى دمى اشتركا
قال: فاستحسنها كلّ من فى المجلس، وأكثروا التعجب من قوله:
* ضحك المشيب برأسه فبكى*

– وبعدهما:
أئنّ من الشّوق الّذي فى جوانحى ... أنين عضيض بالسّلاح جريح»
وفى معجم البلدان 8: 377 أبيات خمسة نسبها إلى ابن الدمينة، يتفق البيت الأول والرابع والخامس مع هذه الأبيات، والبيت الثانى والثالث هناك:
رأيتك غضّ النّبت مرتبط الثّرى ... يحوطك شجاع عليك شحيح
كأنّ مدوف الزّعفران بجنبه ... دم من ظباء الواديين ذبيح.
(1) حاشية ت (من نسخة): «ذا علة».
(2) حاشية الأصل: قبله:
نزف البكاء دموع عينك فاستعر ... عينا لغيرك دمعها مدرار
والبيتان فى ديوانه: 68.
(3) الأبيات فى العقد 5: 375 والخزانة 3: 487.

فقال الأصمعيّ: إنما أخذ قوله هذا من ابن مطير الأسديّ فى قوله:
أين أهل القباب بالدّهناء! ... أين جيراننا على الأحساء! (1)
جاورونا والأرض ملبسة ... نور الأقاحى تجاد بالأنواء
كلّ يوم عن أقحوان جديد ... تضحك الأرض من بكاء السّماء (2)
وقد أخذه مسلم صريع الغوانى فى قوله:
مستعبر يبكى على دمنة ... ورأسه يضحك فيه المشيب (3)
قال سيدنا أدام الله علوّه: ولأبى الحجناء نصيب الأصغر مثل هذا المعنى، وهو قوله:
يبكى الغمام به فأصبح روضه ... جذلان يضحك بالجميم ويزهر (4)
ولابن المعتز مثله:
أحّت عليه كلّ طخياء ديمة ... إذا ما بكت أجفانها ضحك الزّهر (5)
ولابن دريد مثله:
تبسّم المزن وانهلّت مدامعه ... فأضحك الرّوض جفن الضّاحك الباكي (6)
وغازل الشّمس نور ظلّ يلحقها (7) ... بعين مستعبر بالدّمع ضحّاك
وروى عن أبى العباس المبرد أنه قال: أخذ ابن مطير قوله:
* تضحك الأرض من بكاء السّماء*
/ من قول دكين الراجز:
جنّ النّبات فى ذراها وزكا (8) ... وضحك المزن به حتّى بكى

---

(1) الخزانة 2: 487، عن الغرر. وفى حاشية الأصل: «الأحساء: جمع حسى، وهو الموضع الّذي استنقع فيه الماء». والدهناء: أرض من منازل تميم بنجد.
(2) ت حاشية الأصل (من نسخة):
«بأقحوان».
(3) ديوانه: 367، الوساطة: 44.
(4) ت: «يبكى الغمام». الجميم: الكلأ الكثير.
(5) ديوانه: 1: 33.
(6) ديوانه: 98، والخزانة 2: 487 – 488 وكلاهما عن الغرر. وفى حاشية ت (من نسخة) «دمع الضاحك الباكي».
(7) ت: «يلحظها».
(8) الخزانة 2: 488، عن الغرر.

33 مجلس آخر [المجلس الثالث والثلاثون:]
تأويل آية [: فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ...]

إن سأل سائل عن قوله تعالى: فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغاءَ تَأْوِيلِهِ، وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا، وَما يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبابِ؛ [آل عمران: 7].

الجواب، قلنا: ذكر فى هذه الآية وجهان مطابقان للحقّ:

أحدهما أن يكون الراسخون فى العلم معطوفين على اسم الله تعالى؛ فكأنه قال: وما يعلم تأويله إلا الله وإلّا

الراسخون فى العلم، وإنهم مع علمهم به يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ؛ فوقع قوله:

يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ فى موقع الحال؛ والمعنى أنهم يعلمونه قائلين: آمَنَّا بِهِ، كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا وهذا غاية المدحة لهم؛ لأنهم إذا علموا ذلك بقلوبهم، وأظهروا التصديق به على ألسنتهم فقد تكاملت مدحتهم ووصفهم بأداء الواجب عليهم.

والحجة- لمن ذهب إلى ما بيّناه، والردّ على من استبعد عطفه على الأول وتقديره أن يكون قوله: يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ على هذا التأويل لا ابتداء له، - قوله: ما أَفاءَ اللَّهُ عَلى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبى؛ إلى قوله: شَدِيدُ الْعِقابِ؛ [الحشر: 7]، فذكر جملة، ثم تلاها بالتفصيل، وتسمية من يستحق هذا الفيء فقال:

لِلْفُقَراءِ الْمُهاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْواناً، إلى قوله: الصَّادِقُونَ؛ [الحشر: 8]. وقال فى الذين تبوء والدار والإيمان- وهم الأنصار: يُحِبُّونَ مَنْ هاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حاجَةً مِمَّا أُوتُوا، وَيُؤْثِرُونَ عَلى أَنْفُسِهِمْ؛ [الحشر: 9]. وقال فيمن جاء بعدهم: يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنا

وَلِإِخْوانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونا بِالْإِيمانِ؛ [الحشر: 10]، فهذه الآيات تدلّ على أنه لا ينكر فى آية «الراسخين فى العلم» أن يكون قوله: يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ حالا لهم؛ مع العلم بتأويل المتشابه؛ ولو أشكل شيء من ذلك لما أشكل قوله: وَالَّذِينَ جاؤُ مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنا فى أنه موافق لقوله: وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ وأن الصورتين واحدة.

ومما يستشهد به/ على ذلك من الشعر قول يزيد بن (1) مفرّغ فى عبد له كان يسمّى بردا باعه ثم ندم عليه:

وشربت بردا ليتنى ... من بعد برد كنت هامه (2)

هامة تدعو صدى ... بين المشقّر فاليمامة (3)

الرّيح تبكى شجوه ... والبرق يلمع فى الغمامة (4)

فعطف البرق على الريح، ثم أتبعه بقوله: «يلمع»؛ كأنه قال: والبرق أيضا يبكيه لامعا فى غمامه؛ أى فى حال لمعانه؛ ولو لم يكن البرق معطوفا على الريح فى البكاء لم يكن للكلام معنى ولا فائدة.

ويمكن أيضا على هذا الوجه مع عطف «الراسخين» على ما تقدّم، وإثبات العلم بالمتشابه لهم أن يكون قوله: يَقُولُونَ آمَنَّا استئناف جملة، واستغنى فيه عن حرف العطف؛ كما استغنى فى قوله تعالى:

سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ؛ [الكهف: 22]، ونحو ذلك مما للجملة الثانية فيه التباس بالجملة الأولى، فيستغنى به عن حرف العطف، ولو عطف بحرف العطف كان حسنا، ينزّل المتلبّس منزلة غير المتلبّس.
والوجه الثانى فى الآية أن يكون قوله: وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مستأنفا غير معطوف

---

(1) هو يزيد بن ربيعة بن مفرغ؛ وخبر بيعه بردا، مع الأبيات فى الأغانى 17: 53 – 55.
(2) شريت: بعت، والهامة والصدى، كلاهما كناية عما تزعم العرب أنه يطير من رأس الميت.
(3) المشقر: حصن بين البحرين ونجران.
(4) حاشية الأصل (من نسخة): «فى غمامة».

على ما تقدّم، ثم أخبر عنهم بأنهم: يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ، ويكون المراد بالتأويل على هذا الجواب المتأوّل، لأنه قد يسمّى تأويلا، قال تعالى: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ، [الأعراف: 53] والمراد بذلك لا محالة المتأوّل، والمتأوّل الّذي لا يعلمه العلماء؛ وإن كان الله عز وجلّ عالما به، كنحو وقت قيام الساعة، ومقادير الثواب والعقاب، وصفة الحساب، وتعيين الصغائر؛ إلى غير ذلك؛ فكأنه قال: وما يعلم تأويل جميعه. على المعنى الّذي ذكرناه إلا الله؛ والعلماء يقولون آمنّا به.
وقد اختار أبو عليّ الجبائىّ هذا الوجه، وقوّاه، وضعّف الأول بأن قال: قول الراسخين فى العلم آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا دلالة على استسلامهم؛ لأنهم لا يعرفون تأويل المتشابه، كما يعرفون تأويل المحكم، ولأن ما ذكرناه من وقت القيامة، ومن التمييز بين الصغائر والكبائر هو من تأويل القرآن؛ إذا كان داخلا فى خبر الله؛ والراسخون فى العلم/ لا يعلمون ذلك.
وليس الّذي ذكره بشيء؛ لأنه لا يمتنع أن يقول العلماء مع علمهم بالمتشابه: آمَنَّا بِهِ على الوجه الّذي قدمنا ذكره؛ فكيف يظنّ أنهم لا يقولون ذلك إلا مع فقد العلم به! وما المنكر من أن يظهر الإنسان بلسانه الإيمان بما يعلمه ويتحققه! فأما قوله: «ولأن ما ذكرناه من تأويل القرآن» فذلك إنما يكون تأويلا للقرآن إذا حملت هذه اللفظة على المتأوّل، لا على الفائدة والمعنى.
وأما إذا حملت على أنه: وما يعلم معنى المتشابه وفائدته إلّا الله، فلا بدّ من دخول العلماء فيه.
وليس يمكنه أن يقول: إنّ حمل التأويل على المتأوّل أظهر من حمله على المعنى والفائدة؛ لأن الأمر بالعكس من ذلك؛ بل حمله على المعنى أظهر وأكثر فى الاستعمال، وأشبه بالحقيقة؛ على أنه لو قيل: إنّ الجواب الأول أقوى من الثانى لكان أولى من قوله من قبل: إنه لو كان المراد بالتأويل المتأوّل لا الفائدة والمعنى لم يكن لتخصيص المتشابه بذلك دون المحكم معنى؛ لأن فى متأوّل المحكم؛ كإخباره عن الثواب والعقاب والحساب؛ ممّا لا شبهة فى كونه

محكما ما لا يعرف تفصيله وكنهه إلا الله تعالى؛ فأىّ معنى لتخصيص المتشابه بذلك والكلام يقتضي توجّهه نحو المتشابه! ألا ترى إلى قوله تعالى: فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغاءَ تَأْوِيلِهِ! فخصّ المتشابه بالذكر.

والأولى أيضا أن يكون المراد بلفظة تَأْوِيلِهِ الثانية هو المراد بلفظة تَأْوِيلِهِ الأولى، وقد علمنا أن الذين فى قلوبهم زيغ إنما اتّبعوا تأويله على خلاف معناه ولم يطلبوا تأويله الَّذي هو متأوّله؛ فالوجه الأول أقوى وأرجح.

ويمكن فى الآية وجه ثالث لم نجدهم ذكروه، على أن يكون قوله: وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مستأنفا غير معطوف، ويكون المعنى: وما يعلم تأويل المتشابه بعينه وعلى سبيل التفصيل إلا الله؛ وهذا صحيح لأنّ أكثر المتشابه قد يحتمل الوجوه الكثيرة المطابقة للحق، الموافقة لأدلة العقول؛ فيذكر المتأوّل جميعها، ولا يقطع على مراد الله منها بعينه، لأنّ الّذي يلزم مثل ذلك أن يعلم فى الجملة أنه لم يرد من المعنى ما يخالف الأدلة؛ وأنه قد أراد بعض الوجوه المذكورة المتساوية فى الجواز، والموافقة للحق.

وليس من تكليفنا أن نعلم المراد/ بعينه؛ وهذا مثل الضلال والهدى اللّذين نبين احتمالهما لوجوه كثيرة؛ منها ما يخالف الحقّ فيقطع على أنه تعالى لم يرده، ومنها وجوه تطابق الحق، فيعلم فى الجملة أنه قد أراد أحدها، ولا يعلم المراد منها بعينه وغير هذا من الآى المتشابهة؛ فإن أكثرها يحتمل وجوها، والقليل منها يختص بوجه واحد صحيح لا يحتمل سواه؛ ويكون قوله تعالى من بعد: وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ، أى صدّقنا بما نعلمه مفصّلا ومجملا من المحكم والمتشابه؛ وأنّ الكلّ من عند ربنا؛ وهذا وجه واضح.

*** [إيراد طائفة من محاسن شعر أبى حية النميرىّ وتفسير ما فيها من الغريب:]

أخبرنا أبو عبيد الله المرزبانىّ قال أخبرنا محمد بن أبى الأزهر قال أنشدنا محمد بن يزيد لأبى حيّة (1) النّميرىّ- وهى أبيات مختارة:

---

(1) هو أبو حية الهيثم بن الربيع بن زرارة، ينتهى نسبه إلى مضر بن نزار. من مخضرمى الدولتين، -

وخبّرك الواشون ألّا أحبّكم ... بلى وستور الله (1) ذات المحارم (2)
أصدّ، وما الصّدّ الّذي تعرفينه ... عزاء بنا إلّا اجتراع العلاقم (3)
حياء وبقيا أن تشيع نميمة ... بنا وبكم؛ أفّ لأهل النّمائم! (4)
وإنّ دما لو تعلمين جنيته ... على الحىّ، جانى مثله غير سالم (5)
أما إنّه لو كان غيرك أرقلت ... صعاد القنا بالرّاعفات اللهازم (6)
ولكنه والله ما طلّ مسلما ... كبيض الثّنايا واضحات الملاغم

- قال ثعلب: الملاغم، ما حول الفم، وقال المبرّد: «واضحات الملاغم»، يريد العوارض، وقوله: «ما طلّ مسلما»، أى أبطل دمه-

إذا هنّ ساقطن الحديث حسبته (7) ... سقوط حصى المرجان من سلك ناظم
– ويروى: «ساقطن الأحاديث للفتى». ويروى أيضا: «ساقطن الحديث كأنّه» –
رمين فأقصدن القلوب فلا ترى ... دما مائرا إلّا جوى فى الحيازم (8)

– من ساكنى البصرة، وكان شاعرا راجزا مقصدا، (وانظر ترجمته وأخباره فى الأغانى 15: 61 – 62 والشعر والشعراء 749 – 750، والخزانة 4: 283 – 285).
(1) من نسخة بحواشى الأصل، ت، ف: «ستور البيت».
(2) الكامل– بشرح المرصفى 1: 231 – 235، وأمالى القالى 2: 280، ومختارات ابن الشجرى 153.
(3) اجتراع: مصدر اجترع الماء إذا ابتلعه. والعلاقم: واحدها العلقم، جمع العلقمة، وهى القطعة من كل شيء مر.
(4) حاشية ت (من نسخة): «لهذى التمائم».
(5) حاشية ت (من نسخة): «غير نادم».
(6) فى حاشيتى الأصل، ف: «الإرقال:
ضرب من السير السريع؛ وهو هنا استعارة، والصعاد: جمع صعدة، والراعفات: الأسنة التى يرعفن، واللهازم: جمع لهذم؛ وهن القواطع».
(7) ت، حاشية الأصل (من نسخة): «كأنه»؛ وهى رواية الكامل، وفى حاشية ت (من نسخة): «ساقطن الأحاديث بيننا».
(8) أقصدن القلوب: رمينها؛ من قولهم؛ قصدت الرجل إذا طعنته أو رميته؛ فلم تخطئ مقاتله.
والدم المائر: السائل. والحيازم: الحيازيم؛ وهى ضلع الفؤاد وما اكتنف الحلقوم من جانب الصدر.
وفى حاشية الأصل (من نسخة): «فأصمن القلوب».

قال سيدنا أدام الله تمكينه: ومن مستحسن ما مضى فى هذه القصيدة قوله:
كأن لم أبرّح بالغيور وأقتتل ... بتفتير أبصار الصّحاح السّقائم (1)
/ ولم أله بالحدث الألفّ الّذي له ... غدائر لم يحرمن فار اللّطائم (2)
إذا اللهو يطبينى وإذ أستميله ... بمحلولك الفودين وحف المقادم (3)
وإذ أنا منقاد لكلّ مقوّد ... إلى اللهو حلّاف البطالات آثم
– وروى ابن حبيب: «مقوّد». ومعنى «حلّاف البطالات»، أى حلّاف فى البطالات–
مهين المطايا متلف غير أنّنى ... على هلك ما أتلفته غير نادم (4)
أرى خير يومىّ الخسيس وإن غلا ... بى اللّوم لم أحفل ملامة لائم
– معنى «خير يومىّ الخسيس»، أى أحبّ يومىّ إلى الّذي هو أخسّ عند أهل الرأى والعقل.
وأنشد أبو إسحاق إبراهيم بن سيف بن الزّيادىّ لأبى حيّة– واسمه هيثم بن الربيع:

ترحّل بالشّباب الشّيب عنّا ... فليت الشّيب كان به الرّحيل
وقد كان الشّباب لنا خليلا ... فقد قضى مآربه الخليل
لعمر أبي، الشّباب لقد تولّى ... حميدا ما يراد به بديل

---

(1) حواشي الأصل، ت، ف: «أى كأن لم أعذب بعذاب شديد؛ ويعنى بالغيور زوجها أو أخاها. ومعنى أقتتل أقتل. والأعرف فى الحب أن يقال: اقتتله الحب؛ قال ذو الرمة:
إذا ما امرؤ حاولن أن يقتتلنه ... بلا إحنة بين النّفوس ولا زحل.
(2) الحدث: المحادث. والألف: عظيم الفخذ؛ ويقال: امرأة لفاء؛ إذا كانت ضخمة الفخذين مكتنزة باللحم. والفار: نافجة المسك. واللطائم: جمع لطيمة؛ وهى القافلة التى يكون فيها المسك.
(3) حاشية الأصل (من نسخة): «إذا أستميله». طباه: دعاه. والمحلولك: الحالك الأسود. والفودان: مثنى فود؛ وهو معظم شعر الرأس مما يلى الأذن وناحية الرأس. والوحف: الشعر الكثير الأسود. والمقادم: مقدمات الرأس.
(4) حاشية الأصل (من نسخة): «على ردما أتلفنه» «أى على اكتساب؛ والتقدير: غير أنى غير نادم؛ مع أنى قادر على رد ما أتلفت واكتساب مثله».

إذ الأيّام مقبلة علينا ... وظلّ أراكة الدّنيا ظليل
وأنشد المبرّد، قال أنشدنا أبو عثمان المازنىّ لأبى حيّة:
زمان الصّبا ليت أيّامنا ... رجعن لنا الصّالحات القصارا (1)
زمان عليّ غراب غداف ... فطيّره الدهر عنى فطارا
فلا يبعد الله ذاك الغراب ... وإن هو لم يبق إلّا ادّكارا
كأنّ الشّباب ولذّاته ... وريق الصّبا كان يوما معارا (2)
– ريّق الصبا وريقه ورونقه: أوّله–
وهازئة أن رأت لمّتى ... تلفّع شيب بها فاستدارا (3)
وقلّدنى منه بعد الخطام ... عذارا فما أستطيع اعتذارا (4)
/ أجارتنا إنّ ريب الزّمان ... قبلى نال الرّجال الخيارا (5)
فإمّا ترى لمّتى هكذا ... فأسرعت فيها لشيبى النّفارا (6)
فقد ارتدى وحفة طلّة ... وقد أبرز الفتيات الخفارا
أما قوله: «عليّ غراب غداف» فأراد به الشّباب والشّعر الأسود، ويشبه أن يكون مأخوذا من قول الأعشى:
وما طلابك شيئا لست تدركه ... إن كان عنك غراب الجهل قد وقعا! (7)
ولأبى حيّة من قصيدة أولها:
* ألا يا اسلمى أطلال خنساء وانعمى (8) *

(1) حاشية ت: «يحتمل أن تكون «الصالحات» مفعول «رجعن، ويحتمل أن يكون نصبا على المدح.
(2) ت، حاشية الأصل (من نسخة): «ثوبا معارا.
(3) من نسخة بحواشى الأصل، ت، ف: «أهازئة». وتلفع الشيب به، أى شمله.
(4) حاشية ت: «جعل ظهور الشيب فى شاربه وعنفقته خطاما، وشيب ما على لحييه من الشعر عذارا؛ وهذا من حسن التشبيه».
(5) حاشية ت (من نسخة): «غال الرجال».
(6) حاشية الأصل (من نسخة): «منها لشيبى». ومن نسخة أخرى: «فأسرعت منى». وفى حاشية ت (من نسخة): «لشيب نفارا».
(7) ديوانه: 73.
(8) أبيات منها فى زهر الآداب: 190 (طبعه الحلبى) والحماسة- بشرح التبريزى 3: 308 - 310.

وخنساء مخماص الوشاحين مشيها ... إلى الرّوح أفنان خطا المتجشّم (1)
ألمّا بسلمى قبل أن ترمى النّوى ... بنافذة نبض الفؤاد المتيّم
يقف عاشقا لم يبق من روح نفسه ... ولا عقله المسلوب غير التّوهّم
فقلن لها سرّا: فديناك! لا يرح ... صحيحا، فإن لم تقتليه فألمى (2)
فألقت قناعا دونه الشّمس واتّقت ... بأحسن موصولين: كفّ ومعصم
وهذا البيت الأخير مأخوذ من قول النابغة:
سقط النّصيف ولم ترد إسقاطه ... فتناولته واتّقتنا باليد (3)
ولقوله: «وقلن لها سرّا فديناك لا يرح» خبر، وهو ما أخبرنا به أبو الحسن عليّ بن محمد الكاتب قال حدّثني محمد بن يحيى الصولىّ قال حدثنى الباقطانىّ قال: اتصل بعبيد الله بن سليمان بن وهب أمر عليّ بن العباس الرومىّ وكثرة مجالسته لأبى الحسين القاسم ابنه، وسمع شيئا من أهاجيه، فقال لأبى الحسين: قد أحببت أن أرى ابن روميّك هذا؛ فدخل يوما عبيد الله إلى أبى الحسين وابن الرومىّ عنده، فاستنشده من شعره فأنشده، وخاطبه، فرآه مضطرب العقل جاهلا، فقال لأبى الحسين- بينه وبينه-: إنّ لسان هذا أطول من عقله، ومن هذه صورته لا تؤمن عقاربه عند أول عتب، ولا يفكّر فى عاقبة، فأخرجه عنك، فقال: أخاف حينئذ أن يعلن ما يكتمه فى دولتنا، ويذيعه فى تمكّننا، فقال: يا بنيّ/ لم أرد بإخراجك له طرده، فاستعمل فيه بيت أبى حيّه النّميرىّ:
فقلنا: لها سرّا فديناك! لا يرح ... صحيحا، فإن لم تقتليه فألمى

(1) مخماص الوشاحين، كناية عن أنها هيفاء. والوشاح: أديم عريض ترصعه المرأة بالجواهر وتشده على عاتقيها. ومشيها إلى الروح؛ أى حين تخرج من خبائها تطلب الروح. وأفنان: جمع فن؛ أى أنواع؛

وفى ت: «إقتار خطا المتجشم».
(2) ألمى: اشرعى فى مبادئ قتله.
(3) ديوانه: 30؛ والنصيف:
الخمار، أو نصفه.

فحدّث القاسم بن فراس بما جرى، وكان أعدى النّاس لابن الرومىّ؛ وقد هجاه بأهاج (1) قبيحة، فقال له الوزير أعزّه الله: أشار بأن يغتال حتى يستراح منه وأنا أكفيك ذلك قال: فسمّه فى الخشكنانج، فمات.
قال الباقطانىّ: والناس يقولون ما قتله ابن فراس، وإنما قتله عبيد الله (2).
وذكر محمد بن يزيد المبرّد قال: مما يفضّل لتخلّصه من التكلّف، وسلامته من التزيد وبعده من الاستعانة قول أبى حيّة:
رمتنى- وستر الله بينى وبينها- ... عشيّة آرام الكناس رميم (3)
ألا ربّ يوم لو رمتنى رميتها، ... ولكنّ عهدى بالنّضال قديم (4)
قال سيدنا أدام الله علوّه: وقد روى هذان البيتان لنصيب فى غير رواية المبرّد. قال المبرّد يقول: رمتنى وأصابتنى بمحاسنها، ولو كنت شابا لرميت كما رميت، وفتنت كما فتنت؛ ولكن عهدى قد تطاول بالشباب، وهذا كلام واضح؛ وأما الاستعانة فهى أن يدخل فى الكلام ما لا حاجة بالمستمع إليه ليصحّح نظما أو وزنا (5).
ومما يختار من قول أبى حيّة أيضا:

---

(1) حاشية الأصل: «يقال بينهم أهجوة وأهجية، والجمع الأهاجى، وقد يخفف كالأثافى».
(2) فى ت: «قال ابن الرومى لما رجع، وقد دب السم فى أعضائه:
أشرب الماء إذا ما التهبت ... نار أحشائى لإطفاء اللهب
فأراه زائدا فى حرقتى ... فكأن الماء للنّار حطب.
(3) الكامل- بشرح المرصفى 1: 129 - 130، وهما أيضا فى الحماسة- بشرح التبريزى 3: 269 - 270 وآرام: جمع إرم، مثل عنب؛ وهى الحجارة تنصب علما فى المفازة يهتدى بها. رميم: اسم امرأة. وستر الله: الإسلام، وقيل الشيب؛ وقيل ما حرم الله عليهما.
(4) ومن زيادات الكامل بعد هذا البيت:
يرى الناس أنّى قد سلوت وإننى ... لمرمىّ أحناء الضلوع سقيم.
(5) بقية عبارة المبرد: « .. ، إن كان فى شعر، أو ليتذكر به ما بعده إن كان فى كلام منثور».

ألا حيّ من أجل الحبيب المغانيا ... لبسن البلى ممّا لبسن اللّياليا (1)
إذا ما تقاضى المرء يوم وليلة ... تقاضاه شيء لا يملّ التّقاضيا
ويقال: إن أحسن ما وصف به المسواك قول أبي حيّة:
لقد طالما عنّيت راحلة الصّبا ... وعلّلت شيطان الغوىّ المشوّق (2)
وداويت قرح القلب منهنّ بالمنى ... وباللحظ- لو يبذلنه- المتسرّق
وساقينني كأس الهوى وسقيتها ... رقاق الثّنايا عذبة المتريّق (3)
وخمصانة تفترّ عن متنضّد ... كنور الأقاحي طيّب المتذوّق
/- ويروى: «عن متنسّق»، يعني ثغرا على نسق واحد لا اختلاف فيه-
إذا مضغت بعد امتناع من الضّحى ... أنابيب من عود الأراك المخلّق
- الامتناع: الارتفاع، يقال متع النهار وأمتع إذا طال- والمخلّق: الّذي علق به الخلوق والطيب من يدها؛ وقال بعضهم: عنى بالمخلّق المملّس-
سقت شعث المسواك ماء غمامة ... فضيضا بخرطوم المدام المروّق (4)
- والفضيض: الّذي حين سال من الغمامة، أى كما فضّ (5)، والخرطوم: سلاف الخمر، وهو أول ما يخرج من غير عصر ولا دوس-
وإن ذقت فاها بعد ما سقط النّدى ... بعطفي بخنداة رداح المنطّق
- البنخنداة: الضخمة. والرّداح: العظيمة الأرداف.
شممت العرار الطّلّ غبّ هميمة ... ونور الخزامى في النّدى المترقرق (6)

---

(1) الكامل- بشرح المرصفى 3: 25.
(2) زهر الآداب: 227 (طبعة الحلى)، شرح المختار من شعر بشار: 238.
(3) حاشية ت: «راق السراب يريق ريقا، وتريق، إذا لمع؛ كأنه قال: عذبة موضع التريق. ويجوز أن يكون مشتقا من الريق الّذي هو الرضاب؛ أى عذبة مترشف الريق».
(4) حاشية الأصل (من نسخة): «بخرطوم المدام المروق».
(5) كما فض؛ أى كما تفرق من السحابة؛ ولم تصل إليه غبرة.
(6) حاشية الأصل (من نسخة): «ونور الأقاحى».

- العرار: بهار البرّ، والطّل: الغضّ الطرىّ، والهميمة: مطر ليّن (1):
وأخبرنا المرزبانىّ قال حدثني عليّ بن هارون بن عليّ قال: سمعت أبي- وقد ذكر قول أبي حيّة:
نظرت كأنّى من وراء زجاجة ... إلى الدّار من فرط الصّبابة أنظر (2)
بعينين طورا تغرقان من البكا ... فأعشى، وطورا تحسران فأبصر (3)
فقال: لو اعترضني مملّك تجب طاعته، ويلزم الانقياد لأمره فقال: أىّ شعر أجود وأولى بأن يستحسن؟ ولم يفسح لى فى أن أميّز المدح من الفخر، والهجاء من التشبيب، وسائر أصناف الشعر

ومذاهب الشعراء فيه لما
عدلت عن هذين البيتين.
ويقال إن أبا أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر أجاز بيتى أبى حية هذين بقوله:
فلا مقلتى من غامر الماء تنجلى ... ولا دمعتى من مكمد الوجد تقطر (4)
ولأبى حية:
من المبكيات الجلد حتّى كأنما ... تسحّ بعينيه الدّموع شعيب
- الشّعيب: مزادة من أديمين، يشعب (5) أحدهما بالآخر-

---

(1) حاشية الأصل: «فى نسخة س: أخبرنا البارع أبو عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الوهاب البغدادى رحمه الله قال: أخبرنى الرئيس الحسن بن على بن محمد بن بارى الواسطى رحمه الله قال: كنا عند الملك العزيز فى مجلس أنسه، وأنشد منشد بيتى أبى حية: «إذا مضغت ... »، والّذي يليه، فسألنى الملك العزيز أن أجيزهما فقلت:
هنيئا على رغمى لعود أراكة ... تسوك به الذّلفاء مبسمها العذبا
لئن شفيت منه لقد زان ثغرها ... أراكا يبيسا، وانثنى مندلا رطبا.
(2) أمالى القالى 1: 208 بلا عزو. وفى ت: «من ماء الصبابة».
(3) حاشية الأصل (من نسخة): «فعيناى طورا». وتحسران، أى تنقشعان وتنكشفان.
(4) حاشية ت من نسخة): «من مكمد الشوق تقطر»، وفى حاشيتى الأصل، ف: «فى الأصل: بين البيت والبيتين بعيد».
(5) يشعب: يخاط. ويسح: يصب.

/ ليالى أهلانا جميعا وحولنا (1) ... سوائم منها رائح وغريب
وإذ يتجنّين الذّنوب وما لنا ... إليهنّ [إلّا ودّهنّ ذنوب] (2)
ولأبى حيّة:
أصدّ عن البيت الحبيب وإنّنى ... لأصغى إلى البيت الّذي أتجنّب
أزور بيوتا غيره ولأهله ... على ما عدا عنهم أعزّ وأقرب
وقطّع أسباب المودّة معشر ... غضابى، وهل فى أحسن القول مغضب (3)!
وألّا تنى يا أمّ عمرو نميمة (4) ... تدبّ بها بينى وبينك عقرب
وما بيننا لو أنّه كان عالما ... بذاك الألى يولون ما يترتّب (5)
حديث إذا لم تخش عينا كأنّه ... إذا ساقطته الشّهد، بل هو أطيب
لو انّك تستشفى به بعد سكرة ... من الموت كانت سكرة الموت تذهب (6)
وقلت لها: ما تأمرين؟ فإنّنى ... أرى البين أدنى روعة تترقب (7)
قال محمد بن يحيى الصولىّ: ولا أحسبه فى قوله:

* لو انّك تستشفى به بعد سكرة*
إلّا تبع قول توبة بن الحميّر:
ولو أنّ ليلى الأخيليّة سلّمت ... عليّ، ودونى جندل وصفائح (8)
لسلّمت تسليم البشاشة، أو زقا ... إليها صدى من جانب القبر صائح

(1) حاشية ت (من نسخة): «أهلانا جميع»، .
(2) من نسخة بحواشى الأصل، ت، ف: «لولا ودهن ذنوب».
(3) من نسخة بحاشيتى ت، الأصل: «يقطع أسباب المودة»، وفى د «غضاب».
(4) حاشية ت: «قوله: «وأ لا تنى: عطف على معشر».
(5) حاشية ت: «يولون:
يحلقون علينا» ومن نسخة بحاشية الأصل: «يؤذون».
(6) من نسخة بحاشيتى الأصل، ت:
«كادت سكرة الموت».
(7) فى حاشيتى الأصل، ت (من نسخة): «ما تأمرينى».
(8) ديوان الحماسة- بشرح التبريزى 3: 217. الصفائح: الحجارة العراض تكون على القبور.

قال سيدنا أدام الله علوّه: وأوّل من سبق إلى هذا المعنى فأحسن الأعشى فى قوله:
عهدى بها فى الحىّ قد درّعت ... صفراء مثل المهرة الضّامر (1)
لو أسندت ميتا إلى نحرها ... عاش ولم ينقل إلى قابر
حتّى يقول النّاس ممّا رأوا ... يا عجبا للميّت النّاشر!
ومعنى الناشر: المنشور، يقال: نشر الله الميت فنشر، وهو ناشر بمعنى منشور؛ مثل ماء دافق فهو مدفوق.
وقال بعض أصحاب المعانى: إنّ الجارية التى وصفها أيضا هى ميتة بمعنى أنها ستموت، فيكون المعنى: إن الناس عجبوا من أن يكون من يموت ينشر الموتى، ومن قال هذا أجاز: نشر الله الموتى/ بمعنى أنشر؛ والقول الأول أظهر، وما نظن الأعشى عنى غيره.

(1) ديوانه 104 - 105، وفى حاشية الأصل: (من نسخة): «قد روعت»، وفى حاشية ت (من نسخة): «قد أبرزت»، وفى الديوان: «قد سربلت».

34 مجلس آخر «*» [المجلس الرابع والثلاثون:]
تأويل [قوله تعالى: لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ... :]
إن سأل سائل عن قوله تعالى: لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ؛ [يوسف: 92]، حاكيا عن يوسف عليه السلام.
فقال: لم خصّ «اليوم» بالقول، وإنما أراد العفو عنهم فى جميع مستقبل أوقاتهم؟
الجواب، قلنا: فى هذه الآية وجوه أربعة:
أولها أنه لما كان هذا الوقت الّذي أشار إليه (1) هو أوّل أوقاته التى كشف فيها نفسه، وأطلعهم على ما كان يستره (2) عنهم من أمره؛ أشار إلى الوقت الّذي لو أراد الانتقام لابتدأ به فيه؛ والّذي متى عفا فيه عنهم (3) لم يراجع الانتقام.
وثانيها أنّ يوسف عليه السلام لما قدّم توبيخهم، وعدّد عليهم قبيح ما فعلوه، وعظيم ما ارتكبوه؛ وهو مع ذلك يستر عليهم (4) نفسه، ولا يفصح لهم بحاله قال لهم عند تبين أمرهم: لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ؛ أى قد انقطع عنكم توبيخى، ومضى عذلى ولائمتى عند اعترافكم بالذنب، وكان ذكر «اليوم» دلالة على انقطاع المعاقبة والتوبيخ؛ وعلى أنّ الأوقات المتصلة باليوم تجرى مجراه فى زوال الغضب، وتمام العفو، وسقوط المواقفة لهم على ما سلف منهم.
وثالثها أنّ ذكر «اليوم» المراد به الزمان والحين، فوضع «اليوم» موضع الزّمان كلّه، المشتمل على الليالى والأيام والشهور والسنين؛ كما يقول العربى لغيره: قد كنت تستحسن شرب الخمر فاليوم قد وفّقت لتركها ومقتها؛ يريد فى هذا الزمان، ولا يريد يوما واحدا بعينه؛ ومثله:

---

* فى الأصل: «هذا المجلس نصف الكتاب».
(1) ت: «أشار الله إليه».
(2) حاشية ت (من نسخة): «ستره».
(3) ساقطة من ت.
(4) ت: «عنهم».

قد كنت تقصّر فى الجواب عن فنون العلم فاليوم ما تعجزك مسألة، ولا تتوقّف عن مشكلة؛ يريد باليوم باقى الزمان كله، وقال امرؤ القيس:
حلّت لى الخمر وكنت امرأ ... عن شربها فى شغل شاغل (1)
فاليوم فاشرب غير مستحقب ... إثما من الله ولا واغل (2)
لم يقصد يوما بعينه؛ ومثله:
/ اليوم يرحمنا من كان يغبطنا ... واليوم نتبع من كانوا لنا تبعا
وقال لبيد:
وما النّاس إلّا كالدّيار وأهلها ... بها يوم حلّوها، وغدوا بلاقع (3)

كل ذلك لا يراد بذكر اليوم أو الغد فيه إلا جميع الأوقات المستقبلة.
ورابعها أن يكون المراد: لا تثريب عليكم البتّة، ثم قال: الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ؛ فتعلّق «اليوم» بالغفران، وكان المعنى غفر الله لكم اليوم (4).
وقد ضعّف قوم هذا الجواب من جهة أن الدعاء لا ينصب ما قبله.
فأما التثريب فإن أبا عبيدة قال: معناه لا شغب ولا معاقبة ولا إفساد (5).
وقال الشاعر:
فعفوت عنهم عفو غير مثرّب ... وتركتهم لعقاب يوم سرمد

---

(1) ديوانه: 150. وفى شرح الديوان: «كان حلف ألا يشرب خمرا، ولا يأكل لحما، ولا يغسل رأسا؛ حتى يدرك بثأر أبيه؛ وكذلك كانت العرب تفعل؛ فلما أخذ بثأر أبيه شربها فبرت يمينه».
(2) حاشية ت (من نسخة): «أشرب» بسكون الباء؛ ورواية الديوان:
* فاليوم أسقى غير مستحقب*
المستحقب: المكتسب للإثم الحامل له. والواغل: الّذي يدخل على القوم وهم يشربون فيشرب معهم من غير دعوة.
(3) ديوانه 2: 22.
(4) حواشى الأصل، ت، ف: «لم لا يكون إخبارا محضا بالغفران حتى لا يعترض بذلك! وله وجه آخر وهو أن المعنى: اليوم أقول لكم هذا القول الّذي هو يغفر الله لكم فاختصر».
(5) حاشية ت (من نسخة): «فساد».

وقال أبو العباس ثعلب: يقال: ثرّب فلان على فلان إذا عدّد عليه ذنوبه. وقال بعضهم (1): التثريب مأخوذ من لفظ الثّرب، وهو شحم الجوف، فكأنّه موضوع للمبالغة فى اللوم والتعنيف والتقصّى إلى أبعد غايتهما (2).

تأويل خبر [: تأويل ما ورد فى حديث نهى النبي عليه السلام عن كسب الزمارة]
روى أبو عبيد القاسم بن سلّام عن حجّاج عن حماد بن سلمة عن هشام بن حسان، وحبيب بن الشّهيد عن ابن سيرين عن أبى هريرة أن النبي صلى الله عليه وآله نهى عن كسب الزّمّارة.
وقال أبو عبيد: قال حجّاج: الزّمّارة الزانية، وقال: هذا مثل حديثه الآخر أنه نهى عن كسب البغىّ.
وقال أبو عبيد: وقال غير حجّاج: هى الرّمازة، بتقديم الراء، قال: وقول حجّاج أثبت عندنا؛ لأنهم كانوا يكرهون إماءهم على البغاء، فأنزل الله تعالى: وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً؛ لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَياةِ الدُّنْيا [النور: 33]، قال: فالعرض هو كسب البغىّ الّذي نهى النبي صلى الله عليه وآله عنه.
قال أبو عبيد: ولا أعلم ممّ أخذت «الزّمارة»؛ غير أنى وجدتها مفسّرة فى الحديث.

وقال ابن قتيبة: الأمر على ما ذكر أبو عبيد، إلا ما أنكره على من زعم أنها الرّمازة؛ لأن الرّمازة هى الفاجرة، سميّت بذلك لأنها ترمز، أى تومئ بعينيها وحاجبيها وشفتيها.
قال الفرّاء: وأكثر الرّمز بالشّفتين، ومنه قوله تعالى: آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزاً [آل عمران: 41]، فالرّمازة صفة من صفات الفاجرة، / ثم صار اسما لها أو كالاسم؛ ولذلك قيل لها: هلوك؛ لأنها تتهالك على الفراش، أو على الرجل، ثم صار اسما لها دون غيرها من النساء، وإن تهالكت على زوجها، وقيل لها خريع،

(1) م: «وهو ابن مسلم».
(2) حاشية الأصل (من نسخة): «غاياتها».

للينها وتثنّيها، ثم صار ذلك اسما لها دون غيرها من النساء؛ وإن لانت وتثنّت؛ ونحوه قولهم للبعير: أعلم؛ للشّقّ فى مشفره الأعلى ثم صار كالاسم له؛ وكذلك قولهم للذئب: أزلّ أرسح (1)، ثم صار كالاسم له، والمريبة لا تكاد تعلن بالكلام، إنما تومض (2) أو ترمز أو تصفر، قال الشاعر:
رمزت إلى مخافة من بعلها ... من غير أن يبدو هناك كلامها
وقال الأخطل:
أحاديث سدّاها ابن حدراء فرقد ... ورمّازة مالت لمن يستميلها (3)
وقال الراجز:
يومئن بالأعين والحواجب ... إيماض برق فى عماء ناضب (4)
– والعماء: السحاب، والناضب: البعيد–
وقال بعضهم: إنما قيل للفاجرة قحبة، من القحاب وهو السّعال؛ قال: وأحسبه أراد أنها تتنحنح أو تسعل ترمز بذلك.
قال: وبلغنى عن المفضّل أنه كان يقول فى قول الناس: «أجبن من صافر» (5) أنه الرجل يصفر للفاجرة، فهو يخاف كل شيء.
وأما الأصمعىّ فإنه كان يقول: الصافر ما يصفر من الطير، وإنما وصف بالجبن لأنه ليس من الجوارح.
قال ابن قتيبة: ولا أرى القول إلا قول المفضّل، والدليل على ذلك قول الكميت بن زيد الأسدىّ:

(1) الأزل: الخفيف الوركين. والأرسح: القليل لحم العجز.
(2) تومض، أى تعرض نفسها.
(3) ديوانه: 241، واللسان (رمز) والحدراء: الممتلئة الفخذ والعجز.
(4) البيتان فى اللسان (زمر)، والرواية فيه: «يومضن بالأعين ... ».
(5) المثل فى مجمع الأمثال للميدانى 1: 168؛ وروى عن ابن حبيب أن الصافر طائر يتعلق من الشجر برجليه، وينكس رأسه، خوفا من أن ينام فيؤخذ فيصفر منكوسا طول ليلته.

أرجو لكم أن تكونوا فى إخائكم ... كلبا كورهاء تقلى كلّ صفّار (1)
لمّا أجابت صفيرا كان آيتها ... من قابس شيّط الوجعاء بالنّار (2)
وهذه امرأة كان يصفر لها رجل فتجيبه، فتمثّل زوجها به وصفر لها، فأتته فشيّطها بميسم، فلما أعاد الصّفر (3) قالت: «قد قلينا كلّ صفّار (4)»، تريد أنا قد عففنا (5) واطّرحنا كلّ فاجر.
قال أبو بكر محمد بن القاسم الأنبارىّ: والاختيار عندى: «الزّمارة» معجمة الزاى على ما قال أبو عبيد، لحجج ثلاث:
/ إحداهنّ إجماع أهل الحديث على الزّمارة.
والحجة الثانية أن الفاجرة سميت زمارة، لأنها تحسّن نفسها وكلامها، والزمر عند العرب الحسن، قال عمرو بن أحمر الباهلىّ يصف شرابا وغناء:
دنّان حنّانان بينهما ... رجل أجشّ غناؤه زمر (6)
قال الأصمعىّ: معناه غناؤه حسن؛ كأنه من مزامير داود.
والحجة الثالثة أنهم سمّوا الفاجرة زمّارة، لمهانتها وقلة ما فيها من الخير؛ من قول العرب (7):
نعجة زمرة؛ إذا كانت قليلة الصوف، ويقال: رجل زمر المروءة، إذا كان قليلها، قال ابن أحمر:
مطلنفئا لون الحصى لونه ... يحجز عنه الذّرّ ريش زمر (8)

---

(1) البيتان فى مجمع الأمثال 2: 40، والثانى فى اللسان (شيط). الورهاء: الحمقاء.
(2) شيط: أحرق. والوجعاء: الدبر.
(3) ت: «الصفير».
(4) المثل فى مجمع الأمثال 2: 40، والرواية فيه: «قد قلينا صفيركم».
(5) حاشية الأصل (من نسخة): «عققنا».
(6) البيت فى اللسان (زمر)، وفى ت، ف، وحاشية الأصل (من نسخة): «زجل». والزجل: عود أو معزفة.
(7) م: «من قولهم».
(8) حواشى الأصل، ت، ف: «يصف فرخ القطاة؛ وقبله:
تروى لقى ألقى فى مهمه ... تصهره الشّمس فما ينصهر.

المطلنفئ: اللاصق بالأرض، والذرّ: النمل، والزّمر: القليل، فسمّى البغىّ (1) زمّارة، على وجه الذم لها والتصغير لشأنها؛ كما قيل لها: فاجرة لميلها عن القصد، يقال: فجر الرجل إذا مال، قال لبيد:
فإن تتقدّم تغش منها مقدّما ... غليظا، وإن أخّرت فالكفل فاجر (2)

أى مائل، والكفل: كساء يوضع على ظهر البعير يوقّى من العرق.
قال سيدنا أدام الله علوّه: ولا أرى لإحدى الروايتين على الأخرى رجحانا؛ لأنّ كلّ واحدة منهما قد أتت من جهة من يسكن إلى قوله، ولكلّ منهما مخرج فى اللغة، وتأويل يرجع إلى معنى واحد؛ لأن الرّمازة، بالراء غير معجمة يرجع معناها على ما ذكر ابن قتيبة إلى معنى الفجور، ومن رواها بالزاى المعجمة فالمرجع فى معناها إلى ذلك أيضا على الوجهين اللذين ذكرهما ابن الأنبارىّ، والأولى أن يثبتا (3) متساويين، ويكون الراوى مخيّرا فيهما.

*** [أبيات للمضرّب بن كعب بن زهير:]
أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزبانىّ قال أنشدنى محمد بن أحمد الكاتب قال أنشدنا أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابىّ للمضرّب (4)؛ وهو عقبة بن كعب بن زهير بن أبى سلمى:

---

(1) ف، ومن نسخة بحاشيتى الأصل، ت: «فسميت البغى».
(2) ديوانه 1: 5، ومن نسخة فى حواشى الأصل، ت، ف: «أخرت»: بالبناء للمجهول.
وفيها أيضا: «قبله:
فأصبحت أنّى تأتها تبتئس بها ... كلا مركبيها تحت رحلك شاجر
تأتها، أى تأت هذه الخصلة والحالة، وقال الجوهرى: «الكفل هو ما اكتفل به الراكب، وهو أن يدار الكساء حول سنام البعير ثم يركب؛ ومنه قول إبراهيم: لا تشربوا من ثلمة الإناء ولا من عروته؛ فإنه كفل الشيطان؛ وإبراهيم هو التيمى».
(3) حاشية الأصل (من نسخة): «أن يكونا».
(4) ذكره المرزباني فى المؤتلف والمختلف: 281؛ وضبطه صاحب تاج العروس فى مستدرك-

وما زلت أرجو نفع سلمى وودّها ... وتبعد؛ حتّى ابيضّ منى المسائح (1)
وحتّى رأيت الشّخص يزداد مثله (2) ... إليه؛ وحتّى نصف رأسى واضح
/ علا حاجبىّ الشّيب حتى كأنّه ... ظباء جرت منها سنيح وبارح (3)
وهزّة أظعان عليهنّ بهجة ... طلبت، وريعان الصّبا بي جامح (4)
فلمّا قضينا من منى كلّ حاجة ... ومسّح بالأركان من هو ماسح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا ... وسالت بأعناق المطىّ الأباطح (5)
وشدّت على حدب المهارى رحالها ... ولا ينظر الغادى الّذي هو رائح (6)
قفلنا على الخوص المراسيل، وارتمت ... بهنّ الصّحارى والصّفاح الصّحاصح (7)
***

- (ضرب) أنه بوزن «محدث»، «معظم»، وضبط فى اللسان بالكسر فقط، وفى الأصل: بالفتح؛

وهو الأولى لما رواه ابن قتيبة فى الشعراء: 92 أنه «كان لكعب ابن يقال له عقبة بن كعب، شاعر، ولقبه المضرب؛ وذلك أنه شبب بامرأة من بنى أسد فقال:
ولا عيب فيها غير أنّك واجد ... ملاقيها قد ديّثت بركوب
فضربه أخوها مائة ضربة بالسيف، فلم يمت، وأخذ الدية، فسمى المضرب».
(1) ورد البيت الخامس والسادس والسابع من هذه الأبيات فى معاهد التنصيص 2: 134؛ وقال: «وقيل الأبيات لابن الطثرية، وهى مع بيتين تاليين فى زهر الآداب 2: 56 ووردت أيضا فى الشعر والشعراء 11، والصناعتين 59، وأسرار البلاغة 15، وورد الخامس والسادس فى الخصائص 1: 28، 218، وأمالى القالى 3: 166؛ وفيها جميعا من غير عزو مع اختلاف فى الترتيب. ونقلها أيضا صاحب المعاهد بنسبتها وروايتها عن الغرر؛ وهى ضمن 18 بيتا فى ديوان كثير: 77 – 84
والمسامح: شعر جوانب الرأس.
(2) ت، وحاشية الأصل (من نسخة): «مثله»، بفتح اللام.
(3) السنيح والسانح: ما أتاك عن يمينك من ظبى أو طائر أو غير ذلك، والبارح: ما أتاك من ذلك عن يسارك. والسانح: أحسن حالا عندهم فى التيمن من البارح.
(4) يعنى: ورب ظعائن طلبت اهتزازهن وارتياحهن للهو معهن.
(5) أطراف الأحاديث: ما يستطرف منها ويؤثر. والأباطح: جمع أبطح؛ وهو المسيل الواسع، فيه دقاق الحصى.
(6) المهارى: جمع مهرية؛ وهى المنسوبة إلى مهرة من حيوان؛ وهى قبيلة تكثر فيها النجائب. ولا ينظر: لا ينتظر.
(7) الخوص: الإبل الغائرة العيون. والمراسيل: المسرعات.
والصفاح: جمع صفح؛ وهو مضطجع الجبل، والصحاصح: جمع صحح، وهو المكان المستوى الواسع.

وأنشد ابن الأعرابىّ:
فصدّت بعينى شادن وتبسّمت ... بحمّاء عن غرّ لهنّ غروب (1)
جرى الإسحل الأحوى عليهنّ أو جرى ... عليهنّ من فرع الأراك قضيب (2)

*** [موازنة بين قول الرشيد: «قلب العاشق عليه مع معشوقه»، وقول طائفة من الشعراء]
أخبرنا أبو الحسن علىّ بن محمد الكاتب قال أخبرنى محمد بن يحيى الصولىّ قال حدثنا محمد بن الحسن البلغىّ قال حدثنا أبو حاتم قال: سمعت الأصمعىّ يقول: سمعت الرشيد يقول: قلب العاشق عليه مع معشوقه، فقلت له: هذا والله يا أمير المؤمنين أحسن من قول عروة بن حزام العذرىّ لعفراء:
أرانى تعروني لذكراك روعة ... لها بين جلدى والعظام دبيب (3)
وما هو إلّا أن أراها فجاءة ... فأبهت حتى لا أكاد أجيب (4)

وأصرف عن دارى الّذي كنت أرتئى (5) ... ويعزب عنّى علمه ويغيب
ويضمر قلبى غدرها ويعينها ... عليّ، فما لى فى الفؤاد نصيب
فقال الرشيد: من قال هذا وهما فإنى أقوله علما، ولله درّك يا أصمعيّ! فإنى أجد عندك ما تضلّ عنه العلماء.
قال الصولىّ: فأخذه العباس بن الأحنف فقال:
يهيم بحرّان الجزيرة قلبه ... وفيها غزال فاتر الطّرف ساحره (6)
يؤازره قلبى عليّ وليس لى ... يدان بمن قلبى عليّ يؤازره

---

(1) ف، ومن نسخة بحاشية ت: «تصدت».
(2) الإسحل: شجر تتخذ منه أعواد السواك. والأحوى: الأسمر.
(3) ديوانه: 43 (مخطوطة الشنقيطى بدار الكتب المصرية، والشعر والشعراء 60، وخزانة الأدب 1: 534، و 3: 615 – 617 وفى م: «وإنى لتعروني».
(4) البيت من (شواهد سيبويه 1: 430)، على جواز الرفع والنصب فى «أبهت»، فالنصب محمول على «أن»، والرفع على القطع والاستئناف.
(5) م: «عارفا».
(6) حران: قصبة ديار مضر بالجزيرة، بين الرها والرقة. ومن نسخة بحاشية الأصل: «ساحر الطرف فاتره».

/ وأشار إليه أيضا فى قوله:
قلبى إلى ما ضرّنى داعى ... يكثر أحزانى وأوجاعى (1)
كيف احتراسى من عدوّى إذا ... كان عدوّى بين أضلاعى (2)
وأخذه سهل بن هارون الكاتب فقال:
أعان طرفى على جسمى وأعضائى ... بنظرة وقفت جسمى على دائى
وكنت غرّا بما تجنى عليّ يدى ... لا علم لى أنّ بعضى بعض أعدائى
وقال البحترىّ:
ولست أعجب من عصيان قلبك لى ... يوما إذا كان قلبى فيك يعصينى (3)

*** [أحسن ما قيل من الشعر فى صفة امرأة عجزاء خميصة، عن الأصمعىّ:]
وروى أبو عكرمة الضّبّىّ عن مسعود بن بشر المازنىّ قال: قال لنا الأصمعىّ يوما:
ما أحسن ما قيل فى صفة امرأة عجزاء خميصة (4) فأنشد قول الأعشى:
صفر الوشاحين ملء الدّرع بهكنة ... إذا تأتّى يكاد الخصر ينخزل (5)
وأنشد قول علقمة بن عبدة:

صفر الوشاحين ملء الدّرع خرعبة ... كأنها رشأ فى البيت ملزوم (6)

---

(1) ديوانه: 101، وبعده:
وقلّما أبقى على ما أرى ... يوشك أن ينعى بى الناعى
أسلمنى للوجد أشياعى ... لما سعى به عندهم الساعى.
(2) بعده؛ كما فى الديوان:
ما أقتل اليأس لأهل الهوى ... لا سيّما من بعد أطماع.
(3) ديوانه: 2: 295، وفى حواشى الأصل، ت، ف: «مثله»:
أتطمع أن يطيعك قلب سعدى ... وتزعم أن قلبك قد عصاكا.
(4) م: «خمصانة»، والخميصة والخمصانة: الضامرة البطن.
(5) ديوانه: 42. والمعلقات- بشرح التبريزى: 274. صفر الوشاحين؛ يعنى أنها خميصة البطن دقيقة الخصر، فوشاحها يعلن عنها والبهكنة: الكبيرة الخلق، وتأتى: ترفق فى المشى.
(6) ديوانه: 130. الخرعبة: الناعمة. الرشأ:
الظبى الصغير. ملزوم: مربى فى البيوت؛ وهو أحسن له.

وأنشد قول ذى الرّمة:
ترى خلفها نصفا قناة قويمة ... ونصفا نقا يرتجّ أو يتمرمر (1)
فقال: أحسن ما قيل فيه قول أبى وجزة السّعديّ:
أدماء فى وضح يكاد إزارها (2) ... يقوى (3) ويشبع ما أحبّ إزارها (4)
قال أبو عكرمة: ومثله قول الحارث بن خالد المخزومىّ:
غرثان، سمط وشاحها قلق ... ريّان من أردافها المرط

*** [خبر جعفر بن سليمان وحزنه على موت أخيه محمد، واستزواحه لشعر ابن أراكة الثقفى:]
وأخبرنا المرزبانىّ قال حدثنا محمد بن إبراهيم قال حدثنا أبو العيناء قال حدثنى الأصمعىّ قال:
لما مات/ محمد بن سلمان بن علىّ الهاشمىّ دخلت على أخيه جعفر بن سليمان، وقد حزن عليه حزنا شديدا ولم يطعم ثلاثا، فأنشدته لابن أراكة الثّقفىّ (5):
لعمرى لئن أتبعت عينك (6) ما مضى ... من (7) الدّهر أو ساق الحمام إلى القبر
لتستنفدن ماء الشّئون بأسره ... ولو كنت تمريهنّ من ثبج البحر
فقلت لعبد الله إذ خنّ (8) باكيا ... تعزّ، وماء العين منهمر يجرى
تبيّن فإن كان البكا ردّ هالكا ... على أحد فاجهد بكاك على عمرو
ولا تبك ميتا بعد ميت أحبه (9) ... علىّ وعبّاس وآل أبى بكر

---

(1) ديوانه: 226 يتمرمر: يتحرك وهو تحرك دون الارتجاج. وفى د، م: «يترمرم».
(2) ت، ش: «رداؤها» والأدمة هنا: لون أشرب بياضا. والوضح: البياض. وفى م: «أدماء عيطلة».
(3) الإقواء فى الأصل: نفاد الزاد؛ ويريد هنا دقة خصرها وفى س: «لعله: يقوى وشاحها»: .
(4) من نسخة بحاشيتى الأصل، ت: «ما أجن إزارها»، وفيهما أيضا: «أحب، فعل الإزار؛ أى يشبع إزارها ما أحب، أى ما شاء».
(5) الخبر والأبيات فى حماسة ابن الشجرى: 138 – 139، بروايته عن ابن قدامة عن المرتضى؛ مع اختلاف فى ترتيب الأبيات؛ وهى أيضا فى
أمالى الزجاجى: 7.
(6) حاشية ت (من نسخة) «عينك»؛ وهى رواية ابن الشجرى.
(7) ت: «به الدهر»؛ وهى رواية ابن الشجرى.
(8) ت: «حن»، ومن نسخة بحاشيتها: «خر».
(9) ت: «أجنه».

قال: فأمر فجئ بالطعام فأكل من ساعته.
قوله: «خن باكيا» معناه رفع صوته بالبكاء، وقال قوم: الخنين، بالخاء معجمة من الأنف، والحنين من الصّدر، وهو صوت يخرج من كلّ واحد منهما.

*** [لطف الأصمعىّ بإنشاده شعر ابن هرمة عند إسماعيل بن جعفر، وقضاء حاجته عنده بسبب ذلك:]
وأخبرنا المرزبانىّ قال حدثنا محمد بن العباس قال حدثنا محمد بن يزيد النحوىّ قال:
سمعت التّوزيّ يقول: دخلنا مع الأصمعىّ إلى إسماعيل بن جعفر ليلة فى حاجة، فأنشده الأصمعىّ أبيات ابن هرمة:
أتيناك نزجى حاجة ووسيلة ... إليك، وقد تحظى لديك الوسائل (1)
ونذكر ودّا شدّه الله بيننا ... على الدّهر لم تدبب إليه الغوائل (2)
فأقسم ما أكبى زنادك قادح ... ولا أكذبت فيك الرّجاء القوابل (3)
ولا رجعت ذا حاجة عنك علّة ... ولا عاق خيرا عاجلا منك آجل (4)
ولا لام فيك الباذل الوجه نفسه ... ولا احتكمت فى الجود منك المباخل (5)
لم يزد على هذه الأبيات، فقضى حاجته وأجاب مسألته.
قال سيدنا أدام الله علوّه: ويشبه أن يكون ابن هرمة أخذ قوله:
* ولا كذبت فيك الرّجاء القوابل*
من قول الحزين الكنانىّ فى زيد بن عليّ بن الحسين عليهم السلام:

فلما (6) تردّى بالحمائل وانثنى ... يصول بأطراف القنىّ الذّوابل (7)
/ تبيّنت الأعداء أنّ سنانه ... يطيل حنين الأمّهات الثّواكل

---

(1) من نسخة بحاشيتى الأصل، ف: «نرجو حاجة».
(2) حاشية ت (من نسخة): «العواذل».
(3) ما أكبى زنادك، أى ما وجد كابيا.
(4) حاشية ت (من نسخة: «عنك آجل».
(5) حاشية الأصل (من نسخة): «عنك المباخل».
(6) حاشية ت (من نسخة): «إذا ما تردى».
(7) وفى م: «القنا والذوابل».

تبيّن فيه ميسم العزّ والتّقى ... وليدا يفدّى بين أيدى القوابل

*** [أبيات لبشر بن خازم فى الاعتذار، رواها الأصمعىّ للرشيد:]
وأخبرنا عليّ بن محمد الكاتب قال أخبرنى محمد بن يحيى الصولىّ قال حدثنى محمد بن الحسن البلغيّ قال حدثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال: قال الرشيد يوما: يا أصمعيّ، أتعرف للعرب اعتذارا وندما؟ ودع النابغة فإنه يحتج ويعتذر، فقلت: ما أعرف ذلك إلّا لبشر بن أبى خازم الأسدىّ؛ فإنه هجا أوس بن حارثة بن لأم، فأسره بعد ذلك وأراد قتله، فقالت له أمه- وكانت ذات رأى-: والله لا محا هجاءه لك إلّا مدحه إياك، فعفا عنه، فقال بشر (1):
إنى على ما كان منى لنادم ... وإنى إلى أوس بن لأم لتائب
وإنى إلى أوس ليقبل توبتى ... ويعرف ودّى ما حييت لراغب
فهب لى حياتى فالحياة لقائم ... يسرّك فيها خير ما أنت واهب
سأمحو بمدحى (2) فيك إذ أنا صادق ... كتاب هجاء سار إذ أنا كاذب
فقال الرشيد للأصمعىّ: إن دولتى لتحسن ببقائك فيها.
*** وأخبرنا عليّ بن محمد الكاتب قال حدثنا ابن دريد قال حدثنا عبد الرحمن- يعنى ابن أخى الأصمعىّ- عن عمه قال: سمعت بيتين لم أحفل بهما، ثم قال: قلت: هما على كلّ حال خير من موضعهما من الكتاب، قال: فإنى عند الرشيد يوما وعنده عيسى بن جعفر، فأقبل عليّ مسرور الكبير، فقال: يا مسرور، كم فى بيت مال السرور؟ فقال: ما فيه شيء، قال عيسى: هذا بيت مال الحزن، فاغتمّ لذلك الرشيد، وأقبل على عيسى فقال: والله لتعطينّ الأصمعىّ سلفا على بيت مال السرور ألف دينار، فوجم عيسى وانكسر، فقلت فى نفسى:
جاء موقع (3) البيتين، وأنشدت الرشيد:

---

(1) تنسب إلى الأعشى؛ وهى فى ملحقات ديوانه: 236.
(2) ت، ف، ونسخة بحاشية الأصل: «بمدح».
(3) ف، ونسخة بحاشيتى الأصل: ت: «موضع».

(1/463)

إذا شئت أن تلقى أخاك معبّسا ... وجدّاه فى الماضين كعب وحاتم
فكشّفه عمّا فى يديه فإنما ... تكشّف أخبار الرّجال الدّراهم (1)
قال: فتجلّى عن الرشيد وقال لمسرور: أعطه على بيت مال السرور ألفى دينار، فأخذت بالبيتين ألفى دينار، وما كانا يساويان عندى درهمين (2)!

---

(1) من نسخة بحواشى الاصل، ت، ف: «احوال الرجال».
(2) بهذا المجلس ينتهى الجزء الأول- وهو ما لدينا من نسخة ت- وجاء فى آخره: «تم نصف الكتاب بحمد الله ومنه وفضله وحوله وطوله، ويتلوه فى الجزء الثانى أوله: مجلس آخر، تأويل آية؛ إن سأل سائل عن قوله تعالى: خُلِقَ الْإِنْسانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آياتِي فَلا تَسْتَعْجِلُونِ، إن شاء الله والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله والطاهرين وسلم».

(1/464)

35 مجلس آخر [المجلس الخامس والثلاثون:]

تأويل آية [خُلِقَ الْإِنْسانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آياتِي فَلا تَسْتَعْجِلُونِ:]

إن سأل سائل عن تأويل قوله تعالى: خُلِقَ الْإِنْسانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آياتِي فَلا تَسْتَعْجِلُونِ؛ [الأنبياء: 27].

الجواب، قيل له: قد ذكر فى هذه الآية وجوه من التأويل نحن نذكرها، ونرجّح الأرجح منها:

أوّلها أن يكون معنى القول المبالغة فى وصف الإنسان بكثرة العجلة، وأنه شديد الاستعجال لما يؤثره من الأمور، لهج باستدناء ما يجلب (1) إليه نفعا، أو يدفع عنه ضررا؛ ولهم عادة فى استعمال مثل هذه اللفظة عند المبالغة؛ كقولهم لمن يصفونه بكثرة النوم: ما خلقت إلّا من نوم، وما خلق فلان إلّا من شر؛ إذا أرادوا كثرة وقوع الشرّ منه؛ وربما قالوا: ما أنت إلّا أكل وشرب، وما أشبه ذلك، قالت الخنساء تصف بقرة (2):

ترتع ما غفلت حتّى إذا ادّكرت ... فإنما هى إقبال وإدبار (3)

وإنما أرادت ما ذكرناه من كثرة وقوع الإقبال والإدبار منها.

ويشهد لهذا التأويل قوله تعالى فى موضع آخر: وَكانَ الْإِنْسانُ عَجُولًا، [الإسراء: 11]، ويطابقه أيضا قوله تعالى: فَلا تَسْتَعْجِلُونِ؛ لأنه وصفهم بكثرة العجلة وأنّ من شأنهم فعلها، توبيخا لهم وتقريعا، ثم

نهاهم عن الاستعجال باستدعاء الآيات من

(1) حاشية ف (من نسخة): «ماجر».
(2) من نسخة بحاشيتى الأصل، ف: «نافة».
(3) ديوانها: 38، واللسان (سوا)؛ وفى ف، وحاشية الأصل (من نسخة): «ما رتعت»؛ وهى رواية الديوان.

حيث كانوا متمكّنين من مفارقة طريقتهم فى الاستعجال، وقادرين على التثبّت والتأيّد.
وثانيها ما أجاب به أبو عبيدة وقطرب بن المستنير وغيرهما من أنّ فى الكلام قلبا، والمعنى: خلق العجل من الإنسان، واستشهد على ذلك بقوله تعالى: وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ؛ [آل عمران: 40]، أى قد بلغت الكبر، وبقوله تعالى: ما إِنَّ مَفاتِحَهُ لَتَنُوأُ بِالْعُصْبَةِ؛ [القصص: 76]، والمعنى: إن العصبة تنوء بها، وتقول العرب: عرضت الناقة على الحوض، وإنما هو عرضت الحوض على الناقة، وقولهم: إذا طلعت الشّعرى استوى العود على الحرباء؛ يريدون استوى الحرباء على العود؛ وبقول الأعشى:
/ لمحقوقة أن تستجيبى لصوته ... وأن تعلمى أنّ المعان موفّق (1)
يريد أن الموفّق معان.
وبقول الآخر:
على العيارات هدّاجون قد بلغت ... نجران، أو بلغت سوءاتهم هجر (2)
والمعنى: أنّ السوءات هى التى بلغت هجر.
وبقول خداش بن زهير:
ونركب خيلا لا هوادة بينها ... وتشقى الرّماح بالضياطرة الحمر (3)

(1) ديوانه: 149، وفى حاشيتى الأصل، ف: «قبله:
وإن امرأ أهداك بينى وبينه ... فياف: تنوفات ويهماء خيفق
لمحقوقة ... البيت؛ يخاطب ناقة أهديت له، فيقول لها: أنت محقوقة بأن تستجيبى لصوته. تنوفات: جمع تنوفة؛ وهى المفازة، وخيفق، يخفق فيها الآل».
(2) البيت للأخطل، ديوانه 10، والهدج: مشى فى ارتعاش.
(3) جمهرة الأشعار: 193، واللسان (ضطر). والضياطرة: الضخام الذين لا غناء عندهم؛ وفى اللسان: «قال ابن سيده: يجوز أن يكون عنى أن الرماح تشقى بهم؛ أى أنهم لا يحسنون حملها ولا الطعن بها، ويجوز أن يكون على القلب، أى تشقى الضياطرة الحمر بالرماح؛ يعنى أنهم يقتلون بها والهوادة:
المصالحة والموادعة».

يريد تشقى الضّياطرة بالرماح.
وبقول الآخر:
تمشى به عوذ النّعاج كأنّها ... عذارى ملوك فى بياض ثياب (1)
يريد فى ثياب بيض.
وبقول الآخر:
حسرت كفّى عن السّربال آخذه (2) ... فردا يحزّ على أيدى المفيضينا (3)
يريد حسرت السّربال عن كفّى.
وبقول ابن أحمر:
وجرد طار باطلها نسيلا ... وأحدث قمؤها شعرا قصارا (4)
أراد طار نسيلها باطلا.
وبقول الآخر:
وقسورة أكتافهم فى قسّيهم ... إذا ما مشوا لا يغمزون من النّسا (5)
أى قسيّهم فى أكتافهم.
وبقول الآخر:
* وهنّ من الإخلاف والولعان (6) *
أى الإخلاف والولعان منهن.

---

(1) العوذ: جمع عائذ؛ وهى الحديثة التاج؛ والنعجة هنا: البقرة الوحشية.
(2) من نسخة بحاشيتى الأصل، ف: «آخذة».
(3) حاشية الأصل: «فردا، يعنى القدح». يقال أفاض بالقداح: ضرب بها والبيت لابن مقبل فى الميسر والقداح 141.
(4) اللسان (قمأ).
النسيل: ما ينسل من شعرها وقمؤها: سمنها.
(5) القسورة: الرماة من الصيادين والغمز: الظلع.
(6) البيت فى اللسان (ولع)، وصدره:
* لخلّابة العينين كذّابة المنى*
قال فى اللسان: «أى من أهل الخلف والكذب، وجعلهن من الأخلاف لملازمتهن له».

ويبقى على صاحب هذا الجواب مع التغاضى له عن حمل كلامه تعالى على القلب أن يقال له:
وما المعنى والفائدة فى قوله تعالى: «خلق العجل من الإنسان» أتريدون (1) بذلك أنّ الله تعالى خلق فى إنسان العجلة؟ وهذا لا يجوز؛ لأن العجلة فعل من أفعال الإنسان، فكيف تكون مخلوقة فيه لغيره!
ولو كان كذلك لما جاز أن ينهاهم عن الاستعجال فى الآية فيقول:
سَأُرِيكُمْ آياتِي فَلا تَسْتَعْجِلُونِ، لأنه لا ينهاهم عمّا خلقه فيهم.
فإن قالوا: لم يرد أنه تعالى خلقها؛ لكنه أراد كثرة فعل الإنسان لها؛ وأنه لا يزال/ يستعملها.
قيل لهم: هذا هو الجواب الّذي قدّمناه من غير حاجة إلى القلب والتقديم والتأخير؛ وإذا كان هذا المعنى يتمّ وينتظم على ما ذكرناه من غير قلب فلا حاجة بنا إليه.
وقد ذكر أبو القاسم البلخىّ هذا الجواب فى تفسيره، واختاره وقوّاه، وسأل نفسه عليه فقال: كيف جاز أن يقول: فَلا تَسْتَعْجِلُونِ، وهو خلق العجلة فيهم! وأجاب بأنه قد أعطاهم قدرة على مغالبة طباعهم وكفّها، وقد يكون الإنسان مطبوعا عليها وهو مع ذلك مأمور بالتثبت، قادر على أن يجانب العجلة، وذلك كخلقه فى البشر شهوة النكاح، وأمره فى كثير من الأوقات بالامتناع منه.
وهذا الّذي ذكره البلخىّ تصريح بأن المراد بالعجل غيره، وهو الطبع الداعى إليه، والشهوة المتناولة له، ويجب أيضا أن يكون المراد ب «من» هاهنا «فى»؛ لأن شهوة العجل لا تكون مخلوقة من الإنسان، وإنما تكون فيه. وهذا تجوّز على تجوّز، وتوسّع على توسّع، لأن القلب أوّلا مجاز، ثم هو من بعيد المجاز؛ وذكر العجل والمراد به غيره
مجاز آخر، وإقامة «من» مقام «فى» كذلك؛ على أنه تعالى إذا نهاهم عن العجلة بقوله: فَلا تَسْتَعْجِلُونِ أىّ معنى لتقديم قوله: إنى خلقت شهوة العجلة فيهم، أو الطبع الداعى إليها؛ على ما عبّر به البلخىّ. وهذا إلى أن يكون عذرا لهم أقرب منه إلى أن يكون حجة عليهم؛ وأيسر

(1) حاشية الأصل (من نسخة): «أيريد».

الأحوال ألّا يكون عذرا ولا احتجاجا، فلا يكون لتقديمه معنى.
وفى الجواب الأول حسن تقديم ذلك على طريق الذّم والتوبيخ والتقريع من غير إضافة له إليه عز وجل؛ فالجواب الأول أوضح وأصحّ.
وثالثها جواب روى عن الحسن، قال: يعنى بقوله: مِنْ عَجَلٍ، أى من ضعف، وهى النّطفة المهينة الضّعيفة، وهذا قريب إن كان فى اللغة شاهد على أن العجل يكون عبارة عن الضّعف أو معناه.
ورابعها ما حكى أنّ أبا الحسن الأخفش أجاب به، وهو: أن يكون المراد أنّ الإنسان خلق من تعجيل من الأمر؛ لأنه تعالى قال: إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ إِذا أَرَدْناهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ، [النحل: 40].
فإن قيل: كيف يطابق هذا الجواب قوله من بعد: فَلا تَسْتَعْجِلُونِ؟
قلنا: يمكن أن يكون وجه/ المطابقة أنهم لما استعجلوا بالآيات واستبطئوها أعلمهم تعالى أنه ممن لا يعجزه شيء إذا أراده، ولا يمتنع عليه؛ وأنّ من خلق الإنسان بلا كلفة ولا مئونة بأن قال له: كن

فكان، مع ما فيه من بدائع الصنعة، وعجائب الحكمة التى يعجز عنها كلّ قادر، ويحار فيها كل ناظر، لا يعجزه إظهار ما استعجلوه من الآيات.
وخامسها ما أجاب به بعضهم من أن العجل الطين، فكأنه تعالى قال: خلق الإنسان من طين، كما قال تعالى فى موضع آخر: وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسانِ مِنْ طِينٍ؛ [السجدة: 7]، واستشهد بقول الشاعر:
والنّبع ينبت بين الصّخر ضاحية ... والنخل ينبت بين الماء والعجل (1)
ووجدنا قوما يطعنون فى هذا الجواب، ويقولون: ليس بمعروف أن العجل هو الطين، وقد حكى صاحب كتاب العين عن بعضهم أن العجل الحمأة، ولم يستشهد عليه، إلّا أن

(1) البيت فى اللسان (عجل).

البيت الّذي حكيناه يمكن أن يكون شاهدا له، وقد رواه ثعلب عن ابن الأعرابىّ، وخالف فى شيء من ألفاظه فرواه:
والنّبع فى الصّخرة الصّماء منبته ... والنّخل ينبت بين الماء والعجل
وإذا صحّ هذا الجواب فوجه المطابقة بين ذلك وبين قوله تعالى: فَلا تَسْتَعْجِلُونِ على نحو ما ذكرناه، وهو أنّ من خلق الإنسان- مع الحكم الظاهرة فيه- من الطين، لا يعجزه إظهار ما استعجلوه من الآيات؛ أو يكون المعنى أنه لا يجب لمن خلق من الطين المهين، وكان أصله هذا الأصل الحقير الضعيف أن يهزأ برسل الله وآياته وشرائعه؛ لأنه تعالى قال قبل هذه الآية: وَإِذا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُواً، أَهذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ؛ [الأنبياء: 36].
وسادسها أن يكون المراد بالإنسان آدم عليه السلام، ومعنى مِنْ عَجَلٍ أى فى سرعة (1) من خلقه، لأنه لم يخلقه من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة كما خلق غيره، وإنما ابتدأه الله تعالى ابتداء، وأنشأه إنشاء، فكأنّه تعالى نبّه بذلك على الآية العجيبة فى خلقه له، وأنه عزّ وجل يرى عباده من آياته وبيناته أوّلا أولا ما تقتضيه مصالحهم وتستدعيه أحوالهم.
/ وسابعها ما روى عن مجاهد وغيره أنّ الله تعالى خلق آدم بعد خلق كل شيء آخر، نهار يوم الجمعة على سرعة، معاجلا به غروب الشمس.
وروى أن آدم عليه السلام لما نفخت فيه الروح وبلغت إلى أعالى جسده، ولم تبلغ أسافله قال: يا رب استعجل بخلقى قبل غروب الشمس.
وثامنها ما روى عن ابن عباس والسّدّيّ أن آدم عليه السلام لما خلق وجعلت الروح فى أكثر جسده وثب عجلان مبادرا إلى أثمار الجنة- وقال قوم بل همّ بالوثوب- فهذا معنى قوله تعالى: خُلِقَ الْإِنْسانُ مِنْ عَجَلٍ.

(1) حاشية الأصل (من نسخة: «من سرعة».

وهذه الأجوبة المتأخّرة مبنية على أنّ المراد بالإنسان فيها آدم عليه السلام دون غيره.

*** [طائفة من شعر مسكين الدارميّ وذكر بعض أخباره:]
قال سيدنا أدام الله تمكينه: وإنى لأستحسن لمسكين الدارميّ قوله (1):
ربّ أمور قد بريت لحاءها ... وقوّمت من أصلابها ثمّ زعتها (2)
أقيم بدار الحرب (3) ما لم أهن بها ... فإن خفت من دار هوانا تركتها
وأصلح جلّ المال حتى تخالنى (4) ... شحيحا وإن حقّ عرانى أهنتها
ولست بولّاج البيوت لفاقة ... ولكن إذا استغنيت عنها ولجتها
أبيت عن الإدلاج فى الحىّ نائما ... وأرض بإدلاج وهمّ (5) قطعتها
ألا أيّها الجارى سنيحا وبارحا ... تعرّض نفسا لو أشاء قتلتها
تعارض فخر الفاخرين بعصبة ... ولو وضعت لى فى إناء أكلتها
وإنّ لنا ربعيّة المجد كلّها ... موارث آباء كرام ورثتها (6)
إذا قصرت أيدى الرّجال عن العلى ... مددت يدى باعا عليهم فنلتها
وداع دعانى للعلى فأجبته ... ودعوة داع فى الصّديق خذلتها
ومكرمة كانت رعاية والدى ... فعلّمنيها والدى ففعلتها (7)

---

(1) هو ربيعة بن عامر بن أنيف، ينتهى نسبه إلى مالك بن زيد مناة بن تميم، شاعر شريف من سادات قومه (وانظر ترجمته وأخباره وأشعاره فى الأغانى 18: 68 – 72، ومعجم الأدباء 11: 126 – 132، والشعر والشعراء 529 – 530، والخزانة 1: 465 – 470، واللآلئ 186 – 187).

(2) ديوان المعانى 1: 79. ف، حاشية الأصل (من نسخة)، ديوان المعانى: «رشتها» وفى حاشية الأصل (من نسخة أخرى): «رعتها». وفى حاشيتى الأصل، ف: «فى الصحاح:
زاع بعيره أى حركه إلى قدام يستزيد سيره؛ قال ذو الرمة:
وخافق الرّأس فوق الرّحل قلت له ... زع بالزّمام وجوز اللّيل مركوم
ومن رواه «زع»، [بفتح الزاى] فقد أخطأ؛ لأنه لا يأمره بالكف».

(3) د؛ «الحزن»، ف، وديوان المعانى: «الحزم».

(4) ديوان المعانى: «حسبتنى».

(5) هم؛ أى همة.

(6) حاشية الأصل: «ربعية المجد: أوله وأجوده؛ كربعية النتاج خيره» ومن نسخة بحاشية الأصل: «مواريث آباء».

(7) من نسخة بحاشيتى الأصل، ف: «فعملتها».

وعوراء من قيل امرئ ذى قرابة ... تصاممت عنها بعد ما قد سمعتها (1)
/ رجاة غد (2) أن يعطف الرّحم بيننا ... ومظلمة منه بجنبى عركتها
إذا ما أمور الناس رثّت وضيّعت ... وجدت أمورى كلّها قد رممتها (3)
وإنى سألقى الله لم أرم حرّة ... ولم تتمنّى (4) يوم سرّ فخنتها
ولا قاذف نفسى ونفسى بريئة ... وكيف اعتذارى بعد ما قد قذفتها

*** أخبرنا أبو عبيد الله المرزبانىّ قال أخبرنا أبو ذرّ القراطيسىّ قال حدثنا عبيد الله بن محمد ابن أبى الدنيا قال حدثنا عبد الرحمن بن صالح الأزدىّ أنّ رجلا من الأنصار حدثه قال قال مسكين الدّارمىّ:

ولست إذا ما سرّنى الدّهر ضاحكا ... ولا خاشعا ما عشت من حادث الدّهر (5)
ولا جاعلا عرضى لمالى وقاية ... ولكن أقي عرضى فيحرزه وفرى
أعفّ لدى عسرى وأبدى تجمّلا ... ولا خير فيمن لا يعفّ لدى العسر
وإنى لأستحيي إذا كنت معسرا ... صديقى وإخوانى بأن يعلموا فقرى
وأقطع إخوانى وما حال عهدهم ... حياء وإعراضا، وما بي من كبر
فإن يك عارا ما أتيت فربما ... أتى المرء يوم السّوء من حيث لا يدرى
ومن يفتقر يعلم مكان صديقه ... ومن يحيى لا يعدم بلاء من الدّهر (6)

ومن مستحسن قوله:

إن أدع مسكينا فما قصرت ... قدرى بيوت الحىّ والجدر

---

(1) العوراء هنا: الكلمة القبيحة.
(2) د، ف، وحاشية الأصل، وديوان المعانى: «رجاء غد».
(3) رممتها: أصلحتها.
(4) د، ف، حاشية الأصل (من نسخة): «لم تأثمنى».
(5) أبيات منها فى معجم الأدباء 11: 129، واللآلئ: 186، وكنايات الجرجانى: 10، 57.
(6) حاشية الأصل: (من نسخة): «ومن يغن».

وقيل: إن مسكينا ليس باسمه، وإنما اسمه ربيعة، وإنما سمّى بذلك لقوله:

وسمّيت مسكينا وكانت لحاجة ... وإنى لمسكين إلى الله راغب (1)

– ومعنى: قصرت قدرى، أى: سترت، يريد أنها بارزة لا تحجبها السواتر والحيطان–

ما مسّ رحلى العنكبوت ولا ... جدياته من وضعه غبر

وهذه كناية مليحة عن مواصلة السير وهجر الوطن، لأن العنكبوت إنما تنسج على ما لا تناله/ الأيدى ولا يكثر استعماله، والجديات: جمع جدية، وهى باطن دفّة الرحل.

لا آخذ الصّبيان ألثمهم ... والأمر قد يغرى (2) به الأمر

– يقول: لا أقبّل الصبىّ؛ وأنا أريد التعريض بأمه.

ومثله لغيره:

ولا ألقى لذى الودعات سوطى (3) ... ألاعبه (4) وريبته (5) أريد

وأنشد ابن الأعرابى مثله:

إذا رأيت صبىّ القوم يلثمه ... ضخم المناكب لا عمّ ولا خال

فاحفظ صبيّك منه أن يدنّسه ... ولا يغرّنك يوما قلّة المال (6)

– رجع إلى تمام القصيدة–

ولربّ يوم قد تركت وما ... بينى وبين لقائه ستر

ومخاصم (7) قاومت فى كبد ... مثل الدّهان فكان لى العذر (8)

---

(1) الشعر والشعراء: 529.

(2) من نسخة بحاشيتى الأصل، ف: «يعزى».

(3) م: «صوتى».

(4) د: «لألثمه»، ومن نسخة بحاشية ف: «لألهيه».

(5) د، ف، وحاشية الأصل (من نسخة): «وربته»، أى أمه التى تربه. والودعات: الخرزات.

(6) من نسخة بحاشيتى الأصل، ف: «كثرة المال».

(7) من نسخة بحاشيتى الأصل، ف: «ومقادم».

(8) فى حاشيتى الأصل، ف: «إنما يكون العذر إذا كان ثم ظلم، فيقول: إنما أقاوم وأخاصم مظلوما متعدى عليه، وإذا كان كذلك، فيجب الاعتذار على الظالم؛ ويكون العذر لى، كقوله:

فإن كان سحرا فاعذرينى على الهوى ... وإن كان داء غيره فلك العذر

– ويروى: «القمر»، والكبد: المنزلة التى لا تثبت فيها الأرجل، والدهان: الأديم الأحمر–

ما علّتى (1)! قومى بنو عدس ... وهم الملوك وخالى البشر (2)

عمّى زرارة غير منتحل ... وأبى الّذي حدّثته عمرو

فى المجد غرّتنا مبيّنة ... للنّاظرين كأنّها البدر

لا يرهب الجيران غدرتنا ... حتّى يوارى ذكرنا القبر

لسنا كأقوام إذا كلحت ... إحدى السّنين فجارهم تمر

– أى يستحلى الغدر به كما يستحلى التمر–
مولاهم لحم على وضم ... تنتابه العقبان والنّسر
نارى ونار الجار واحدة ... وإليه قبلى تنزل القدر
يقال: إنه كان له امرأة تماظّه، فلما قال ذلك قالت له: أجل؛ إنما ناره ونارك واحدة، لأنه/ أوقد ولم توقد، والقدر تنزل إليه قبلك؛ لأنه طبخ ولم تطبخ، وأنت تستطعمه.
ما ضرّ جارى إذ أجاوره ... أن لا يكون لبيته ستر
– قال: ويقال إنما قالت له فى هذا البيت أيضا: أجل إن كان له ستر هتكته–
أعمى إذا ما جارتى خرجت ... حتّى يوارى جارتى الخدر
ويصمّ عمّا كان بينهما ... سمعى وما بى غيره وقر
وأنشد عمر بن شبّة لمسكين أيضا:
لا تجعلني كأقوام علمتهم (3) ... لم يظلموا لبّة يوما ولا ودجا (4)

---

(1) حاشية الأصل (من نسخة): «ما عابنى».
(2) من نسخة فى حاشيتى الأصل، ف: «هو مسكين بن عامر بن أنيف بن شريح بن عمرو بن عمرو بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم؛ فهذا عدس وعدس أبو زرارة، مثل قثم؛ وقال ابن دريد: يقال عدس وعدس»، بضم الدال وفتحها.
(3) حاشية الأصل (من نسخة): «لا تجعلينى كأقوام علمتهم».
(4) حاشية الأصل: «أى لم ينحروا للأضياف فيطعنوا فى لبة أو ودج».

إنى لأغلاهم باللّحم قد علموا ... نيئا، وأرخصهم باللّحم إذ نضجا
أنا ابن قاتل جوع القوم قد علموا ... إذا السّماء كست آفاقها رهجا (1)
يا ربّ أمرين قد فرّجت بينهما ... إذا هما نشبا فى الصّدر واعتلجا (2)
أديم خلقى لمن دامت خليقته ... وأمزج الحلو أحيانا لمن مزجا
وأقطع الخرق بالخرقاء لاهية ... إذا الكواكب كانت فى الدّجى سرجا (3)
ما أنزل الله من أمر فأكرهه ... إلّا سيجعل لى من بعده فرجا
ما مدّ قوم بأيديهم إلى شرف ... إلّا رأونا قياما فوقهم درجا
وأنشد أبو العباس ثعلب له:
أضاحك ضيفى قبل إنزال رحله ... ولم يلهنى عنه غزال مقنّع
أحدّثه إن الحديث من القرى ... وتعلم نفسى أنه سوف يهجع
ومثله لغيره:
أضاحك ضيفى قبل إنزال رحله ... ويخصب عندى والمكان جديب
وما الخصب للأضياف أن يكثر القرى ... ولكنّما وجه الكريم خصيب

ومعنى:
* أحدّثه إنّ الحديث من القرى*
أى أصبر على حديثه، وأعلم أنه سوف ينام، ولا أعرّض بمحادثته/ فأكون قد محقت قراى؛ والحديث الحسن من تمام القرى.
وقال الأصمعىّ: أحسن ما قيل فى الغيرة قول مسكين الدارمىّ:
ألا أيّها الغائر المستشيط ... علام تغار إذا لم تغر

---

(1) الرهج: الغبار.
(2) اعتلج. اضطرب.
(3) الحزن: المفازة الواسعة، والخرقاء: الناقة السريعة.

فما خير عرس إذا خفتها ... وما خير بيت إذا لم يزر (1)
تغار على النّاس أن ينظروا ... وهل يفتن الصّالحات النّظر
فإنى سأخلى لها بيتها ... فتحفظ لى نفسها أو تذر
إذا الله لم يعطه ودّها ... فلن يعطى الودّ سوط ممرّ
ومن ذا يراعى له عرسه ... إذا ضمّه والمطىّ السّفر!
قال المرتضى رضى الله عنه: وكان مسكين كثير اللهج بالقول فى هذا المعنى، فمن ذلك قوله:
وإنى امرؤ لا آلف البيت قاعدا ... إلى جنب عرسى لا أفرّطها شبرا
ولا مقسم لا أبرح الدّهر بيتها ... لأجعله قبل الممات لها قبرا
إذا هى لم تحصن أمام فنائها ... فليس بمنجيها بنائى لها قصرا
ولا حاملى ظنّى ولا قيل قائل (2) ... على غيرة حتّى أحيط بها خبرا
فهبنى امرأ راعيت ما دمت شاهدا ... فكيف إذا ما سرت من بيتها شهرا
وأنشد أبو العبّاس (3) عن أبى العالية لمسكين:
ما أحسن الغيرة فى حينها ... وأقبح الغيرة فى كلّ حين (4)
من لم يزل متّهما عرسه ... مناصبا فيها لوهم الظّنون
يوشك أن يغريها بالذى ... يخاف، أو ينصبها للعيون
حسبك من تحصينها ضمّها ... منك إلى خلق كريم ودين
لا تظهرن منك على عورة ... فيتبع المقرون حبل القرين (5)

---

(1) حاشية الأصل: «للسؤال».
(2) حاشية الأصل (من نسخة): «وإن قال قائل».
(3) ف: «أبو العيناء».

(4) حاشية الأصل (من نسخة): «غير حين».
(5) حاشية الأصل: «أى إياك أن تطلع المرأة منك على زنا وريبة؛ فإنها أيضا تزنى أو تفعل كما فعلت».

(1/476)

36 مجلس آخر [المجلس السادس والثلاثون:]

تأويل آية: [وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِها ...]

/ إن سأل سائل عن قوله تعالى فى قصة يوسف عليه السلام: وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِها لَوْلا أَنْ رَأى بُرْهانَ رَبِّهِ كَذلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا الْمُخْلَصِينَ؛ [يوسف: 24].

فقال: هل يسوغ ما تأوّل بعضهم هذه الآية عليه من أن يوسف عليه السلام عزم على المعصية وأرادها، وأنه جلس مجلس الرجل من المرأة، ثم انصرف عن ذلك بأن رأى صورة أبيه يعقوب عليه السلام عاضّا على إصبعه، متوعّدا له على مواقعة المعصية، أو بأن نودى له بالنهى والزّجر فى الحال على ما ورد به الحديث؟

الجواب، قلنا: إذا ثبت بأدلّة العقول التى لا يدخلها الاحتمال والمجاز ووجوه التأويلات أنّ المعاصى لا تجوز على الأنبياء عليهم السلام صرفنا كل ما ورد ظاهره بخلاف ذلك من كتاب أو سنة إلى ما يطابق الأدلة ويوافقها، كما نفعل مثل ذلك فيما يرد ظاهره مخالفا لما تدل عليه العقول من صفاته تعالى، وما يجوز عليه أو لا يجوز.

ولهذه الآية وجوه من التأويل؛ كلّ واحد منها يقتضي نزاهة نبى الله تعالى من العزم على الفاحشة وإرادة المعصية.

أوّلها أنّ الهمّ فى ظاهر الآية متعلّق بما لا يصح أن يعلّق به العزم أو الإرادة على الحقيقة؛ لأنه تعالى قال: وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِها، فعلّق الهمّ بهما، وذاتاهما لا يجوز أن يراد أو يعزم عليهما؛ لأنّ الموجود الباقى لا يصحّ ذلك فيه، فلا بدّ من تقدير محذوف يتعلّق العزم به؛ وقد يمكن أن يكون ما تعلّق به همّه إنما هو ضربها أو دفعها عن نفسه، كما

(1/477)

يقول القائل: كنت هممت بفلان، وقد همّ فلان بفلان؛ أى بأن يوقع به ضربا أو مكروها.

فإن قيل: فأىّ معنى لقوله تعالى: لَوْلا أَنْ رَأى بُرْهانَ رَبِّهِ والدفع لها عن نفسه طاعة لا يصرف البرهان عنها؟

قلنا: يمكن أن يكون الوجه فى ذلك أنه لما همّ بدفعها وضربها أراه الله برهانا على أنه إن أقدم على ما همّ به أهلكه أهلها وقتلوه، أو أنها تدّعى عليه المراودة على القبيح وتقذفه بأنه دعاها إليه، وأنّ ضربه؟ ؟ ؟ ؟ ؟ لامتناعها، فيظنّ به ذلك من لا تأمّل له، ولا علم بأنّ مثله لا يجوز عليه، فأخبر الله

تعالى بأنه صرف بالبرهان عنه السوء والفحشاء، ويعنى بذلك القتل والمكروه اللّذين كانا يوقعان به، لأنهما يستحقان الوصف بذلك من حيث القبح، أو يعنى بالسوء والفحشاء ظنّهم به ذلك.
فإن قيل: هذا الجواب يقتضي أنّ جواب فَلَوْلا يتقدّمها، ويكون التقدير: لولا أن رأى برهان ربّه لهمّ بضربها
ودفعها، وتقدّم جواب فَلَوْلا قبيح غير مستعمل، أو يقتضي أن تكون فَلَوْلا بغير جواب.
قلنا: أما تقدّم جواب فَلَوْلا فجائز، وسنذكر ما فيه عند الجواب المختص بذلك، غير أنّا لا نحتاج إليه فى هذا الجواب، لأنّ الهمّ بالضرب قد وقع، إلا أنه انصرف عنه بالبرهان؛ والتقدير: ولقد همت به وهمّ بدفعها لولا أن رأى برهان ربه لفعل ذلك، فالجواب فى الحقيقة محذوف، والكلام يقتضيه، كما حذف الجواب فى قوله تعالى: وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ؛ [النور: 20]، معناه: ولولا فضل الله عليكم ورحمته لهلكتم، ومثله: كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ. لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ؛ [التكاثر: 5، 6]، معناه: لو تعلمون علم اليقين لم تتنافسوا فى الدنيا، وتفاخروا بها؛ وقال امرؤ القيس:

فلو أنّها نفس تموت سويّة ... ولكنها نفس تساقط أنفسا (1)
أراد: فلو أنّها نفس تموت سويّة لانقضت وفنيت، فحذف الجواب؛ على أنّ من تأوّل هذه الآية على الوجه الّذي لا يليق بنبيّ الله تعالى، وأضاف العزم على المعصية إليه لا بد له من تقدير جواب محذوف، ويكون التقدير عنده: ولقد همّت بالزّنا وهمّ به؛ لولا أن رأى برهان ربه لفعله.
فإن قيل قوله: هَمَّ بِها كقوله: هَمَّتْ بِهِ فلم جعلتم همّها به متعلّقا بالقبيح وهمّه بها متعلقا بما ذكرتم من الضرب وغيره؟
قلنا: أما الظاهر فلا يدلّ على ما تعلق به الهم والعزم فيهما جميعا، وإنما أثبتنا همّها به متعلّقا بالقبيح، لشهادة الكتاب والآثار؛ وهى ممن يجوز عليه فعل القبيح، ولم يؤمن دليل من امتناعه عليها؛ كما أمن ذلك فيه عليه السلام.
والموضع الّذي يشهد بذلك من الكتاب قوله تعالى: وَقالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ/ الْعَزِيزِ تُراوِدُ فَتاها عَنْ نَفْسِهِ إلى قوله: إِنَّا لَنَراها فِي ضَلالٍ مُبِينٍ، [يوسف: 30]، وقوله تعالى: وَراوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِها عَنْ نَفْسِهِ [يوسف: 23]، وقوله تعالى: الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا راوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ (2) وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ [يوسف: 51]، وفى موضع آخر: قالَتْ فَذلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ راوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ [يوسف: 32].

---

(1) ديوانه: 140، وروايته: «تموت جميعة». وفى حاشية الأصل: «ويروى: «تساقط» [بضم التاء]، وساقط بوزن فاعل متعد؛ ويكون «أنفسا» مفعولا؛ وإذا روى: «تساقط» [بفتح التاء] جاز أن يكون «تفاعل» متعديا؛ والمعنى: أسقط. ويجوز أن يكون غير متعد أيضا؛ و «أنفسا» نصبت على الحال، كقوله تعالى: تُساقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيًّا، أى تساقط عليك ثمر النخلة رطبا، وقال الفراء: هو تمييز،

وكلاهما حسن. ويجوز إذا كان حالا أن يفيد كثرة الرطب على الجذع فكأنها إذا تساقط رطبا».
(2) حاشية الأصل: «معنى راوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ؛ أى طلبت منه أن ينزل عن نفسه فيسلمها منى؛ هذا هو هو حقيقة هذه الكلمة؛ فاختصر».

(1/479)

والآثار واردة بإطباق مفسّرى القرآن ومتأوّليه على أنها همت بالفاحشة والمعصية.
والوجه الثانى فى تأويل الآية أن يحمل الكلام على التقديم والتأخير، ويكون تلخيصه:
ولقد همت به، ولولا أن رأى برهان ربه لهمّ بها؛ ويجرى ذلك مجرى قولهم: قد كنت هلكت لولا أنى تداركتك، وقتلت لولا أنى خلّصتك، والمعنى: لولا تداركى لهلكت، ولولا تخليصى لقتلت، وإن لم يكن وقع هلاك ولا قتل؛ قال الشاعر:
فلا يدعنى قومى صريحا لحرّة ... لئن كنت مقتولا، ويسلم عامر (1)
وقال آخر:
فلا يدعنى قومى صريحا لحرة ... لئن لم أعجّل طعنة أو أعجّل (2)
فقدم جواب فَلَوْلا فى البيتين جميعا، وقد استشهد عليه أيضا بقوله تعالى: وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ، والهمّ لم يقع لمكان فضل الله ورحمته.
ومما يشهد لهذا التأويل أنّ فى الكلام شرطا، وهو قوله تعالى: لَوْلا أَنْ رَأى بُرْهانَ رَبِّهِ؛ فكيف يحمل على الإطلاق، مع حصول الشرط؟ وليس لهم أن يجعلوا جواب لَوْلا محذوفا مقدّرا لأن جعل جوابها موجودا أولى.
وقد استبعد قوم تقديم جواب لَوْلا عليها، قالوا: ولو جاز ذلك لجاز: «قام زيد لولا عمرو»، و «قصدتك لولا بكر» وقد بيّنّا بما أوردناه من الأمثلة والشواهد جواز تقديم جواب لَوْلا، والّذي ذكروه لا يشبه ما أجزناه.
وقد يجوز أن يقول القائل: «قد كان زيد قام لولا كذا وكذا»، و «قد كنت قصدتك لولا أن صدّنى فلان»، وإن لم يقع قيام ولا قصد؛ وهذا/ هو الّذي يشبه الآية؛ وليس تقديم

---

(1) صريحا: خالص النسب.
(2) م:
فلا يدعنى قومى ليوم كريهة ... لئن لم أعجّل ضربة أو أعجل
وفى حاشية الأصل: «فى نسخة س البيت الثانى مقدم على الأول».

(1/480)

جواب لَوْلا بأبعد من حذف جواب لَوْلا جملة من الكلام. وإذا جاز عندهم الحذف- لئلا يلزمهم تقديم الجواب- جاز
لغيرهم تقديم الجواب حتى لا يلزم الحذف.
والجواب الثالث ما اختاره أبو عليّ الجبّائيّ- وإن كان غيره قد تقدمه إلى معناه- وهو أن يكون معنى هَمَّ بِها اشتهاها، ومال طبعه إلى ما دعته إليه. وقد يجوز أن تسمّى الشهوة فى مجاز اللغة همّا؛ كما يقول القائل فيما لا يشتهيه: ليس هذا من همّى، وهذا أهمّ الأشياء إلى؛ ولا قبح فى الشهوة لأنها من فعل الله تعالى فيه؛ وإنما يتعلق القبح بتناول المشتهى.
وقد روى هذا التأويل عن الحسن البصرىّ قال: أما همّها فكان أخبث الهم، وأما همّه فما طبع عليه الرجال من شهوة النساء، ويجب على هذا الوجه أن يكون قوله تعالى: لَوْلا أَنْ رَأى بُرْهانَ رَبِّهِ، متعلق بمحذوف؛ كأنه قال: لولا أن رأى برهان ربه لعزم أو فعل.
والجواب الرابع، أنّ من عادة العرب أن يسمّوا الشيء باسم ما يقع عنده فى الأكثر، وعلى هذا لا ينكر أن يكون المراد ب هَمَّ بِها خطر بباله أمرها (1)، ووسوس إليه الشيطان بالدعاء إليها؛ من غير أن يكون هناك همّ أو عزم، فسمّى الخطور بالبال همّا من حيث كان الهمّ يقع فى الأكثر عنده، والعزم فى الأغلب يتبعه.
وإنما أنكرنا ما ادّعاه جهلة المفسرين ومحرّفو القصّاص، وقرفوا به نبى الله عليه السلام، لما فى العقول من الأدلة على أن مثل ذلك لا يجوز على الأنبياء عليهم السلام؛ من حيث كان منفّرا عنهم، وقادحا فى الغرض المجرى إليه بإرسالهم؛ والقصّة تشهد بذلك؛ لأنه تعالى قال: كَذلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشاءَ؛ ومن أكبر السوء والفحشاء العزم على الزنا، ثم الأخذ فيه، والشروع فى مقدماته؛ وقوله تعالى أيضا: إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا الْمُخْلَصِينَ يقتضي تنزيهه

(1) س: «ما أخطر بباله أمرها».

عن الهمّ بالزّنا، والعزم عليه. وحكايته عن النسوة قولهن: حاشَ لِلَّهِ ما عَلِمْنا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ؛ [يوسف: 51]، تدل أيضا على براءته من القبيح.
فأما البرهان الّذي رآه فيحتمل أن يكون لطفا لطف الله له به فى تلك الحال أو قبلها، اختار عنده الانصراف عن المعاصى، والتنزه عنها.
ويحتمل أيضا/ ما ذكره أبو عليّ، وهو أن يكون البرهان دلالة الله تعالى له على تحريم ذلك عليه، وعلى أنّ من فعله يستحق العقاب. وليس يجوز أن يكون البرهان ما ظنّه الجهّال من رؤية صورة أبيه يعقوب عليه السلام
متوعّدا له، أو النداء له بالزجر والتخويف، لأنّ ذلك ينافى المحنة، وينقض الغرض بالتكليف، ويقتضي ألّا يستحق على امتناعه وانزجاره مدحا ولا ثوابا؛ وهذا سوء ثناء على الأنبياء، وإقدام على قرفهم بما لم يكن منهم، ونحمد الله على حسن التوفيق.

*** [أخبار متفرقة لإبراهيم بن العباس الصولى وذكر طائفة من شعره:]
روى أحمد بن عبد الله بن العباس الصولىّ الملقب بطماس قال: كنت يوما عند عمّى إبراهيم بن العباس (1)، فدخل عليه رجل فرفعه حتى جلس إلى جانبه، أو قريبا من ذلك، ثم حادثه إلى أن قال عمى: يا أبا تمام؛ ومن بقى ممن يعتصم به ويلجأ إليه؟ قال: أنت لا عدمت- وكان إبراهيم طويلا- أنت والله كما قيل:

يمدّ نجاد السّيف حتّى كأنّه ... بأعلى سنامى فالج يتطوّح
ويدلج فى حاجات من هو نائم ... ويورى كريمات النّدى حين يقدح
إذا اعتمّ بالبرد اليمانىّ خلته ... هلالا بدا فى جانب الأفق يلمح
يزيد على فضل الرّجال فضيلة ... ويقصر عنه مدح من يتمدّح

(1) هو أبو إسحاق إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول، شاعر مجيد؛ توفى سنة 243، وله ديوان شعر، نشره الأستاذ عبد العزيز الميمنى؛ ضمن مجموعة الطرائف سنة 1937 م (وانظر ترجمته فى الأغانى (209 – 33، وابن خلكان 1: 9 – 11، ومعجم الأدباء، 1: 164 – 198، وتاريخ بغداد 6: 117).

فقال له إبراهيم: أنت تحسن قائلا، وراويا، ومتمثلا؛ فلما خرج تبعته وقلت له: اكتبني الأبيات، فقال: هى لأبى الجويرية العبدىّ (1) فخذها من شعره.
*** وروى عن يحيى بن البحترىّ قال: رأيت أبى يذاكر جماعة من أمراء أهل الشام بمعان من الشعر، فمرّ فيها ذكر قلة نوم العاشق وما قيل فيه، فأنشدوا إنشادات كثيرة، فقال لهم أبى: قد فرغ من هذا كاتب كان بالعراق فقال:

أحسب النوم حكاكا ... إذ رأى منك جفاكا (2)
منّى الصّبر ومنك ال ... هجر فابلغ بى مداكا
بعدت همّة عين ... طمعت فى أن تراكا
أو ما خطّ لعينى ... أن ترى من قد رآكا
ليت حظّى منك أن تع ... لم ما بى من هواكا

قال أبى: / إنه تصرّف فى معان من الشعر فى هذه الأبيات، قال: وكتبها عنه جماعة من حضر؛ والأبيات لإبراهيم بن العباس الصولىّ.
*** وأخبرنا علىّ بن محمد الكاتب قال أخبرنا محمد بن يحيى الصولىّ قال: لما بايع المأمون لعلىّ ابن موسى الرّضا عليهما السلام بالعهد، وأمر الناس بلبس الخضرة صار إليه دعبل (3) بن على

(1) اسمه عيسى بن أوس بن عصبة؛ أبو جويرية العبدى؛ شاعر محسن متمكن؛ ذكره الآمدي فى

المؤتلف والمختلف: 79، والمرزباني فى المعجم: 258.
(2) ديوان إبراهيم بن العباس: 148.
(3) هو دعبل بن على الخزاعى، شاعر مطبوع؛ كان هجاء خبيث اللسان؛ ولم يسلم من لسانه أحد ممن عاصره من الخلفاء والوزراء ولا من أولادهم وأولاد أولادهم؛ ولا ذو نباهة؛ أحسن إليه أو لم يحسن، وكان من مشاهير الشيعة؛ قال ياقوت «وقصيدته التائية فى أهل البيت من أحسن الشعر وأسنى المدائح، قصد بها على بن موسى الرضا بخراسان، فأعطاه عشرة آلاف درهم، وخلع عليه بردة من ثيابه، فأعطاه بها أهل قمّ ثلاثين ألف درهم فلم يبعها؛ فقطعوا عليه الطريق ليأخذوها فقال لهم: إنها تراد لله-

وإبراهيم بن العباس الصولى- وكانا صديقين لا يفترقان، فأنشده دعبل:
مدارس آيات خلت من تلاوة ... ومنزل وحى مقفر العرصات (1)
وأنشده إبراهيم بن العباس على مذهبها قصيدة، أولها:
أزالت عزاء القلب بعد التّجلّد ... مصارع أولاد النّبيّ محمّد
قال: فوهب لهما عشرين ألف درهم من الدراهم التى عليها اسمه، وكان المأمون أمر بضربها فى ذلك الوقت؛ فأما دعبل بن عليّ فصار بالشّطر منها إلى قمّ، فاشترى أهلها منه كلّ درهم بعشرة، فباع حصته بمائة ألف درهم.

- عز وجل؛ وهى محرمة عليكم؛ فدفعوا له ثلاثين ألف درهم، فحلف ألا يبيعها أو يعطوه بعضها ليكون فى كفنه، فأعطوه كما واحدا؛ فكان فى أكفانه؛ ويقال: إنه كتب القصيدة فى ثوب وأحرم فيه؛ وأوصى بأن يكون فى أكفانه، ونسخ هذه القصيدة مختلفة، فى بعضها زيادات؛ يظن أنها مصنوعة»، وتوفى دعبل سنة 246.
(وانظر ترجمته فى معجم الأدباء 11: 19: 112، وابن خلكان 1: 179 - 180، والأغانى 18: 29 - 32، وتاريخ بغداد 8: 382).
(1) القصيدة فى معجم الأدباء، وتنوير الأبصار: 141، 142؛ ومطلعها فيه:
ذكرت محلّ الرّبع من عرفات ... وأجريت دمع العين بالعبرات
وفكّ عرى صبرى وهاجت صبابتى ... رسوم ديار أقفرت وعرات
مدارس آيات ...
وفيها يقول:
ألم تر أنى من ثلاثين حجة ... أروح وأغدو دائم الحسرات
أرى فيئهم فى غيرهم متقسّما ... وأيديهم من فيئهم صفرات
فآل رسول الله نحف جسومهم ... وآل زياد حفّل القصرات
بنات زياد فى القصور مصونة ... وآل رسول الله فى الفلوات

إذا وتروا مدّوا إلى أهل وترهم ... أكفّا عن الأوتار منقبضات
فلولا الّذي أرجوه فى اليوم أو غد ... لقطّع قلبى إثرهم حسرات.

وأما إبراهيم بن العباس فلم يزل عنده بعضها حتى مات؛ قال الصولىّ: ولم أقف من قصيدة إبراهيم على غير هذا البيت.
قال: وكان السبب فى ذهاب هذا الفن من شعره ما حدّثني به أبو العباس أحمد بن محمد بن الفرات والحسين بن عليّ الباقطانىّ (1) قالا: كان إبراهيم بن العباس صديقا لإسحاق بن إبراهيم أخى زيدان الكاتب المعروف بالزّمن، فأنسخه شعره فى عليّ بن موسى الرّضا عليهما السلام، وقد انصرف من خراسان، ودفع إليه شيئا بخطّه منه، وكانت النّسخة عنده إلى أن ولى المتوكل، وولى إبراهيم بن العباس ديوان الضّياع، وقد كان تباعد ما بينه وبين أخى زيدان، فعزله عن ضياع كانت فى يده بحلوان وغيرها وطالبه بمال وألحّ عليه، وأساء مطالبته، فدعا إسحاق بعض من يثق به من إخوانه، وقال له: امض إلى إبراهيم بن العباس، فأعلمه أنّ شعره فى عليّ بن موسى بخطّه عندى، وبغير خطّه، والله لئن استمرّ على ظلمى (2)، ولم يزل عنّى المطالبة لأوصلنّ الشعر إلى المتوكل؛ قال: فصار الرجل إلى إبراهيم بن العباس، فأخبره بذلك، فاضطرب اضطرابا شديدا، وجعل الأمر/ فى ذلك إلى الواسطة فى ذلك حتى أسقط جميع ما كان طالبه به، وأخذ الشعر منه، وأحلفه أنه لم يبق عنده منه شيء، فلما حصل عنده أحرقه بحضرته.
وذكر أبو أحمد يحيى بن عليّ المنجم أنّ أباه عليّ بن يحيى كان الواسطة بينهما.
قال الصولىّ: وما عرفت من شعر إبراهيم فى هذا المعنى شيئا إلّا أبياتا؛ وجدتها بخط أبى قال: أنشدنى أخى لعمه فى عليّ بن موسى من قصيدة:
كفى بفعال امرئ عالم ... على أهله عادلا شاهدا (3)
أرى لهم طارفا مونقا ... ولا يشبه الطّارف التالدا
يمنّ عليكم بأموالكم ... وتعطون من مائة واحدا

(1) حاشية الأصل: الباقطان: قرية بالعراق، والنسبة إليها باقطانى؛ وثم أيضا قرية يقال لها باقطينا؛ والنسبة إليها باقطينى.
(2) حاشية الأصل (من نسخة): «ظلمه».
(3) ديوانه: 172، ومن نسخة بحاشية الأصل: «على قومه عادلا».

فلا حمد الله مستنصرا (1) ... يكون لأعدائكم حامدا
فضلت قسيمك فى قعدد (2) ... كما فضل الوالد الوالدا
قال الصولىّ: فنظرت فى قوله:
* فضلت قسيمك فى قعدد*
فوجدت عليّ بن موسى عليهما السلام والمأمون متساويين فى قعدد النسب، وهاشم التاسع من آبائهما جميعا.
وروى الصولىّ أنّ منشدا أنشد إبراهيم بن العباس وهو فى مجلسه فى ديوان الضّياع:
ربّما تكره النفوس من الأم ... ر له فرجة كحلّ العقال (3)
قال: فنكت بقلمه ساعة ثم قال:
ولربّ نازلة يضيق بها الفتى ... ذرعا وعند الله منها مخرج (4)
كملت فلما استحكمت حلقاتها ... فرجت وكان يظنّها لا تفرج
فعجب من جودة بديهته.
وأخبرنا أبو الحسن عليّ بن محمد الكاتب قال أخبرنى محمد بن يحيى الصولىّ قال حدثنى القاسم بن إسماعيل أبو ذكوان الراوية قال: كنت بالأهواز أيام الواثق، وإبراهيم بن العباس يلى معونتها وخراجها، فوصفت له بالأدب فأمر بإحضارى، فلما دخلت عليه قرّب مجلسى وقال: تسلّف (5) أنس المطاولة؛ فإن الاستمتاع لا يتمّ إلّا به، فانبسطت وتساءلنا/ عن الأشعار، فما رأيت أحدا قطّ أعلم بالشعر منه، فقال لى: ما عندك فى قول النابغة:

---

(1) حاشية الأصل (من نسخة): * فلا حمد الله مستبصر*.
(2) حاشية الأصل: «فى قعدد» تتعلق بقسيمك، والقعدد: الأقرب إلى الأب الأكبر، وفلان أقعد من فلان نسبا إذا كان أقرب إلى الأب الأكبر.
(3) البيت لأمية بن أبى الصلت؛ وهو فى شعراء النصرانية: 203، واللسان (فرج). والفرجة؛ بالفتح مصدر؛ وبالضم اسم، والرواية بالفتح.
(4) ديوانه: 171.
(5) حاشية الأصل: تسلف؛ أى خذه سلفا؛ يعنى أنك ستنبسط إلى بعد المطاولة؛ فخذ ذلك سلفا وانبسط».

ألم تر أنّ الله أعطاك سورة ... ترى كلّ ملك دونها يتذبذب (1)
فإنك شمس والملوك كواكب ... إذا طلعت لم يبد منهنّ كوكب
فقلت: أراد تفضيله على الملوك، فقال: صدقت، ولكن فى الشعر خبء (2)، وهو أنه اعتذر إلى النعمان من ذهابه إلى آل جفنة إلى الشام، ومدحه لهم، وقال: إنما فعلت هذا لجفائك بى، فإذا صلحت لى لم أرد غيرك، كما أنّ من أضاءت له الشمس لم يحتج إلى ضوء الكواكب؛ فأتى بمعنيين:

بهذا، وبتفضيله، قال: فاستحسنت ذلك منه.
وكان إبراهيم بن العباس من أصدق الناس لأحمد بن أبي دؤاد، فعتب على ابنه أبي الوليد من شيء قدّمه، ومدح أباه وأحسن في التخلّص كلّ الإحسان فقال:
عفّت مساو تبدّت منك واضحة ... على محاسن بقّاها أبوك لكا (3)
لئن تقدّم أبناء الكرام به ... لقد تقدّم أبناء اللّئام بكا
ولإبراهيم:
تمرّ الصّبا صفحا بساكن ذي الغضا ... ويصدع قلبي أن يهبّ هبوبها (4)
قريبة عهد بالحبيب وإنما ... هوى كلّ نفس حيث كان حبيبها
تطلّع من نفسي إليك نوازع ... عوارف أنّ اليأس منك نصيبها
وأخذ هذا من قول ذي الرّمة:
إذا هبّت الأرواح من نحو جانب ... به آل ميّ هاج شوقي هبوبها (5)
هوى تذرف العينان منه، وإنما ... هوى كلّ نفس حيث كان حبيبها
ولإبراهيم:
دنت بأناس عن تناء زيارة ... وشطّ بليلى عن دنوّ مزارها (6)
وإنّ مقيمات بمنقطع اللّوى ... لأقرب من ليلى وهاتيك دارها

---

(1) ديوانه: 13.
(2) الخبء: ما خبئ واستتر، كالخبئ.
(3) ديوانه: 162.
(4) ديوانه: 139.
(5) ديوانه: 65 – 66.
(6) ديوانه: 145، وفي حاشية الأصل: «يروى البيتان لمحمد بن عبد الملك الزيات».

/ وأخذ ذلك من قول النظار الفقعسيّ:
يقولون هذى أم عمرو قريبة ... دنت بك أرض نحوها وسماء
ألا إنّما بعد الحبيب وقربه ... إذا هو لم يوصل إليه سواء
ووجدت بعض أهل الأدب يظنّ أن إبراهيم بن العباس سبق إلى هذا المعنى في قوله:
كن كيف شئت وأنّى تشا ... وأبرق يمينا وأرعد شمالا (1)
نجا بك لؤمك منجى الذّباب ... حمته مقاذيره أن ينالا (2)
حتى رأيت مسلم بن الوليد قد سبق إلى هذا المعنى، فأحسن غاية الإحسان فقال:
أمّا الهجاء فدقّ عرضك دونه ... والمدح عنك كما علمت جليل (3)
فاذهب فأنت طليق عرضك إنّه ... عرض عززت به وأنت ذليل

(1) ديوانه: 163.
(2) من نسخة بحاشية الأصل: «مقاذره».
(3) ملحقات ديوانه: 242.

37 مجلس آخر [المجلس السابع والثلاثون:]
تأويل آية [: قالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ...]
إن سأل سائل عن قوله تعالى حاكيا عن يوسف عليه السلام: قالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجاهِلِينَ، [يوسف: 33].
فقال: إذا كانت المحبة عندكم هى الإرادة، فهذا تصريح من يوسف عليه السلام بإرادة المعصية؛ لأن حبسه فى السجن، وقطعه عن التصرف معصية من فاعله؛ وقبيح من المقدم عليه؛ وهو فى القبح يجرى مجرى ما دعى إليه من الزنا. وقوله من بعد: وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ يدل على أنّ امتناعه من القبيح [مشروط بمنعهنّ وصرفهنّ] (1) عن كيده؛ وهذا بخلاف مذهبكم، لأنكم تذهبون إلى أنّ ذلك لا يقع منه؛ صرف النّسوة عن كيده، أو لم يصرفهنّ.
الجواب، قلنا: أما قوله: رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ففيه وجهان من التأويل:
أولهما أنّ المحبّة متعلقة فى ظاهر الكلام بما لا يصحّ فى الحقيقة أن يكون محبوبا مرادا؛ لأنّ السجن إنما هو الجسم، والأجسام لا يجوز أن يريدها؛ وإنما يريد الفعل فيها، أو المتعلّق بها؛ والسجن نفسه (2) ليس/ بطاعة ولا معصية، وإنما الأفعال فيه قد تكون طاعات ومعاصى بحسب الوجوه التى يقع عليها؛ وإدخال القوم يوسف عليه السلام الحبس، أو إكراههم له على دخوله معصية منهم؛ وكونه فيه وصبره على ملازمته، والمشاقّ التى تناله باستيطانه طاعة منه وقربة، وقد علمنا أنّ ظالما لو أكره مؤمنا على ملازمة بعض المواضع، وترك

(1) د، ف: «مشروط بمنعهم وصرفهم».
(2) حاشية ف (من نسخة): «وحده».

التصرّف فى غيره لكان فعل المكره حسنا، وإن كان فعل المكره قبيحا. وهذه الجملة تبيّن ألّا ظاهر فى الآية (1) يقتضي ما عنده؛ وأنه لا بدّ من تقدير محذوف يتعلق بالسّجن؛ وليس لهم أن يقدّروا ما يرجع إلى الحابس من الأفعال؛ إلّا ولنا أن نقدّر ما يرجع إلى المحبوس؛ وإذا احتمل الكلام الأمرين، ودلّ الدليل على أنّ النبيّ عليه السلام لا يجوز أن يريد المعاصى والقبائح اختصّ المحذوف المقدّر بما

يرجع إليه مما ذكرناه، وذلك طاعة لا لوم على مريده ومحبّه.
فإن قيل: كيف يجوز أن يقول: السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ، وهو لا يحبّ ما دعوه جملة؛ ومن شأن هذه اللفظة أن تدخل بين ما وقع (2) فيه اشتراك فى معناها؛ وإن فضّل البعض على البعض؟
قلنا: قد تستعمل هذه اللفظة فى مثل هذا الموضع؛ وإن لم يكن فى معناها اشتراك على الحقيقة، ألا ترى أنّ من
خيّر بين ما يحبه وما يكرهه جائز أن يقول: هذا أحبّ إلى من هذا، وإن لم يجز مبتدئا أن يقول من غير أن يخيّر: هذا أحبّ إلى من هذا، إذا كان لا يحبّ أحدهما جملة!
وإنما يسوغ ذلك على أحد الوجهين دون الآخر؛ من حيث كان المخيّر بين الشيئين لا يخيّر بينهما إلّا وهما مرادان له، أو مما يصحّ أن يريدهما، فموضوع التخيير يقتضي ذلك، وإن حصل فيما ليس هذه صفته، والمجيب على (3) هذا متى قال: كذا أحبّ إلى من كذا كان مجيبا على ما يقتضيه موضوع التخيير، وإن لم يكن الأمران يشتركان فى تناول محبته.
وما يقارب ذلك قوله تعالى: قُلْ أَذلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ؛ [الفرقان: 15]، ونحن نعلم ألّا خير فى العقاب؛ وإنما حسن ذلك لوقوعه موقع التوبيخ والتقريع على اختيار

---

(1) حاشية ف (من نسخة): «للآية».
(2) حاشية ف (من نسخة): «يقع».
(3) حاشية ف (من نسخة): «عن هذا».

المعاصى على الطاعات، وأنهم ما ركبوا المعاصى وآثروها على الطاعات إلّا لاعتقادهم (1) أنّ فيها خيرا/ ونفعا، فقيل: أذلك خير على ما تظنونه وتعتقدونه، أم كذا وكذا؟
وقد قال قوم فى قوله تعالى: أَذلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ إنما حسن ذلك لاشتراك الحالين فى باب المنزلة، وإن لم يشتركا فى الخير والنفع، كما قال تعالى: خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا؛ [الفرقان: 24]، ومثل هذا يتأتّى فى قوله تعالى: رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ لأنّ الأمرين- يعنى المعصية ودخول السجن- مشتركان فى أنّ لكل منهما داعيا، وعليه باعثا، وإن لم يشتركا فى تناول المحبة، فجعل اشتراكهما فى داعى المحبة اشتراكا فى المحبة نفسها وأجرى اللّفظ على ذلك.
ومن قرأ هذه الآية بفتح السين فالتأويل أيضا ما ذكرناه؛ لأن «السّجن» المصدر، فيحتمل أن يريد: أنّ سجنى لهم نفسى، وصبرى على حبسهم أحبّ إلى من مواقعة المعصية؛ ولا يرجع بالسجن إلى فعلهم بل إلى فعله.
والوجه الثانى أن يكون معنى أَحَبُّ إلى أى أهون عندى وأسهل علىّ؛ وهذا كما يقال لأحدنا فى الأمرين يكرههما معا: إن فعلت كذا وإلا فعل بك كذا وكذا؛ فيقول: بل كذا أحبّ إلى، أى بمعنى أسهل وأخفّ، وإن كان لا يريد واحدا منهما؛ وعلى هذا الجواب لا يمتنع أن يكون إنما عنى فعلهم به دون فعله، لأنه لم يخبر عن نفسه بالمحبة التى هى

الإرادة؛ وإنما وضع أَحَبُّ موضع أخف، والمعصية قد تكون أهون وأخفّ من أخرى.
وأما قوله: وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ فليس المعنى فيه على ما ظنّه السائل؛ بل المراد: متى لم تلطف لى ممّا يدعونى إلى مجانبة المعصية، ويثنينى إلى تركها ومفارقتها صبوت؛ وهذا منه عليه السلام على سبيل الانقطاع إلى الله تعالى، والتسليم لأمره، وأنه لولا معونته ولطفه ما نجا من كيدهنّ؛ ولا شبهة فى أن النبيّ عليه السلام إنما يكون

(1) حاشية ف (من نسخة): «لاعتقادهم».

معصوما من القبائح بعصمة الله تعالى له وبلطفه وتوفيقه.
فإن قيل: الظاهر خلاف ذلك لأنه قال: وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ فيجب أن يكون المراد ما يمنعهم من الكيد ويرفعه؛ والّذي ذكرتموه من انصرافه عن المعصية لا يقتضي ارتفاع الكيد والانصراف عنه.
قلنا: معنى الكلام: وإلا تصرف/ عنى ضرر كيدهنّ والغرض به؛ لأنهنّ إنما أجرين بكيدهنّ إلى مساعدته لهنّ على المعصية، فإذا عصم منها ولطف له فى الانصراف عنها؛ فكأنّ الكيد قد انصرف عنه ولم يقع به، من حيث لم يقع ضرره وما أجرى به إليه، ولهذا يقال لمن أجرى بكلامه إلى غرض لم يقع: ما قلت شيئا، ولمن فعل ما لا تأثير له: ما فعلت شيئا، وهذا بيّن بحمد الله ومنّه.

تأويل خبر [: «من يتّبع المشمعة يشمّع الله به»]
إن سأل سائل عن تأويل الخبر الّذي يرويه عقبة بن عامر أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال فى خطبة طويلة خطبها: «من يتّبع المشمعة يشمّع الله به».
والجواب، إن المشمعة هى الضّحك والمزاح واللعب، يقال: شمع الرّجل يشمع شموعا، وامرأة شموع إذا كانت كثيرة المزاح والضّحك: قال أبو ذؤيب يصف الحمير:
بقرار قيعان سقاها وابل ... واه فأثجم برهة لا يقلع (1)
فلبثن حينا يعتلجن بروضة ... فيجدّ حينا فى العلاج ويشمع (2)
أراد أنّ هذا الحمار الّذي وصف حاله مع الأتن، وأنه معهنّ فى بعض القيعان يعارك هذه الأتن.

(1) ديوان الهذليين 1: 5 القرار: مستقر الماء. والقيعان: مناقع الماء فى حر الطين؛ وفى حاشيتى الأصل، ف: «سقاها، أى سقى القيعان واه؛ أى سحاب كثير المطر؛ وهذه استعارة؛ أى كأن هذا السحاب ضعيف فينهل عنه الماء انهلالا. وأثجم: أقام برهة؛ أى مدة من الزمان لا يقلع ولا يذهب».
(2) حاشية الأصل: «يروى، «بروضه»، والضمير للعير الّذي يصفه، أو للقرار، أو للوابل».